



تاریخ المصريین

ثورات المصريين في العصر الفاطمي

١٠٣٥ - ٩٧٩

٢٩٣

د. محمود خالف



يتناول هذا الكتاب فصلاً مهماً من تاريخ العصر الفاطمي، فيتعرض لأهم ثورات المصريين ضد الفاطميين، والتي نشبت في عهد الخلفاء الأربعة الأوائل: العز لدين الله، والعزيز بالله، والحاكم بأمر الله، والظاهر لإعزاز دين الله، ويؤرخ لضروب الرفض والمقاومة الأخرى سواء بالشعر أو الأمثال أو النكات والفكاهات اللاذعة، والتي تختلف بطبيعة الحال عن الثورات والتمردات العسكرية.

ويقسم المؤلف الدكتور محمود خلف ثورات المصريين في العصر الفاطمي إلى سياسية واقتصادية ودينية محللاً أسباب قيامها وصولاً إلى رصد نتائج كل ثورة على حده، كما أعقب هذه الدراسة بملاحق مهمة عن بعض الوثائق التي تخدم البحث، فضلاً عن ثبت بأهم الثورات خلال الفترة محل الدراسة.



شورات المصريين في العصر الفاطمي
(٩٦٩ - ١٠٣٥م)

سلسلة

تاريخ المصريين

رئيس مجلس الإدارة

د. أحمد مجاهد

رئيس التحرير

أ. د. محمد صابر عرب

مدير التحرير

د. عماد أحمد هلال

سكرتير التحرير

مصطفى غنaim

الإشراف الفني

صبرى عبد الواحد

أسن هذه السلسلة

الدكتور / عبدالعظيم رمضان

وترأس تحريرها

من ١٩٨٧ إلى ٢٠٠٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة - جمهورية مصر العربية - كورنيش النيل - رملة بولاق

ص . ب : ٢٢٥ - الرقم البريدى : ١١٧٤٩ رمسيس

ت : ٢٥٧٧٥٢٢٨ / ٢٥٧٧٥٤٢١٣ (٢٠٢)

www.egyptianbook.org.eg e-mail:info@egyptianbook.org.eg.

ثورات المصريين في العصر الفاطمي

(٩٦٩-١٠٣٥)

تأليف

د. محمود محمد خلف



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٢

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
٧	على سبيل التدريم
٩	المقدمة
١٥	التمهيد
٤٩	الفصل الأول
٨٧	الفصل الثاني
١٣٥	الفصل الثالث
١٩٥	الفصل الرابع
٢٣١	الخاتمة
٢٣٧	الملاحق
٢٤٧	قائمة المصادر والمراجع
٢٦١	صدر من هذه السلسلة

على سبيل التقديم

بالرغم من أن العصر الفاطمي من أكثر عصور مصر الإسلامية التي اهتم بها المؤرخون وكتبوا عنها، حيث صدرت دراسات عديدة عن الحياة السياسية والاقتصادية والمظاهر الحضارية، إلا أن المؤرخين أهملوا دراسة العلاقة بين المصريين والفاطميين، وتحليل مدى رضا المصريين عن الأسرة الحاكمة، وما إذا كانوا قد قاموا بثورات ضدتهم أم ارتضوا بالأمر الواقع، وكذلك موقف المصريين من سقوط الدولة الأيوية وقيام الدولة المملوكية، وكيف أن المصريين لم ينكروا على الدولة الفاطمية بالرغم مما أحدها من تغيرات وما تركته من آثار حضارية، وبصمات علمية اقتصادية، وحتى عادات وتقاليد اجتماعية.

وفي محاولتنا لسد هذه الثغرة نقدم اليوم هذا الكتاب المميز للباحث الدكتور محمود خلف بعنوان "ثورات المصريين في العصر الفاطمي" حيث يتعرض المؤلف لأهم ثورات المصريين ضد الفاطميين في عهد الخلفاء الأربع الأوائل: المعز لدين الله ، والعزيز بالله ، والحاكم بأمر الله ، والظاهر لإعزاز دين الله . وصنف الثورات إلى: ثورات سياسية، وثورات اقتصادية، وثورات دينية. وحلل الأسباب والتائج لكل ثورة منها.

فأما عن الثورات السياسية فتعرض ل موقف المصريين من الفتح الفاطمي، ومدى عنف المقاومة التي أبدوها وتجاهلتها معظم الدراسات التاريخية، خاصة كتابات المستشرقين الذين أرادوا إظهار المصريين بمظهر المتخاذل والمستكين. ثم عرض لثورة أهل تنيس وثورة الصعيد في عهد المعز لدين الله، وثورة حزة بن ثعلة الكتامي، وثورة حдан الأسيوطى في عهد العزيز بالله، وثورات أخرى كثيرة في عهد الحاكم والظاهر. وشرح كيف نجح الفاطميين في القضاء على تلك الثورات بكل وسيلة ممكنة. وأما عن الثورات الدينية، فحملل بشكل جيد الصراع بين السنة والشيعة، واستعرض أهم

الثورات التي قام بها أهل السنة ضد الفاطميين الشيعة، ومقاومتهم محاولات نشر المذهب الشيعي في مصر، وكذلك اعتراضهم على تقرير الفاطميين لأهل الズمة على حساب أهل السنة. وحلل كذلك الثورات الاقتصادية وكيف نجح المصريون في حرق الأسطول الفاطمي ، وهو ما أثر على التجارة. وعرض كذلك هبات المصريين وثوراتهم في أوقات الأزمات والمجاعات وانتشار الأوبئة، كنوع من الاعتراض على إهمال الفاطميين لهم. غير أن أهم ما يميز هذا الكتاب أنه لم يتعرض فقط للثورات والتمردات العسكرية، بل حلل كل أنواع الرفض والمقاومة مثل المقاومة بالشعر والأمثال الشعبية والنكات والفكاهة اللاذعة.

وختاماً، أحيي المؤلف على مجده في هذا الكتاب الذي أعتقد أنه إضافة مهمة في مجاله. ولا يفوتي أنأشكر أسرة تحرير سلسلة "تاريخ المصريين" على ما بذلوه من جهد في إخراج هذا الكتاب، وأخص بالذكر الدكتور عماد هلال على جهوده في مراجعة الكتاب وتنسيقه، ليخرج بهذه الصورة الطيبة.

والله وتاريخ أمتنا من وراء القصد

د. محمد صابر عرب

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف المرسلين

وبعد:

فتعد الثورات من أخطر الأشياء التي تهدىء الحضارة الإنسانية في كل زمان ومكان. ويتبين لكل من يتصدى لوضع لائحة زمنية لوقائعها أنها ظاهرة متغلبة في القدم، وأنها كانت جزءاً من النظام البشري، وفي تاريخ مصر العام نجد هذه الظاهرة من بين أهم الظواهر التاريخية التي لم يستطع المؤرخون إسقاطها من ذاكرة التاريخ ذلك أن النتائج التي تمخضت عنها كانت تساهم في تشكيل جزء كبير من مصير المجتمعات التي اعتنوا برصدتها.

إن الثورات ظاهرة سياسية واجتماعية واقتصادية واضحة ومتكررة في التاريخ الإنساني، ويتميز التاريخ المصري بقيام كثير من الثورات علي أرضه، ومن ثم فقد كان توافر سلسلة طويلة من الثورات يمثل شيئاً مستمراً في التاريخ السياسي والاجتماعي المصري.

ويعد العصر الفاطمي في مصر (٣٥٨ - ٩٦٩ هـ / ١١٧١ - ٥٦٧ م) أحد الحلقات الرئيسة لهذه الظاهرة، والتي تهدف هذه الدراسة إلي إلقاء الضوء عليها خلال الفترة من (٣٥٨ - ٤٢٧ هـ / ٩٦٩ - ١٠٣٥ م) وترجع أهمية دراسة الثورات في هذه الفترة لعدة اعتبارات هامة:

أولاً: أن التأمل في تاريخ مصر الإسلامية يشعر - بعظمة تاريخ الفاطميين، ودورهم البارز وأفهم استطاعوا أن يتربّعوا بضمائهم في تاريخ مصر وأن يؤثّروا في حياماً اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية وعلمية وفنية. وقد كانت الدولة الفاطمية - بين الدول الإسلامية التي استقرت بمصر لعدة قرون - أوفرها بماءاً وأبقها أثراً، وما زال الجامع الأزهر غرس الدولة الفاطمية اليابع ركناً ثابتاً لا يلغي

مع الزمن، يقوم منذ أكثر من ألف عام أثراً خالداً، ورمزاً باهراً لهذا العصر الراهن، وهذه الدولة المستقلة الشاغنة، لذا كان العصر الفاطمي - بين عصور مصر الإسلامية - جديراً بالدراسة والاهتمام.

ثانياً: إن مصر أصبحت لأول مرة مقرًا ومركزًا للخلافة الفاطمية، وأصبح لها بالتالي استقلالاً سياسياً واقتصادياً - فعلياً - مما يسهل دراسة النتائج السياسية والاقتصادية للثورات بعيداً عن تأثير مراكز الحكم في دمشق أو بغداد.

ثالثاً: عرف العصر الفاطمي في مصر ببعد الثورات التي قامت فيه، وقد ترتب عليها أحداث هامة، وتعد فترة البحث حداً فاصلاً بين عهدي الخلفاء الأفوياء وعصر الوزراء العظام، وكانت فترة تحول تاريخي، حفلت بأحداث جسام، ويحصار الدارس أمام تشابك أحداثها، وتناقض معلوماتها، ناهيك عن صعوبة الفصل بين الأسباب والنتائج ، حيث توالي الأحداث عملها تأثيراً وتاثراً.

رابعاً: رغبة الباحث في رصد بعض ملامح التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني لمصر خلال الفترة (٣٥٨-٤٢٧هـ / ٩٦٩-١٠٣٥م) لكشف الأسباب البعيدة أو غير المباشرة للتدهور النسيجي الذي ألم بالمجتمع المصري، والذي كان سبباً، بلا شك - في سقوط الدولة الفاطمية عام (٥٦٧هـ / ١١٧١م).

خامساً: إن نظرة المؤرخين المحدثين للتاريخ تختلف عن سبقهم من قدماء المؤرخين ، فالنarrative في نظرهم ليس مجرد سرد للحوادث السياسية، أو تصوير للواقع الحرية، أو ذكر لسير الخلفاء والملوك، وإنما هي نظرة تتجه إلى دراسة الأسباب والنتائج حتى يمكن أن يكون للتاريخ فائدة يمكن الاستفادة منها في الحاضر والمستقبل " فالنarrative شاع من الماضي يضيء لنا الحاضر والمستقبل " ومن هذا المنطلق آثرت دراسة الثورات في العصر الفاطمي الأول (٣٥٨-٤٢٧هـ / ٩٦٩-١٠٣٥م)

دراسة مستقلة تكشف عن أثراها على مختلف جوانب الحياة في مصر إبان ذلك العصر.

سادساً: على الرغم من أن هذا العصر قد أولاه كثير من الكتاب والباحثين بالدراسة إلا أنهم لم يتجهوا إلى دراسة الثورات التي قام بها الشعب المصري في هذا العصر — لمواجهة المد الشيعي — دراسة موسعة على الرغم من قيام الكثير منها على أرضه.

تقسيم الكتاب:

وقد قسمت هذا الكتاب على حسب عهود الخلفاء الفاطميين، لأنني أحسست بأن طريقتنا المعتادة في كتابة التاريخ عجزاً إلى أقسام منفصلة بعضها عن بعض يتناول كل قسم منها ثورة من الثورات سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو طائفية أو دينية، أحسست بأن في هذه الطريقة إجحافاً لتاريخنا المصري الذي يجب أن يكتب على نحو تركيبي كما يكتب على نحو تحليلي. وحيث أن علم التاريخ في صورته المثلثي لابد أن يهدف — في كل فترة من فترات الزمن — إلى تصوير عناصر الأمة مترابطة يرتبط بعضها ببعض ارتباط الظاهرة بأسابها، لذلك فقد قسمت الكتاب إلى تمهيد و أربعة فصول وخاتمة.

أما التمهيد: فقد أقيمت فيه الضوء على "التأصيل الفكري للثورة"، فعرفت الثورة في اللغة والاصطلاح، والمراحل التي يمر بها العمل الثوري، وناقشت بالتفصيل آراء المؤرخين في طبيعة الشعب المصري، ثم أخذت إلى بعض الثورات التي قام بها أهل مصر منذ الفتح الإسلامي، وحني نهاية الدولة الطولونية، ثم حاولت رسم صورة تقريبية لحالة المجتمع المصري قبيل الفتح الفاطمي لمصر، فتحدثت عن الأزمات الاقتصادية التي وقعت في الدولة الإخشيدية والتي كانت أحد الأسباب التي شجعت الفاطميين على فتح مصر، ثم رصدت الثورات التي قام بها المصريون خلال تلك

الفترة وألقيت الضوء علي محاولات الفاطميين فتح مصر، والتي نجحت في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م).

أما الفصل الأول: وعنوانه (الثورات في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي) فقد تناولت فيه أحداث الفتح الفاطمي لمصر، وأهم أعمال القائد جوهر الصقلي في مصر، وناقشت الآراء المختلفة التي ذكرت بناء القاهرة، وأسباب تسميتها بهذا الاسم ، ثم حاولت أن أضع وصفاً سريعاً لهذه المدينة الجديدة وجماعها الأزهر، ثم انتقلت إلى الحديث عن ثورات المصريين ، وأوضحت أسباب قيام الثورات السياسية وأنواعها ، ثم ذكرت أهم الثورات الاقتصادية ثم الدينية التي ظهرت خلال تلك الفترة، واختتمت هذا الفصل بنتائج هذه الثورات علي الحياة خلال عصر المعز لدين الله الفاطمي.

أما الفصل الثاني : فقد خصصته للحديث عن (الثورات في عهد الخليفة العزيز بالله) موضحاً تولية العزيز بالله عرش الخلافة الفاطمية، ثم تحدثت عن الثورات السياسية في عهده سواء الداخلية أو الخارجية ، فذكرت منها ثورة أفتکين التركى، وقسام الحارثي ، وأوضحت أثر هذه الثورات علي الحياة. ثم ألقيت الضوء علي مقاومة المصريين القوية والتي برعوا في استخدامها لتخفيف الظلم الواقع عليهم. ثم تبعت بناء الأسطول في مصر الإسلامية منذ نشأته وحتى عصر الدولة الفاطمية ، وناقشت بالتفصيل قضية حريق الأسطول الفاطمي علي يد أهل الذمة. واختتمت هذا الفصل بأثر حريق الأسطول علي الاقتصاد المصري، وأوضحت موقف المصريين من هذا الحريق.

وتناولت في الفصل الثالث: (الثورات في عهد الحاكم بأمر الله) عرفتُ بالحاكم بأمر الله، وحاولت أن أرسم صورة تقريرية لشخصيته من خلال كتابات المؤرخين القدامى والمحديثين. ثم تناولت الثورات السياسية التي ظهرت في عصره

سواء كانت داخلية أو خارجية محاولاً توضيح أسباب قيام هذه الثورات وأحداثها ونتائجها. وفصلت القول في ثورة الوليد بن هشام (أبو ركوة) ، وناقشت موقف الحاكم بأمر الله من هذه الثورة. ثم أভعت ذلك بالحديث عن الثورات الاقتصادية وأسباب وقوع المجاعات، ومحاولات الحاكم القضاء على ظاهرة انخفاض ماء النيل، وأوضحت موقف الشعب المصري من هذه المجاعات المتكررة . وتحدثت بالتفصيل عن الثورات الاقتصادية التي قام بها الشعب المصري، وأثر هذه الثورة علي اقتصاد الدولة الفاطمية. ثم تحدثت عن الثورات الطائفية فذكرت العناصر الأجنبية في مصر وأثر التنافس بينها في حالة مصر الداخلية، والمنازعات التي قامت بين برجوان والحسن بن عمار، وموقف الشعب المصري من هذا الصراع. وتعرضت للمقاومة القولية- شعر وثر - التي قام بها المصريون والتي نجحت في تخفيف الظلم الواقع عليهم، وناقشت بالتفصيل مسألة حريق الفسطاط وموقف الحاكم من هذا الحريق ، وأثر هذا الحريق علي الاقتصاد. ثم أقيمت الضوء علي الحياة الدينية خلال عصر الحاكم، فناقشت مسألة ألوهية الحاكم بأمر الله وموقف الشعب المصري منها، وبرأت بالأدلة التاريخية الحاكم من قمة أدعائه للألوهية. ثم رصدت أحوال أهل الذمة خلال تلك الفترة، موضحاً موقفهم من هدم كنيسة القيامة المجيدة، واختتمت هذا الفصل بأثر الثورات الدينية علي الحياة خلال عصر الحاكم.

وخصصت الفصل الرابع للحديث عن : (الثورات في عهد الظاهر لإعزاز دين الله) وبدأته بترجمة الخليفة الظاهر وبينت جهود عمته السيدة سنت الملك في توليته عرش الخلافة الفاطمية. ثم ذكرت أهم الثورات السياسية التي ظهرت في عصره. ثم تحدثت عن الثورات الاقتصادية التي قام بها الشعب المصري بسبب حدوث المجاعات ، وحاولت رصد أثر هذه الثورات علي الحياة خلال عصر الظاهر. كما تحدثت عن الثورات الطائفية وأثر المنازعات والفتن التي وقعت بين الأتراء والعيدي - علي هيبة الخلافة الفاطمية - وأوضحت أثر هذه المنازعات علي الحالة

الأمنية في البلاد. ثم أتت ذلك بالحديث عن التورات الدينية فشرحت أسباب ثورة أهل مكة، وثورة علماء المالكية ، واختتمت الفصل بـ إلقاء الضوء على أهل الذمة خلال عصر الظاهر، والذين تعموا خالله بالحرية الثامنة. ثم أوضحت بالتفصيل أثر التورات الدينية على الحياة خلال عصر الظاهر لإعزاز دين الله.

وأفيت الكتاب بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي أسف عنها البحث، وأعقبتها بـ ملخص عن بعض الوثائق التي تخدم البحث، فضلاً عن ثبت بأهم التورات خلال الفترة المعنية بالدراسة.

وفي الختام أتوجه إلى أستاذي الدكتور / محمد علي عتّافي، بخالص الشكر والتقدير لتشجعه لي في إتمام هذا البحث حتى اكتملت صورته بهذا الشكل الذي أرجو أن أكون قد وفقت فيه. ونجحت في إلقاء مزيد من الضوء على جوانب من حياة الشعب المصري خلال العصر الفاطمي. واعترف بأنني لم أصل فيه إلى مرتبة الكمال، لأن الكمال لله وحده، وحسبي أني اجتهدت فإن كنت أخطأت فلا بد أن أمثل لقوله تعالى : " ربنا لا تزاحمنا إن نسينا أو أخطأنا ".

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د/ محمود محمد خلف.

الهرم - جيزه.

التمهيد

المبحث الأول

التأصيل الفكري للثورة

غير التطور التاريخي للمجتمعات الإنسانية كان التعارض بين وجهات النظر يبدو أمراً لا يمكن تجنبه في الشؤون البشرية، وبذلك فإن هذه المجتمعات عرفت دائماً بشكل أو باخر ظاهرة "المعارضة"^(١). وعلى الرغم من أن الإسلام يدعو إلى أن من الواجب أن توجد بشكل مشروع جماعة منظمة داخل النظام السياسي والاجتماعي تقوم "بالمعارضة" والنقد وتدعو إلى الخير وتنهي عن الشر في أكثر من آية في القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: "وَلَا تُكُنْ مِّنَ الظَّالِمِينَ إِلَيَّ الْخَيْرُ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَغْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ"^(٢) إلا أن انتقال ذلك المبدأ إلى حيز التنفيذ أمر تعترضه الكثير من العقبات.

وذلك يرجع إلى أن كثيراً من النظم السياسية - وحقى الحديثة منها - وإن كانت تعرف شكلاً بوجود المعارضة لكنها لا تستجيب لما تنادي به إلى في أضيق نطاق، وعلى الرغم من أن المعارضة وثيقة الصلة بالشوري الإسلامية، بل إن المعارضة جزء منها. يقول أحد الباحثين "لا يكاد أحد اليوم يتصور وجود ديمقراطية^(٣) بدون معارضة أو أحزاب متنافسة يناضل بعضها ببعض، ويدعو كل منها إلى مبادئ يريد أن يجعل منها دستوراً للحكم إلا أن المجتمعات المتحضررة الراقية لا تعرف بظاهرة الثورة أو المطالبين بالإصلاح عن طريق الثورة^(٤)".

ولدراسة "الثورة" كظاهرة سياسية واجتماعية في مجال الفكر السياسي الإسلامي، ينبغي تحديد مفهوم "الثورة" أولاً في معاجم اللغة، وفي المعنى الاصطلاحي العربي، والغربي. ثم نقف بظاهرة الثورة أمام المجتمع المصري في مختلف مراحله

التاريخية، لكي نوضح موقف الشعب المصري من هذه الظاهرة السياسية كأحدى أساليب التغيير.

(أ) الثورة في المعنى اللغوي.

*لُفْظُ الثورة في معاجم اللغة:

يتجه الباحث عن معنى لُفْظِ من الألفاظ أول ما يتجه إلى معاجم اللغة، وفي الحقيقة إن معظم الماجم تنقل عن بعضها البعض بحيث يكاد شرح اللُّفْظ يتكرر تكراراً قد يصل إلى حد التقليل، هذا بالإضافة إلى عدم التعرض للناحية التاريخية أو الاشتراطية للفظ.

ولُفْظ "الثورة" في الأصل اللغوي "ثُور" وهي تعني الهياج والانقلاب أو تغير شيء بشيء ومنه تقول العرب: (أثار) الغبار يثور ثوراً، ومنه قيل للفتنة (ثارت) وآثارها العدو^(٥) وكان المعنى قد اشتق من تغيير الماء وإثارة الغبار، واستعمل في معنى الثورة والتغيير، وفي لسان العرب: (اشتق لُفْظُ ثور: بمعنى هاج، وثورة الغضب: حدته، والثائر: الغضبان، ويقال: للغضبان أهيج ما يكون: قد ثار ثائرة وفار فائرة، إذا غضب وهاج غضبه، وثار إليه ثوراً: وثب، والثاثرة: الموايثة. ويقال انتظر حتى تسكن هذه الثورة وهي الهيج.. والعرب تقول: أثرت البعير أثيرة إثارة فشار يثور وثور ثوراً إذا كان باركاً وبعده أحد فانبعث، وأثار التراب بقوائمه إثارة: بعثة^(٦) وعلى ذلك فلُفْظ (الثورة) يعني: الهياج والانقلاب، والتغيير، والوثوب، والانتشار، والغضب، والانبعاث.

وفي المعجم (ثورة) هاج وانتشر فهو ثائر، وثار به الناس: وثروا عليه، ومنه

(أثاره) هيجه ونشره^(٧).

*الثورة في الأصلين الشريفين:

وقد ورد لفظ الثورة في القرآن الكريم في أكثر من موضع بعدة معانٍ منها قوله تعالى عن بقرة بني إسرائيل: "لَا ذَلُولٌ ثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْتِي الْحَرَثَ"^(٨) أي لا تقلبها بالحرث اللازم والذي يغير وجه الأرض^(٩) وقوله تعالى عن الأمم السابقة: "كَائِلُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَفَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا"^(١٠) أي غيروا وجه الأرض بكثرة عماراتهم لها.

وفي الحديث الشريف ورد استعمال واستخدام هذا اللفظ، ومن ذلك قوله- صلى الله عليه وسلم-: "أثروا القرآن فإن فيه خير الأولين والآخرين"^(١١) وفي حديث آخر له- صلى الله عليه وسلم-: "من أراد العلم فليثور القرآن"^(١٢) ومعنى تثوير القرآن قراءته ومقاتلته العلماء به في تفسيره ومعايشه^(١٣).

وفي صحاح السنة ومسانديها الشهيرة نجد مصطلح (الثورة) حيث يقول الصحابي الجليل (الجاجي): "يبنما نحن في السوق إذ مرت امرأة تحمل صبياً فشار الناس وثارت معهم، فانتهيت إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- وهو يقول: من أبو هذا؟ فسكتت...."^(١٤). ومن ذلك حديث " جاء رجل من أهل نجد ثائر الرأس يسأله عن الإسلام"^(١٥) أي منتشر شعر الرأس قائمـه.

وهكذا نرى أن لفظ الثورة قد ورد في الأصلين الشريفين القرآن الكريم والسنة المطهرة بمعنى التغير أو التغيير والاختلاف في الآراء ووجهات النظر.

*اللفاظ الثورة:

هناك ألفاظ كثيرة تدل على معنى الثورة، وإن لم يذكر اللفظ صراحة ولكنها تؤدي نفس المعنى، ومن هذه الألفاظ: الانقلاب، الإثارة، الهياج، التغيير، الوثوب، الانتشار، الانبعاث، الفتنة. وهو مصطلح يستعمل كثيراً في مصادرنا الإسلامية ويراد

و كذلك لفظ "النهضة أو المناهضة" كلها يعني الوثوب، والانقضاض والصراع مع الأعداء لإحداث بعض التغيير اللازم لإصلاح المستقبل. ولفظ "نافق"^(١٧) يستعمل هذا اللفظ كثيراً ويدل على الخروج و الثورة ضد السلطة القائمة. ولفظ "الانتصار" وهو يعني التغيير والردع والانتقام من البغاء والظلمة والمستبددين^(١٨) وهي تدل على المعنى الشامل "الثورة" وفي القرآن الكريم: "والذين إذا أصابهم البغي هم يتصررون وجزء سيئة مثليها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سيل"^(١٩).

* الترجمة وأثرها على دلالة اللفظ

إن اللجوء إلى الترجمة يعود إلى عوامل كثيرة لعل أبرزها عنصر الحاجة التي تنشأ عن التطور الاجتماعي والاقتصادي السياسي، ولا شك أن اللغة تتأثر بهذا التطور، فتتغير عن نفسها من خلال منظور معين، وهنا ينبغي توضيح حقيقة هامة وهي أن الكلمات تتكتسب دلالتها في كل لغة بعد تجارب كثيرة من الخبرات التاريخية والسياسية التي يمر بها هذا المجتمع فتصبح الكلمة اللغوية في الحديث أو التعبير أو الكتابة ترتبط في ذهن كل فرد من أفراد هذا المجتمع بحيث يفهم اللفظ بسهولة ويسر.

فإذا عربت (ترجمت) الكلمة وخرجت من بيتها إلى بيته آخر ي ذات لغة مختلفة يكون من الضروري الاجتهد للحصول على أقرب معنى تؤديه الكلمة في

ذهن القارئ لها، كما كانت تؤديه في ذهن صاحب هذه اللغة نفسها أو ما يقرب منه قدر المستطاع، وكلمة الثورة تعني باللغة الإنجليزية ^(٢٠) Revolution. وهي كلمة مشتقة من أصل أصيل في اللغة العربية غير أن دلالة تلك الكلمة في عصرنا الحالي قد تطورت لتعكس التأثير بالثقافة الأجنبية الغربية، وبدأت تستعمل في مجال السياسة بصفة خاصة، وأن كان تراثنا الإسلامي، قد استخدم الفاظاً عديدة تعبّر في معناها العام الشامل عن الثورة.

(ب) الثورة في المعنى الاصطلاحي:

اكتسبت "الثورة" في معناها الاصطلاحي الغربي مفهوماً معيناً يكاد يختلف عنه في الفكر السياسي الإسلامي، ولما كان عالم السياسة المعاصر تقييماً عليه المفاهيم الغربية، لم يكن في الإمكان تجاهل المصطلح في معناه الغربي ولكن دون أن يعني ذلك أننا سوف نبدأ بمعنى اصطلاحي "للثورة" مستقى من المفاهيم الغربية، ثم نطبقه على المجتمع الإسلامي، ونحكم عليه من خلال هذه المفاهيم. كلا بالعكس، سيكون الجهد الأساسي موجهاً إلى الفكر السياسي الإسلامي، والتنقيب فيه للوصول إلى نظرة إسلامية "للثورة" ثم نعرض لوجهة النظر الغربية، ونحاول الرد عليها فيما يخالف فكرنا السياسي الإسلامي الأصيل.

أما عن المعنى الاصطلاحي "للثورة" في الفكر السياسي الإسلامي، فقد اختلف الباحثون حول وضع تعريف دقيق للثورة. فنجد بعض الباحثين يعرفها بقوله: "إنما العلم ، الذي يوضع في الممارسة والتطبيق من أجل تغيير المجتمع تغييراً جذرياً وشاملاً، والانتقال به من مرحلة معينة إلى أخرى أكثر تقدماً ، الأمر الذي يتبع للقوى الاجتماعية المقدمة في هذا المجتمع أن تأخذ بيدها مقاييس الأمور، فتضع الحياة الأكثر ملاءمة وتمكيناً لسعادة الإنسان ورفاهيته، محققة بذلك خطوة على

درب التقدم الإنساني نحو مثله العليا التي ستظل دائماً وأبداً زاخرة بالجديد الذي يغري بالتقدم ويستعصي على النفاذ والتحقيق^(٢١).

بينما نجد بعض الباحثين الآخرين يضع للثورة تعريفاً مختلفاً فيعرفها بقوله: .. الثورة تعني قيام الأغلبية (الساحقة) المقهورة وعلى رأسها المؤسسة الوطنية بتحية الأقلية الحاكمة والتحكم في الأغلبية وإحداث التغيير المنشود في العلاقات السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية، القائمة بعد طول المعاناة التي سبق وأحسن بها الشعب وتألم منها، ويشترط في هذا التغيير أن يصحبه ضوابط وتشريعات تحقق تسلیم السلطة الجديدة للشعب نفسه لضمان استمرار الحرية السياسية والرفاهية الاجتماعية وما يستلزمها من نظم اقتصادية^(٢٢).

ويبدو من تحليل هذين التعريفين أنه يوجد اختلاف كبير بينهما وإن كان التعريف الثاني أدق وأكثر شمولاً، وذلك لاشتماله على تحويل السلطة من القلة الحاكمة إلى سلطة الشعب المقهور نفسه.

وإذا كان هذا هو مفهوم الثورة في الفكر السياسي الإسلامي فإنه يجدر بنا أن نقوم بتحديد أبعاد جميع أشكال الأعمال الإيجابية للشعوب المقهورة في سبيل تحقيق حريتها وأمامها للقضاء على معاناتها، ونستطيع أن نفرق بين الأساليب الثلاثة: الانفراقة، الانقلاب، الثورة .

*الحركة أو الانفراقة:

يعرفها بعض الباحثين بأنها: "الظاهرة التي تحدثها المؤسسة الوطنية باعتبارها طبيعة الأغلبية المقهورة، وذلك بإحداث حالة من التظاهر أو التمرد أو الاحتجاج أو حتى المقاومة الإيجابية العلنية والعنيفة دون أن تتمكن من إزاحة المؤسسة الحاكمة المستغلة القديمة من مراكزها السيادية، غالباً ما يكون نتيجة انتصاص السلطة

السياسية للقلة الحاكمة للغضب الشعبي بجزيل من القهر والعنف والردع حتى قتل وتضعف وتخاذل المقاومة الشعبية بفعل مرور الزمن^(٤٣).

وعلي هذا لا يسمى هذا العمل الإيجابي "ثورة" ولكنه حركة أو انتفاضة، وذلك لأنما لم تغير في أسباب المعاناة شيئاً فضلاً عن أنها لم يقضى عليها تماماً.

* الانقلاب:

هو: تكن المؤسسة الوطنية التجاوبية مع الأغلبية المقهورة بحركتها الإيجابية من إحداث التغيير في الهيكل الإداري فقط في مؤسسة الأقلية الحاكمة السابقة وذلك بازاحة الحكومة السابقة عن مراكزها الإدارية والسياسية والسيادية وتتبوأ المؤسسة الوطنية الجديدة بنفسها أماكن الحكم السابقين دون إحداث أي تغيير في أسلوب الممارسات الاستبدادية السابقة طمعاً في بقائها في هذه المراكز المتميزة .. وبذلك تستمر حالة القهر والمعاناة للأغلبية المحكمة رغم تغير شخصيات الحكم^(٤٤).

وعلى الرغم من أن هذا يعتبر عملاً إيجابياً إلا أنه لا يصل إلى مستوى "الثورة" لأنه لم يحدث التغيير المطلوب، ويرضي غالبية الشعب المقهور.

وعلي ذلك تأتي الحركة أو الانتفاضة كبداية للعمل الإيجابي للشعوب المقهورة ثم يتطور هذا العمل إلى الانقلاب ، ثم تأتي الثورة على قمة التغيير الذي تطالب به الشعوب المقهورة .

* النظرة الغربية للمجتمعات الإسلامية فيما يتعلق بالثورة:

هذا تعريف الثورة وما يتعلق بها في الفكر السياسي الإسلامي، وإذا أردنا أن نعرض لوجهة نظر الباحثين الغربيين – باختصار – حول تعريف الثورة، نجد أن هذا المصطلح في الفكر الغربي مغاير تماماً في الفكر الشرقي (الإسلامي)^(٤٥).

أما عن المفهوم الاصطلاحي الغربي للمعارضة فسوف يستفاد منه في عملية المقارنة التي تساعده على إبراز ملامح المعنى الإسلامي للثورة هذا من ناحية، ومن

ناحية أخرى من أجل البحث في وجهة النظر التي تضع التراث الفكري السياسي الإسلامي كخبرة أصلية استمدت منها النظرية الديمقراطية الحديثة رافداً من أهم روافدها.

تعتمد النظرة التقليدية للمستشرقين وغيرهم من المفكرين الغربيين على تصوين الحضارة الغربية على أنها حضارة "الحرية" وتصوير الحضارة العربية الإسلامية على أنها حضارة "الاستبداد".

ثم جاءت كثیر من الدراسات لتحمل الإسلام والفكر الإسلامي النصیب الأولى من مسؤولية هذا الرکود والاستبداد المنسوب بمجتمعات الشرق الإسلامي.

يعرف "فاتيكیوتیس" - أحد الباحثین الغربیین - الثورة بأنها: "عمل سیاسي موجه أساساً ضد حالة الوضع القائم، ومؤسس على أيديولوجیة ثوریة تحقق تغیراً جذریاً شاملأً للهيكل الاجتماعي القائم"^(٢٦).

وإذا كان هذا التعريف مقبولاً لدى الباحثین الذين عرّفوا الثورة إلا أنه يؤخذ على الباحث "فاتيكیوتیس" وغيره من الباحثین الغربیین مثل "برنارد لویس" تحامله الشديد على الشخصية الإسلامية ووصفها بأنها "شخصية غير ثوریة"^(٢٧) وبأن الحضارة الإسلامية لم تعرف معنى المعارضة "الثورة"، كتکتل جماعي يستطيع أن يقف في مواجهة السلطان^(٢٨).

والحقيقة، أن هذا القول على إطلاقه مخالف للحقيقة، ومجانب للصواب، ويصطدم بالحقيقة التاريخية، التي تقر أن الحضارة الإسلامية ، والفكر الإسلامي، قد عرّفـاـ المـعـارـضـةـ للـسـلـطـانـ وـالـحاـكـمـ . وـمـنـ أـكـبـرـ الأـدـلـةـ عـلـيـ ذـلـكـ ثـوـرـاتـ الـخـوارـجـ الشـیـعـةـ الـمـتـکـرـرـةـ ضـدـ الـخـلـفـاءـ فـيـ مـخـلـفـ الـعـصـورـ الـإـسـلـامـیـةـ، وـلـاـ نـتـجـاـزـ الـحـقـیـقـةـ التـارـیـخـیـةـ إـنـ قـلـنـاـ إـنـ لـاـ يـکـادـ يـخـلـوـ عـصـرـ مـنـ الـعـصـورـ الـإـسـلـامـیـةـ مـنـ إـحـدـىـ أـسـالـیـبـ الـمـعـارـضـةـ وـمـنـهـاـ بـالـطـبـعـ-ـ الثـورـةـ .

*المقصود بالثورة:

ليس المقصود بكلمة الثورة – Revolution – في هذا البحث ما تحمله الكلمة من معنى ومضمون يتفقان ومفاهيمنا المعاصرة أي "أن استخدام هذه الكلمة في هذا البحث – هو استخدام تاريجي بحث، وبعبارة أخرى فإن استخدامنا لكلمة "ثورة" في هذا البحث جاء تماشياً مع استخدام كتاب العصور الوسطى ومؤرخيها في مصر هذه الكلمة ، بمعنى إثارة القلاقل والاضطرابات^(٢٩).

إذ أن تلك الحركات العنيفة الطابع والتي وقعت في العصر الفاطمي الأول (٣٥٨ - ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ - ٩٦٩ م) من جانب المصريين لم تكن – بالطبع – مهدف إلى فرض مفاهيم جديدة وتغيير النظرية السياسية للدولة ، كما أنها لم تكن على درجة من النضج الثوري بحيث تشكل حركة ذات أهداف واضحة محددة ومرسومة مهدف إلى تغيير الواقع المصري آنذاك، بل هي مجرد حركة أو انتفاضة ثورية بسيطة وساذجة إلى حد كبير ، بل هي مجرد – لو صر التعبير – تجمع عشوائي لبعض الأفراد الذين حاولوا الخروج والاحتجاج علي السلطة الحاكمة في مصر في ذلك الوقت.

ومن ثم يصبح من الخطأ أن نتناول كلمة "ثورة" – في هذا البحث علي ضوء مدلولاتها المعاصرة، فالواقع أن تلك القلاقل، والاضطرابات التي آثارها بعض عناصر الشعب في العصر الفاطمي الأول (٣٥٨ - ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ - ٩٦٩ م) كانت حركات تفتقر إلى عنصري الشمول والعمومية – في كثير من الأحوال – وهم من أهم ما يميز الحركات الثورية^(٣٠).

إن هذه الثورات هي مجرد فن وانتفاضات أكثر منها ثورات حقيقة، وأنها لم تجد من التنظيم والتدعيم ما يكفل لها النجاح، ولم تكن لها دلالة إقليمية تحتوي على بذور وحدة وطنية معارضة للخلفية الفاطمي في مصر.

*أنواع الثورات:

تعددت أساليب المعارضة في الفكر الإسلامي، فهناك المعارضة الإيجابية: وهي التي تسعى لإحداث التغيير بالقوة، سواء باليد أو اللسان. وهو سلوك إيجابي يعلن فيه المعارض موقف الرفض من قضية ما، وهو ما يسمى في المصطلح الحديث بالثورات العنيفة، ويدخل فيها "المقاومة القولية".

وغير العمل الثوري بعدة مراحل يمكن إيجازها فيما يلي (٣١):

أولاً: مرحلة شعور الأغلبية المقهورة باستغلال وتحكم واستبداد وظلم الأقلية الحاكمة.

ثانياً: مرحلة تكوين وتجميع المؤسسة الوطنية التي تحفظ وتقود وتنظم العمل الإيجابي القادر على إحداث التغيير المنشود.

ثالثاً: العمل الإيجابي الكفيل بإحداث التغيير.

رابعاً: مرحلة النتائج أو الأشكال السياسية والاجتماعية والاقتصادية الجديدة التي أحدثها هذا العمل الثوري.

وهناك - كذلك - المعارضة السلبية: وهي التي تضرر الرفض والمعارضة للمنكر "أي حادث ما" ولكن دون القيام بأي سلوك إيجابي (٣٢) يعبر عن هذه المعارضة سواء باليد أو اللسان، وهو ما يسمى حديثاً في مصطلح السياسة "المقاومة البيضاء".

وقد تعددت أسباب الثورات في مصر الفاطمية - خلال الفترة موضوع البحث - فهناك ثورات سياسية "حراء" وثورات اقتصادية، ودينية، وثورات مجهولة الأسباب، كما وجدت - كذلك - المقاومة البيضاء، ومن أنواعها الامتياز عن التعاون مع الفاطميين ، والمقاومة القولية لهم .

(جـ) الشخصية المصرية .. والثورة:

من الأشياء التي حيرت الباحثين المحدثين طبيعة الشخصية المصرية من نواحيها المختلفة، أقصد من الناحية الإيجابية والسلبية، ومعالجة المصريين للأحداث المختلفة التي تمر بهم.

وليس المقصود بالشخصية - هنا - هو الإنسان فقط ، بل إن مدلول كلمة "الشخصية" في الدراسات المعاصرة لم يعد مقصوراً على الإنسان وحده، سواء بالمعنى الفردي أم الجماعي بل أطلق أيضاً على البيئة الطبيعية بما فيها من جماد وحياة، ولا غرابة في ذلك^(٣٣) فعلم الجغرافيا كما أطلق عليه أحد العلماء " هو فن التعرف على شخصيات الإقليم ووصفها وتفسيرها"^(٣٤) وذهب إلى القول بأن شخصية الإقليم كشخصية الفرد تنمو وتطور وتتدهور.

إذاً لا يخفى علينا أن أثر البيئة الجغرافية كبير على الإنسان، أو كما يقول الأستاذ " هنري بر Henry berr " المشرف علي صدور الموسوعة التاريخية الكبرى " تطور الإنسانية " Evolutionde l'humonite في تقديمه للمجلد الرابع منها ، وعنوانه " الأرض والتطور البشري " يقول: لا ريب أن أثر البيئة قوي جداً علي الإنسان ، فالجفاف والرطوبة، والرياح ، والضوء ، والحرارة ، بل وكهرباء الجو تستطيع أن تعدل من صفات الكائن الحي تعديلاً دائمًا أو مؤقتاً سواء كان هذا الكائن حيواناً أو نباتاً، كما أن الطعام الذي يستهلكه الكائن الحي يؤثر في غوه .. إن البيئة - بلا شك - تركت أثراً لها القوي في تكوين الإنسان خلقاً وفتناً^(٣٥).

وإذا كانت البيئة تؤثر في الإنسان بصفة عامة، فالإنسان المصري أكثر تأثيراً من غيره بيئته ، وذلك للارتباط الشديد بينهما، فلا يخفى علينا أثر الموضع الطبيعي ، والسطح السهل المنبسط علي تكوين الشخصية المصرية، حيث جعلت الروح المصرية تتسم بالبساطة والوضوح.

كذلك نيلها العظيم فمصر على حد تعبير أبي التاریخ - هیروdot - "هبة النیل"^(٣٦) حيث أکسبها نيلها الصبر، وصفات الجهد والكدح والتعاون الجماعي في مواجهة الجفاف.

وأما مناخ مصر وصحرائها فقد أکسب حياة المصريين السياسية طابع الهدوء والاستمرار، والإيحاء إليهم بنوع من الشعور التلقائي بالكافية، نتيجة الجهد المبذول في الأرض، وكفاية الموارد النسبية بها، فضلاً عن كفاية الحضارة في بلدتهم دون حاجة إلى البلاد الخارجية.

وإذا كانت للبيئة المصرية كل هذا الأثر في تشكيل الشخصية المصرية القديمة، فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما هو موقف الإنسان المصري من الثورة؟ أو بصيغة أخرى: كيف أثرت البيئة في شخصية الإنسان المصري القديم تجاه "الثورة" .^(٣٧)

في الحقيقة إن هذه القضية كانت موضع اهتمام الباحثين في مختلف العصور، القديمة والحديثة. وسوف نناقش هذه القضية ، ونعرض فيها للآراء المختلفة وخلص في نهاية هذا البحث إلى الرأي الصواب في ذلك والذي يرجح بالدليل التاريخي القاطع، الذي يخضع للبحث العلمي الصحيح.

رأى فريق من المؤرخين والعلماء - القدماء والمخذلين - أن المصريين يتهمون بالجن والمذلة ، ورددوا في ذلك عبارات مختلفة منها: ما روي عن الجاحظ: " قال الدين أسكن الحرمين، قالت الأمانة وأنا معك، وقال الغنى واليسار أسكن مصر ، قال الذل وأنا معك، وقال السخاء أسكن الشام، قالت الشجاعة وأنا معك "^(٣٨).
ومن قائل: " ومن عيوبهم ضعف قلوبهم وقلة ثمارهم، وأهل الشام أبداً يعيونهم، ويستخرون منهم ، يقولون مطر أهل مصر الندي وطيرهم الخدا، وكلامهم يا سيدى رخو مثل النساء "^(٣٩).

ومن الغريب أن أحد المؤرخين المعجبين بمصر، والذي امتدحها في غير موضع من كتابه يقول عن أهل مصر " .. عدم اعتراضهم على الناس فلا ينكرون عليهم ، ولا يحسدوهم ، ولا يدا فعوهم، بل يسلمون لكل أحد حاله، العالم مشغول بعلمه، والعبد بعبادته، العاصي بعصيته، وكل ذي صنعة بصنعته، ولا يلتفت أحد إلى أحد ولا يلومه بسبب وقوعه في معصية أو نقصة" ^(٣٩).

ومن هؤلاء أيضاً المقريزى أحد كبار كتاب ومؤرخى العصور الوسطى يقول ناقلاً بأسلوب العصر: " قال العقل أنا لاحق بالشام فقالت الفتنة وأنا معك، وقال الخصب أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك، وقال الشقاء أنا لاحق البدية فقالت الصحة وأنا معك. وقال في موضع آخر يصف أخلاق المصريين: " وكذلك أخلاقهم يغلب عليها الدعة والجبن والقوط وقلة الصبر والحسد والنميمة والكذب والسعى إلى السلطان وذم الناس، وبالجملة فيغلب عليهم الشرور الدنيوية التي تكون من دناءة الأنفس، كما تورط المقريزى أيضاً - للأسف - في سقطة أشد خطأ وخطيئة حينما قال: " أهل مصر عبيد لمن غلب " ^(٤٠) .

هذه آراء قدامي المؤرخين في الشخصية المصرية ، وقد رأى بعض المؤرخين - المحدثين - هذا الرأي فقال: " فعلاقة المصريين بحكامهم المسلمين يسودها نوع من الاقتناع النفسي الذي ينبع من التزعة الدينية ، فلقد كانت دائماً ترحب بالحاكم الأجنبي ^(٤١) متى كان مسلماً، ومن أجل ذلك لم تجد غصاضة في قبول الطولونيين والإخشيديين والفاتميين وغيرهم " ^(٤٢) .

ومن الباحثين من وصف المصري بالدعة ، وحب السلام والقناعة بالرضا بما يتعاقب عليه من أحوال ، وكراهية العنف ^(٤٣) .

ويحيط أحد العلماء الموقف كله بجميع تناقضاته ومقارقاته فيقول: " إن هذا شعب (مصر) مغلوب على أمره، وبالتالي فهو ميتوس منه، فإنه بين العجز والسلبية،

غير قابل للثورة ، ولا قادر عليها ، شعب غير ثوري ، باختصار ، الإنسان المصري بمزيد من الوضوح مختلف غير ثوري بالطبع أو بالطبع ، بالوراثة أو البيئة ، بالجغرافيا والتاريخ ، فمصر لم تعرف الثورة - في تاريخها على طول المدى قط - الثورة الشعبية الحقيقة" ^(٤٤) .

ذلك ما اشتهرت به مصر عند القدماء من المؤرخين ، ومن ساروا على دربهم من المؤرخين الخدفين ، فما مبلغ صحة هذه الشهرة ؟ وما أنسها ؟ وأين الحقيقة التاريخية في هذا كله ؟ !!!

(د) الثورة ونماذج القيادة في المجتمع المصري:

يعجب المرء إذ يرى هذا الوصف للمصريين ، والمصري مشهود له بالأصلالة والحضارة ومشهود له كذلك بما أبداه من مقاومة إيجابية وسلبية لمن تقلعوا عليه من محظيين أو غزاة ، وفي الحقيقة إن لكل شعب أسلوبه الخاص في المقاومة ، لذلك بما شعب مصر إلى العنف والقرة عندما كان قادراً على ذلك ، وجا إلى المقاومة الروحية عندما أعياد استخدام القوة المسلحة ، فاختنى من التمرد على حاكمة والتهكم عليه والسخرية منه أسلوباً يعبر عن مقاومته وثورته ^(٤٥) .

ومنذ الفتح الإسلامي لمصر (١٤١-٦٤١ هـ) قام المصريون بالثورات ضد بعض الولاة ، عندما كان يمسهم الأمر ، ومن هذه الثورات - علي سبيل المثال - ما حدث في (١٠٧ هـ / ٧٢٥ م) ، عندما ثار الوجه البحري ضد وآلي مصر آنذاك الحر بن يوسف بسبب زيادة الخراج ^(٤٦) .

وقد اشترك القبط مع المسلمين في هذه الثورة ، ولكن الحر بن يوسف بادر بإرسال الجند إليهم واستطاع أن يقضي علي ثورتهم.

وقد تابعت ثورات المصريين حتى شملت الوجه القبلي والبحري ، ففي سنة (١٢١-٧٣٨ هـ) وفي خلافة هشام بن عبد الملك ثار أهل الصعيد ضد السواقي

حنظلة بن صفوان بسبب زيادة الخراج عليهم، فأرسل حنظلة الجندي لقمع الثورة " فقتلوا من القبط ناساً كثيراً وظفر بهم "٤٧" وقضى على ثورتهم .

وفي سنة (١٣٢هـ / ٧٤٩م) خرج رجل من سمنود يسمى " يخنس " في ولاية عبد الملك بن مروان بن موسى التصيري . وجمع " يخنس " حوله عدداً كبيراً محاولاً الثورة على الوالي والاستقلال بمصر، ولكن عبد الملك بن مروان بعث إليه بجيش فهزمه وقضى على ثورته "٤٨" .

ثم ثار القبط في رشيد في نفس السنة (١٣٢هـ / ٧٤٩م) وكان علي رأسهم " مينا بن بقيرة " وامتنعوا عن أداء الخراج وسار إليهم عبد الملك بن مروان بنفسه لقمع ثورتهم، ولكنه فشل في القضاء عليها . ولم تنته الثورة إلا بعد أن عكّن العباسيون من دخول مصر - بعد قصائهم على الخلافة الأموية في دمشق - فتفاعل القبط خيراً ، وخدمت ثورة أهل رشيد، وكان سبب هذه الثورة زيادة الخراج عليهم .

وبعد أن أصبحت مصر ولاية عباسية (١٣٢هـ / ٧٥٠م) لم تنته ثورات المصريين، ففي سنة (١٥٠هـ / ٧٦٧م) في ولاية يزيد بن حاتم تحرك الأقباط وتاروا بمدينة سخا، بسبب زيادة الخراج عليهم، فأمر يزيد بن حاتم القائد نصر بن حبيب الملهي بالقضاء على هذه الثورة ، فخرج علي رأس جيش كبير، واستطاع أن يقضي عليهم "٤٩" .

وعندما تولى حكم مصر موسى بن مصعب (١٦٧هـ - ١٦٨هـ / ٧٨٣م) وتشدد في جباية الخراج وزاد على كل فدان ضعف ما كان مقرراً عليه، وجعل الخراج على أهل الأسواق وعلى الدواب ثار عليه أهل الحروف الشرقي "٥٠" ، وتحالفت القبائل العربية القيسية واليمنية لقتال هذا الوالي، ونجحوا في قتله، مما جعل الخليفة المهدي يتهددهم، ولكن القدر كان في صالح الثوار، حيث توفي المهدي قبل

القضاء على هذه الثورة . ولنا أن نتصور ضخامة هذه الثورة، وقوة الثوار، الذين نجحوا في قتل وآلي مصر موسى بن مصعب وقائده خالد بن يزيد التجهي.

وفي خلافة هارون الرشيد وعلى أثر عزله لعبد الله بن المسمى وتوليه إسحاق بن سليمان ثار أهل الخوف الشرقي، وذلك بسبب زيادة الخراج المقرر على المزارعين زيادة كبيرة أجحفت بهم، وقتل في هذه الثورة كثير من أهل الخوف الشرقي، ولم تنته ثورتهم إلا بارسال هارون الرشيد قائده (هرثمة بن أعين) إلى مصر، وعندما حضر "لقيه أهل الخوف بالطاعة وأذعنوا بأداء الخراج"^(١) فعزل الرشيد الوالي إسحاق بن سليمان، وانتهت الثورة بالصالحة بين أهل مصر وال الخليفة هارون الرشيد.

كذلك ثار المصريون سنة ١٨٦هـ في ولاية الليث بن الفضل حيث كان من عادة الليث أن يجمع الخراج ويتوجه به إلى هارون الرشيد، فخرج عليه أهل الخوف الشرقي وساروا إلى الفسطاط. فخرج إليهم الليث بن الفضل في أربعة آلاف مقاتل، واستخلف على مصر "عبد الرحمن بن علي بن رباح" استخلفه على الصلة والخارج، ودارت الحرب بين الثوار والليث بن الفضل، الذي هزم في بداية المعركة. ثم حل على أهل الخوف حملة كبيرة، وانتصر عليهم، وقتل منهم خلقاً كثيراً. وعندما عاد الليث إلى مصر، قام أهل الخوف الشرقي بثورة أخرى ، ومنعوا أداء الخارج. مما جعله يذهب إلى الخليفة هارون الرشيد، وشكاه له من منع الخارج وثورة أهل الخوف عليه ، وسألته أن يبعث معه جيشاً كبيراً للقضاء على ثورتهم. ولم يجده الرشيد إلى طلبه خوفاً من زيادة الثورة وأرسل "محفوظ بن سليمان" إلى مصر. استطاع محفوظ أن يجمع الخارج من غير ظلم ولا عقاب ، فولاه هارون الرشيد خراج مصر ، ثم عزل الليث بن الفضل عن مصر وولي مكانه "أحمد بن إسماعيل" سنة ١٨٧هـ.

أما أهم هذه الثورات فهي ما حدثت في عهد الخليفة المأمون سنة (٢١٦هـ / ٨٣١م) في ولاية عيسى بن منصور حيث اشتراك جميع طوائف الشعب المصري

من مسلمين وأقباط في هذه الثورة. تقول الرواية العربية: "التفضت أسفل الأرض كلها عرباً وقطبها في جمادى الأولى سنة ٢١٦ هـ ، وأخرجوا العمال ، وخالفوا الطاعة ، وكان ذلك لسوء سيرة العمال فيهم"^(٥٢) واشتدت هذه الشورة ، وزاد خطورها ، ولم تنته إلا بخروج المأمون بنفسه لقتاهم واضطرب التوار إلى التسليم . يقول المقريزي: " فحكم فيهم بقتل الرجال ، وبيع النساء ، والذرية ، فيبعوا وسي أكثراهم .. ومن حينئذ ذلت القبط في جميع أرض مصر ، ولم يقدر أحد منهم بعد ذلك على الخروج على السلطان ، وغلبهم المسلمون على عامة القرى ، فرجعوا من المغاربة إلى المكايضة ، واستعمال المكر والخيالة ، ومكايضة المسلمين وعملوا كتاب الخراج "^(٥٣) .

وإذا انتقلنا إلى عصر الولاة^(٥٤)، نجد أن ثورات المصريين استمرت خلال تلك الفترة ففي العصر الطولوني (٢٥٤ - ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ - ٩٠٥) تطالعنا كتب التاريخ أنه في أوائل عهد أبى جند بن طولون خرج عليه "أبى محمد بن عبد الله بن طباطبا العلوي" المعروف "بغبا الأصغر" في جمادى الأولى سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م، ونجح ابن طولون في القضاء على هذه الثورة . ثم تجددت الشورة مرة أخرى، إذ خرج بالصعيد "إبراهيم بن محمد بن يحيى" المعروف "بابن الصوفى العلوي" في ذي العقدة سنة (٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م)، والذي بعث إليه أبى جند بن طولون القائد "بهم بن الحسين" والذي نجح في القضاء على الثورة ، ثم حل "إبراهيم بن محمد" إلى مصر، وشهر على جمل ثم اعتقل مدة . وبعدها أظهر توبيه فاطلقه أبى جند بن طولون وأحسن إليه، وارتحل "إبراهيم بن محمد" إلى المدينة المنورة ومات بها.

وفي سنة (٢٦٠ - ٨٧٤ م) خرج بالصعيد أحد أنصار "بابن الصوفى العلوي" وهو "أبو الروح سكن" نجحت ثورته في البداية ، ولكن استطاع أبى جند بن طولون أن يقضي على الثورة، وانتهى أمر "أبو الروح سكن" بالقتل.

* النتيجة:

من كل ما سبق نستطيع أن نقرر بكل ثقة أنه لا يخلو عصر من العصور التي مرت بها مصر من قيام ثورة سواء كانت إيجابية (مسلحة) أو سلبية (روحية). تلك هي حقيقة الشخصية المصرية في طابعها الثوري، وهي لا تتفق أبداً مع صفات الذلة والاستكانة التي وصفها بها بعض الباحثين، ولعل قصر نظرهم في فهم طبيعة الشخصية المصرية هو الذي دفعهم إلى مثل هذه الأقوال.

وقد ثبت لنا بالأدلة التاريخية التي لا تدع مجالاً للشك، أن المصري ثوري بطبيعة منذ أقدم العصور وحتى الآن. إن الإنسان المصري يثور عندما يتطلب الأمر منه ذلك، وإن كل ما يقال عن خضوعه واستكانته مرفوض تماماً، وافتراء كاذب من وضع ودسيسة الاستعمار قديماً وحديثاً، وذلك بقصد تدمير النفسية المصري وتحطيم معنوياتها^(٥٥).

ولكن الحقيقة إن الشخصية المصرية تثور عندما يتطلب الأمر منها ذلك، والشعب المصري لا يخدع بسهولة ، ولكنه يصبر طويلاً، فإذا ما تطلب الأمر ثورة فإنه لا يتردد في ذلك.

المبحث الثاني

حالة المجتمع المصري قبيل الفتح الفاطمي

قامت الدولة الإخشيدية في مصر (٩٦٩-٩٣٥هـ/١٥٨٣-٢٢٣) وتولى الإخشيديون حكم مصر. وقد استمرت ثورات المصريين ضدهم، بالإضافة إلى وقوع كثير من الجماعات في عهدهم بسبب اضطراب الإدارة الداخلية، لذلك تسارعت خطى التدهور إلى الدولة ويعكّرنا أن نجمل ذلك في عدة أسباب:

أولاً: الأزمات الاقتصادية:

تسارعت خطى الأزمات الاقتصادية إلى الدولة الإخشيدية، وزاد عددها، وأشتد الغلاء بمصر، وكانت الدولة تبذل كل الجهد في تخفيف ويلات هذه الأزمات.

ومن أهم هذه الأزمات ما وقع في عام (٩٤١هـ/١٣٢٩) حيث غلت الأسعار، واختفت الأقوات من الأسواق، وعز القمح^(٥٦) وتبع ذلك وباء شديد. وفي عام (٩٤٩هـ/١٣٣٨) في أيام أنجور بن الإخشيد وقعت مجاعة عظيمة، فشارت الرعية، ومنعوه من صلاة العشاء في جامع عمرو بن العاص^(٥٧). ثم وقعت مجاعة عظيمة استمرت لمدة ستين من عام (٩٥٣هـ/١٣٤١)، وحتى عام (٩٥٥هـ/١٣٤٣)، وكان سببها كثرة الفتران التي أكلت المحاصيل، وانخفص منسوب التل، وارتفعت الأسعار، وأشتد الغلاء حتى يبع القمح كل ويستين^(٥٨) ونصف (٤٢,٤٠ كلغ) بدینار، ومع ذلك لم يوجد. فشارت الرعية وكسروا منبر جامع عمرو بن العاص.

ولم تكن هذه المجاعة هي آخر مجاعات الدولة الإخشيدية، حيث وقعت مجاعة عظيمة استمرت خمس سنين متتابعة منذ عام (٩٦٣هـ/١٣٥٢)، وكان وراءها ثورات المصريين

انخفاض مستوى البيل حيث بلغ خمسة عشر ذراعاً وأربعة أصابع، وارتفع السعر ثلاثة أضعاف واحتفى القمح، وبيع كل ويدين بدينار. وفي (١٩٦٤ هـ / ١٩٥٣ م) زاد الخطر واضطرب الأمن، وعظم الغلاء، ونهاية الضياع والغلات، ودخل الناس جامعاً عمرو بن العاص، ومات رجل وامرأة من الزحام، ولم تصل الجمعة^(٥٩) يومئذ.

واستمرت هذه الجماعة حتى عام (١٩٦٨ هـ / ١٩٥٧ م)، وما زاد الموقف اضطراباً موت كافور الإخشيدى واختلاف الجندي والأمراء؛ ومن ثم وقعت الفتنة الداخلية في البلاد فنهبت الأسواق، وارتفعت الأسعار، وبيع القمح بدينار، واشتد الغلاء، وفشا الموت في الناس حتى عجزوا عن تكفيتهم ومواراهم^(٦٠). ونتيجة لاضطراب أحوال البلاد لم يحج من مصر سوي عدد قليل من الناس.

ونستطيع القول أن سلسلة المجاعات الطويلة هذه عجلت بسقوط الدولة الإخشيدية^(٦١) كما تركت أثارها على العمران، ويكفي للدلالة على ذلك أن عدد القرى أصبح في عام (١٩٥٦ هـ / ١٩٤٥ م) خمساً وتسعين وثلاثة وألفين قرية، بعد أن كان عددها في العصر الأموي أكثر من عشرة آلاف قرية.

ثانياً: ثورات المصريين:

هذا، ولم تكن المجاعات وحدها هي التي عجلت بسقوط الدولة الإخشيدية بل نستطيع القول: إن ثورات المصريين كان لها دور - غير مباشر - في سقوط الدولة الإخشيدية (١٩٦٩ هـ / ١٩٥٨ م). حيث قام المصريون بثورات كثيرة ضد الأمراء الإخشيديين. ومن هذه الثورات: ما قام به أحد العلوين في (١٩٤٢ هـ / ١٩٣٠ م) ويدعى ابن السراج، حيث انتهز فرصة خروج الإخشيد خاربة القرامطة لاسترجاع الشام وخلو الفسطاط من الجندي الإخشيديين فقام بثورة وأعلن الاستقلال بمصر. ولكن محاولته باءت بالفشل، وفر إلى إفريقيا.

قامت ثورة أخرى في عام (٣٣٥هـ / ١٩٤٧م) بقيادة رجل يسمى "غليون" متهماً فرصة خروج كافور الإخشيدي و أنجور للشام، فحاول الاستقلال بمصر. استمرت هذه الحركة حتى عام (٣٣٦هـ / ١٩٨٤م)، ثم قُضي عليها. وكان من نتائج هذه الثورة: أن شغلت الحكومة بهذه الثورة واضطربت الأمور في تلك السنة حتى لم يستطع أحد من المصريين الذهاب إلى الحج فيها^(٦٢). وخرج على الإخشيدين كذلك أحد أفراد قبائل بنى سليم ويدعى "محمد بن أحمد السلمي" في سنة (٣٥٢هـ / ١٩٦٣م)، محاولاً تقويض دعائم الدولة الإخشيدية. ولكن محاولاته باهتة بالفشل وانتهي مصيره بالاعتقال ، ثم عُفي عنه بعد ذلك^(٦٣).

كذلك حدث في سنة (٣٥٥هـ / ١٩٦٦م) أن خرج بنو سليم ، وقاموا بقتل كثير من الحجاج ونهبوا أمواهم وأمعتهم. كان معظم هؤلاء الناس من أهل الشفور والشام ومصر ، وهربوا بأموالهم وأهليهم خوفاً من هجوم الروم عليهم فاصدرين مكة للحج. فخرج عليهم بنو سليم، ومات من الناس في البرية مالا يحصى ولم يسلم إلا القليل^(٦٤). ولم يستطع الإخشيدين القضاء عليهم.

ومن الجدير بالذكر أن ثورات المصريين لم تكن بسبب خروج أحد الأشخاص على الولاة والأمراء فحسب؛ بل كان المصريون يشوروون إذا ازداد نفوذ أهل الذمة^(٦٥) في مصر . ومن ذلك ما حدث في عهد الأمير محمد بن طفع الإخشيذ سنة (٣٢٦هـ / ١٩٣٨م). عندما أذن للقطط بتجديد كنيسة أبي شنودة فافتى بعض الفقهاء بحقيقة القطط في ذلك؛ بينما انكر فريق آخر من الفقهاء . فشار المسلمين وأرادوا إشعال النيران في منازل الفقهاء الذين رأوا أحقيّة القطط في تجديد الكنيسة وتعميرها ، وأرادوا قتلهم ، كما أحاطوا بالكنيسة. مما اضطر الإخشيذ إلى التدخل لتهيئة الأمور فبعث بجنده لصرف المظاهرين، فرمواهم بالحجارة. فأرسل الإخشيذ

الفقيه أبي بكر بن الحداد مع أحد المهندسين فأقرَا بقاءها دون تعمير^(٦٦) وذلك خوفاً من ثورة المصريين المسلمين.

هذه غاذج من ثورات المصريين ضد الإخشيدين ، والتي عجلت - بلا شك — بسقوط الدولة الإخشيدية .

ثالثاً: الحروب الخارجية:

من العوامل الهامة كذلك التي مهدت الطريق للفاطميين لفتح مصر ، الأخطار الخارجية التي واجهت الدولة الإخشيدية . حيث قامت بمحاربة القرامطة برئاسة الحسن بن الأعصم القرمطي في بلاد الشام ، وخاضت كثيراً من الحروب ضد الحمدانيين والتوبين والبيزنطيين ، حيث وقعت بينهم عدة حروب أهلاها في سنوات ٣٢٩ هـ / ٣٤٤ هـ و ٣٤٥ هـ^(٦٧) . وما لا شك فيه أن هذه الحروب جعلتها بددت الكثير من موارد الدولة ، حيث كانت الدولة الإخشيدية تحمل إلى القرامطة في كل سنة ثلاثة عشر ألف دينار كما يقول المقريزي^(٦٨) .

رابعاً: الأطماع الفاطمية في مصر:

أما آخر هذه العوامل التي عجلت بسقوط الدولة الإخشيدية فهي أطماع الفاطميين في مصر. حيث بدأت هذه الأطماع مبكراً جداً، وذلك منذ قيام الدولة الفاطمية في المغرب على يد عبيد الله المهدي. حيث قام يارسال جيوشه في سنة ١٣٠ هـ — أي بعد مبايعته بالخلافة الفاطمية بأربع سنوات فقط — إلى مصر بقيادة حبابة بن يوسف ، ووصلت هذه الحملة إلى برقة ولكنها باعدت بالفشل لوصول الإمدادات من الخلافة العباسية بقيادة مؤنس الخادم للدفاع عن مصر . ولكن ظلت مصر حلماً يراود أطماع الفاطميين^(٦٩) .

تمددت أطامع الفاطميين في فتح مصر سنة ٣٠٦ هـ - حيث جهز الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي جملة عسكرية كبرى ، وأسند القيادة فيها لابنه أبي القاسم وكان هدفها الاستيلاء على مصر، وصلت طلائع الجيش الفاطمي إلى مدينة الإسكندرية واستولت عليها بالفعل ثم تقدم الجيش الفاطمي إلى الفيوم.

وهنا هبت القوات المصرية إلى جانب الأمراء الإخشيدية وحضر مؤنس الخادم من مقر الخلافة العباسية ، واستطاع الانتصار على الفاطميين للمرة الثانية. وخرج القواد ووجوه أهل مصر مرجين بعودته منتصراً، وأطلق عليه الخليفة المقتدر بالله العابسي لقب المظفر .

توقفت حملات الفاطميين على مصر - مؤقتاً - في زمن الخليفة القائم بأمر الله؛ الذي ولـيـ الخـلاـفةـ الفـاطـمـيـةـ بـعـدـ وـفـاةـ عـبـيـدـ اللهـ الـمـهـدـيـ . وـذـلـكـ بـسـبـبـ تـرـدـ قـبـائـلـ الـبـرـبـرـ . مع ذلك لم يغفل الفاطميون عن خطتهم في فتح مصر ، حيث تحرك الجيش الفاطمي في عام (٣٢٤ هـ / م ٩٣٦). ووصل إلى مدينة الإسكندرية ، ولم يتتجاوزها وانتهت الحملة بالفشل وعادت إلى المغرب.

يرجع بعض المؤرخين الحديثين^(٧٠) سبب فشل هذه الحملة إلى انتشار مرض الطاعون بين أفراد الجيش الفاطمي؛ وإلى ترد قبائل البربر بعد موت عبيد الله المهدي . والذي اضطر الخليفة القائم بأمر الله أن يخوض الحرب ضدهم . ولكن الخطير زاد بقيام ثورة أبي زيد مخلد بن كيداد الزناتي الذي اشتهر بلقب "صاحب الحمار" وزاد أمره في بلاد المغرب ، وكاد أن ينجح في ثورته ويقضي على الخلافة الفاطمية نهائياً؛ ولو لا وصول المدد من قبائل البربر الجنوبية لمساعدة الفاطميين لنجح في ذلك. وانتهت حركة أبي زيد بالقبض عليه^(٧١) ، ومات متأثراً بجراحه في ١٧ أخرم (٣٣٥ هـ / م ٩٤٧) في خلافة المنصور بالله الفاطمي .

وعندما آلت الخلافة للمعز لدين الله الفاطمي عمل على توطيد نفوذ الفاطميين في بلاد المغرب واتخذ سياسة جديدة تجاه مصر. يصف المؤرخون المعز الفاطمي بأنه كثير الذكاء والنجابة، قوي العزيمة يواجه الصعاب دونما خوف أو وجع، ويقف في عزم وثبات في وجه الثورات. كما كان في نفس الوقت رحب الصدر، طيب القلب، كثير الحلم، يتقن عدة لغات كاللاتينية، واليونانية، والسودانية^(٧٢) واستطاع أن يعيد الهدوء والسكون إلى البلاد، ويقضي على الثورات في بلاد المغرب. وكان يجمع معه زعماء قبائل البربر فيطلي عليهم على حاله وكافة شئونه. وكان دائماً يحثهم على النظام والتكاتف في نصرة الدين والدولة حتى ينشر السلام في ربوع بلاده، وكان بين لهم أنه مشغول بشئون الشرق (مصر) "بقدر ما هو مشغول بشئون المغرب.

وهكذا نرى أن المعز لدين الله مهد بلاد المغرب وسيطر عليها، حيث وصلت جيوش القائد جوهر الصقلي إلى ساحل المحيط الأطلسي، ليعلن بذلك سيطرة مولاه المعز لدين الله على هذه الأماكن. وببدأ المعز لدين الله يتطلع إلى الشرق "مصر"، مستغلًا الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة الإخشيدية؛ من ثورات داخلية، وحروب خارجية، ومجاعات وأوبئة. كذلك استطاع المعز لدين الله أن يهيا الرأي العام المصري لتقبل الفتح الفاطمي، وعمل على نشر المذهب الشيعي^(٧٣) في مصر على يد أعيانه، بل إن رسل المعز لدين الله وردت إلى كافور الإخشيدى يدعونه إلى الدخول في طاعته، فلما طافهم كافور^(٧٤) ولم يعط أي رد حاسم. واستطاع دعاة الفاطميين أن يأخذوا البيعة للمعز لدين الله من كثير من وجوه القوم، ورؤساء الجندي الإخشيديين من شق الطوائف.

ومن الأدلة التي تثبت نفوذ الفاطميين، وتدل على انتشار المذهب الشيعي في مصر، ما حدث بين الجندي السودانيين والأتراك، حيث كانوا يعصبون ضد المذهب الشيعي في أواخر الدولة الإخشيدية، وذلك عندما وقعت الفتنة بين الشيعة وأهل

السنة في يوم عاشوراء^(٧٥) سنة ٩٦١ هـ / ٣٥٠ م في الفسطاط، وكان الجنود يسألون من يقلبونه: مَنْ خالك؟ فإن لم يقل معاوية (ابن أبي سفيان) ضربوه. وطاف أحد المتحمسيين من الجنود يصبح في الطرقات: معاوية خال على (ابن أبي طالب) وبعده العامة في ذلك. ولم تستطع الحكومة الإخشيدية القضاء على هذه الفتنة؛ حتى إن أكثر الناس كانوا يصيرون في الطرقات: معاوية خال على !!^(٧٦).

بل حدث ما هو أكثر من ذلك، حيث وقف شيخان من عامة الناس على باب جامع عمرو بن العاص في كل يوم جمعة يناديان في وجوه الناس "معاوية خالي وحال أمير المؤمنين، وكاتب الوحي، ورديف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكانا يصيحان في وجه أبي جعفر مسلم الحسني معاوية خال على .

وحدث في عام (٩٦٣-٥٣٥ هـ) أن أخذ رجل من كبار الشيعة فعذب وضرب ضرباً مبرحاً حتى مات تحت وطأة العذاب في السجن، وحُلّ ليلاً ودفن للاشارة. فمضى جمع من الناس السنين لي nisiروا قبره، وأرسلت الحكومة المصرية طائفة من الجنود لمنعهم من ذلك، ونشب القتال بين الجنود الإخشيديين وعامة المصريين، واضطرب كافور الإخشيدي — للمحافظة على النظام — أن يفرض نظام منع التجول ليلًا، وأمر بتشديد الحراسة على أبواب المدينة المؤدية إلى الصحراء^(٧٧)، ومنع الناس من الخروج إليها إلا لضرورة.

كل هذه الأحداث تدل على محاولات الفاطميين المستمرة لنشر دعوتهم الشيعية في مصر حتى أن أهل السنة ضجوا وصاحوا بمحاجة الناس بهذه المقوله التي تدل على مذهب أهل السنة، معاوية خال على !!.

وهكذا نستطيع القول: إن الرأي العام المصري ثقى لاستقبال الفتح الفاطمي، حتى أن المؤرخ ابن تغري بردى يورد في كتابه: إن بعض المصريين طلبوا من العز

الفاطمي إرسال جنده لفتح مصر وقالوا له: "إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز الدنيا كلها ويعنون بالحجر الأسود الأستاذ كافور الإخشيدى الخصي"

وفي ظل هذه الظروف العصية توفى كافور الإخشيدى عام (١٣٥٧هـ/٩٦٨م)، واضطربت الحالة السياسية في البلاد، وتولى حكم البلاد أبو الفوارس أهد، وكان ما زال صغيراً في السن ، وتولى الوصاية عليه جعفر بن الفرات، حيث قضى على كثير من الموظفين، وصادر أملاكهم. وكان من بين هؤلاء يعقوب بن كلس الذي فر من مصر، واتصل بالمعز الفاطمي في بلاد المغرب، وحثه على النهوض بفتح مصر.

جهز المعز لدين الله قائد المظفر جوهر الصقلي لفتح مصر، حيث مهد الطريق المؤدية إلى مصر، وحفر عليها الآبار لتوفير المياه الازمة للجند، وزود الحملة بالعتاد والمؤن والرجال^(٧٨) وأنفق على إعداد هذه الجيوش ما يقرب من أربعة وعشرين مليون دينار، عدا ما جمله ألف جمل من الذهب الذي رصد للإنفاق على هذه الحملة. وتظهر ضخامة هذه الحملة الفاطمية التي أتت لفتح مصر، مما ورد على لسان المقرizi حيث وصفها بأنما "مثل جمع عرفات كثرة وعددا"^(٧٩). وصل عدد الجندي مائة ألف جندي. وأعطى المعز قائد جوهر الصقلي من المهام والاحترام ما يستحقه، حيث ترجل له ومشى بين يديه، وأمر كبار رجال دولته بالترجل بين يدي جوهر، وقال على مرأى من الناس بصوت مرتفع يسمعه الجميع: "والله لو خرج هذا وأشار إلى جوهر - لفتح مصر. ولتدخلن إلى مصر بالأردية من غير حرب ولتلزلن في خرابات ابن طولون، وتبني مدينة تسمى القاهرة تفه الدنيا"^(٨٠).

وهكذا ، تشابكت وتضافت عدة عوامل: مجاعات وأوبئة، وثورات المصريين، والأخطار الخارجية، والأطماع الفاطمية. لتؤدي في النهاية إلى سقوط

الدولة الإخشيدية، وانتقالها من مسرح الأحداث إلى ذاكرة التاريخ، وتبدأ صفحة جديدة من تاريخ مصر، اصطلاح المزركون على تسميتها باسم: "مصر الفاطمية". ولكن السؤال الآن: لماذا توجه جوهر الصقلي لفتح مصر؟ وكيف تم الفتح؟ وما هو موقف الشعب المصري من هذا الفتح؟ هذا ما سنتعرف عليه في البحث القادم.

هوامش التمهيد:

١- للفعل "عارض" معاني كثيرة في مدلولات اللغة ففيما يقال: عارض الشيء معارضة قابله، وعارضت كتابي بكتابه، أي قابله، وفلا يعارضني أي يعارضني ويتناقض ويروي ابن حجر أن جبريل - عليه السلام - كان يعارض الرسول القرآن في كل سنة وأنه عارضة في عام وفاته مرتين أي كان يدرسه جميع ما نزل في القرآن. من المعارضة بمعنى المقابلة والمدارسة، وهذا يعني أن "المعارضة" هي عملية مشاركة بين طرفين يقumen بما يحيط يقابلان ما عند بعضهما البعض ويتدارسانه. انظر مزيداً من التفصيل في الرازي: (محمد بن أبي بكر عبد القادر)، *مختار الصحاح*: دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٦٧م، ص ٤٢٤.

وانتظر: معجم الفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٤١٩. ابن حجر: (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ) *فتح الباري* بشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٧م، ج ٨، ص ٦٥٩ - ٦٧٠، وتعرف المعارضة في اللغة الإنجليزية — Opposition وهي اسم مصدر للفعل المعدي من معانٍ: يقابل، يقارن، يقام، يعارض، ومنها يشتغل Opposite بمعنى المضاد أو القبيض، المتعارض، المعاكس، انظر:

Oxford inter mediate: oxford university press 1981 first published fifteenth impression. P 188.

٢- سورة آل عمران آية ٤، وفي عموم حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن، انظر ابن كثير (عماد الدين أبو القداء إسماعيل القرشي ت ٧٧٤هـ) *تفسير القرآن العظيم*، دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ، ج ١، ص ٣٩٠.

٣- يعتبر مفهوم "الديمقراطية" من أكثر المفاهيم اتساعاً واحتلاطاً إلى الحد الذي تكاد فيه الكلمة أن تفقد معناها الأصلي، فتلك الكلمة التي تعنى في الأصل اللغوي لها "حكم الشعب" قد أصبح لها على مستوى الاستخدام الاصطلاحى السياسى ما لا يقل عن ثلاثة تعاريف مختلف وكلمة "ديمقراطية" من أصل لاتيني وتكون من شقين هما: domo- gratia ومتناها حكم الشعب. انظر مزيداً من التفصيل د/ نيفين عبد الخالق مصطفى: *المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي*، مكتبة الملك فيصل الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ٣٨ - ٣٩.

٤- د/ محمد ضياء الدين الرئيس: *النظريات السياسية الإسلامية*، دار التراث، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٧٩م، ص ٥٢.

٥- الرازي: *مختار الصحاح*، ص ٨٩.

- ٦- ابن منظور: لسان العرب، دار المعرف، القاهرة، ١٩٨٠، جـ٦، ص ٥٢١-٥٢٢.
- ٧- بجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص ٨٩، الزعشي (جبار الله أبي القاسم محمد بن عمرت عام ٥٣٨هـ) أساس البلاغة، جـ١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص ٣٠٣.
- ٨- سورة البقرة آية ٧١.
- ٩- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ١، ص ١١٠-١١١.
- ١٠- سورة الروم، آية ٨.
- ١١- الفرقاني (محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج ت ٦٧١هـ) : الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، ط٢، جـ١، ص ٤٥٣.
- ١٢- ابن الأثير (مجد الدين أبي المسعدات المبارك بن الجوزي ت ٦٠٦هـ) النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحد الزاوي و محمد محمود الطناхи، المكتبة الإسلامية، القاهرة جـ١، ص ٤٤٦.
- ١٣- ابن منظور: لسان العرب، جـ٦، ص ٥٢٢.
- ١٤- ابن حنبل: (أحمد بن حنبل الشيباني ت ٢٤١هـ) المسند، تحقيق أحد شاكر، طبعة قرطبة، حدیث (٤)، وأبودارد (سلیمان بن الأشعت السجستاني ت ٢٧٥ هـ) : سنن أبي داود، طبعة دار الفكر، حدیث (٤٤٣٥).
- ١٥- مسلم (مسلم بن الحجاج القشيري ت ٢٦١هـ) صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الإيمان، حدیث (١١).
- ١٦- الخوارج : كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى (خارجياً) وظهر الخوارج على مسرح الأحداث أثناء الصراع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان بعد موقعة صفين سنة ٣٧هـ وما ترتب عليها من مسألة التحكيم، ورفض الخوارج له، وخروا على علي بن أبي طالب حتى قاتلهم في النهرawan مما جعلهم يضمرون قتلهم سنة ٤٠هـ. والخلافة عندهم يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين، وليس بضروري أن يكون الخليفة قريشاً، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة أو حقاً واجباً، وأهم فرقهم : الحكمة، والأزارقة، والصفورية، والإباضية. البغدادي (عبد القاهر بن طاهر ت ٢٩٤هـ) : أفرق بين الفرق، مطبعة المعرف، القاهرة، ١٩٢٤م، ص ٦٥-٦٦ ابن حزم (علي بن أحمد بن حزم الظاهري ت ٤٥٦هـ) : الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، جـ٢، ص ١٤٤ - ١٤٥، الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر ت ٥٤٨هـ) الملل والنحل، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، جـ١، ص ٢٥٦-٢٦٥، أحد

- أمين : فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤ م، ط، ٩، ص ٢٥٦، وضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩ م، ج ٢، ص ٣٣٠.
- ١٧- المقريزي: اتعاظ الخفا، ج ١، ص ٢٤٥.
- ١٨- د/ محمد عمارة : الإسلام والثورة، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ط ٣، ص ١٠.
- ١٩- سورة الشوري، الآيات ٣٩ - ٤١.
- ٢٠- كلمة Revolution تعني الخروج على الحكومة القائمة وذلك بحكومة جديدة، وتعني كذلك التغيير الشامل " a complete change " وعلى ذلك فلا يوجد اختلاف كبير بين اللغة العربية واللغة الأجنبية حول معنى الثورة، ويجب علينا أن نستعمل لفظ (الثورة) كما هي في =اللفظ العربي الأكثر اتساعاً والأعم شرلأ.
- Oxford inter mediate (dictionary) : op. cit.p. 228.
- ٢١- د / محمد عمارة : المرجع السابق، ص ١٠.
- ٢٢- محمد عبد الفتاح أبو الفضل: تأملات في ثورات مصر - علي ضوء قراءات تاريخية - سورة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤ م، ط ١، ج ١، ص ١٠.
- ٢٣- محمد أبو الفضل : نفس المرجع ، ص ٩.
- ٢٤- محمد أبو الفضل : نفس المرجع، ص ١٠.
- ٢٥- د / نيفين عبد الخالق : المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي، ص ٢٠، ٢١ .
- ٢٦- P.(VATIKLOTIS : Revolution in the middle east and other case studies, London, Georgo Allen, unwin, 1972, pp. 2.3.
- ٢٧- د / نيفين عبد الخالق : المعارضة في الفكر السياسي، ص ٤٣.
- ٢٨- د/ نيفين عبد الخالق : نفس المرجع، ص ٤٢.
- ٢٩- د / قاسم عبد قاسم : أهل الهمة في مصر العصور الوسطي - دراسة وثائقية - دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧ م، الطبعة الأولى، ص ١٨١.
- ٣٠- د/ قاسم عبد قاسم : نفس المرجع، ص ١٨٢.
- ٣١- محمد أبو الفضل : تأملات في ثورات مصر، ص ١١.
- ٣٢- د / نيفين عبد الخالق : المعارضة في الفكر السياسي، ص ١٢٨.
- ٣٣- د / أحمد سيد محمد : الشخصية المصرية في الأديان الفاطمي والأيوبي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢ م، الطبعة الثانية، ص ٩.
- ٣٤- د/ جمال حمدان : شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، دار الملال، القاهرة، لم تذكر سنة الطبع،

- جـ١، ص ١٦ .
- ٣٥ - د/ أحد سيد محمد : المرجع السابق، ص ١١.
- ٣٦ - الإصطخري : (ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكريخي توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري) : المسالك والممالك، تحقيق د/ محمد جابر عبدالعال مراجعه د/ محمد شفيق غربان، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م، ص ٤. ومن المراجع الحديثة انظر إميل لودفيغ: البيل حياة مصر، ترجمة عادل زعير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م / ١٤٢٠هـ، ص ١٤ - ١٥.
- وعن أثر البيل في تكوين مصر انظر د/ جمال جдан : شخصية مصر، جـ ١، ص ٤٦.
- ٣٧ - أحد أمين: صحي الإسلام، جـ ٢، ص ٨٤.
- ٣٨ - المقدسى (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحد بن أبي بكر ت ٣٩٠هـ) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق M.J.DOFJE طبعة ليدن، ١٩٠٩م، ط ٢، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.
- ٣٩ - ابن طهير : الفضائل الباهرة في مخاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا، كامل المهندي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٢٠٤.
- ٤٠ - المقريزي: الموعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الآداب، القاهرة، جـ ١، ص ٧١، ٧٩.
- ٤١ - الإسلام قد سوي بين الجميع فلا يجوز أن نطلق على الحاكم المسلم أجنبي لأنه غير مصري.
- ٤٢ - د/ أحد سيد محمد : الشخصية المصرية، ص ٣٣.
- ٤٣ - د/ حسين نصار : التورات الشعبية في مصر الإسلامية، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٨.
- ٤٤ - د/ جمال جدان: شخصية مصر، جـ ٢، ص ٥٩٣.
- ٤٥ - د/ أحد سيد محمد : الشخصية المصرية، ص ٣٤.
- ٤٦ - الخراج : هو ما وضع على الأرض من حقوق تزدي عنها، وفيه نص من القرآن الكريم، قال تعالى : أَمْ شَتَّلُهُمْ خَرِاجٌ وَلَكُمْ خَيْرُ الرُّازِيقَينَ المؤمنون آية ٧٣. وكان خراج مصر في عهد الأميين والعباسيين يقارب الثلاثة ملايين دينار، ويؤخذ عن الأراضي التي تزرع حبوبًا ومحاصلاً وعنبًا وفاكهه، وما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج، أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنباري ت ١٨٢هـ) : الخراج، تحقيق محمد إبراهيم البنا، دار الإصلاح، القاهرة، ص ٥٦ - ٦٩، الماوردي (علي بن محمد البصري ت ٤٥٠هـ) : الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ص ١٥١ - ١٥٥، المقريзи : الخطط، جـ ١، ص ٩٨ - ١٠٣، د/ محمد ضياء الدين الرئيس: الخراج والنظام المالي للدولة الإسلامية، دار الأنصار، القاهرة.

- ١٩٧٧ م، ط ٤، ص ١٢١ - ١٢ .
- ٤٧ - الكندي : ولادة مصر، ص ١٠٣، ابن تغري بردي: التحوم الزاهرة، ج ١، ص ٢٨١
- ٤٨ - المقريزي: الخطط، ج ٤، ص ٣٩٥ .
- ٤٩ - المقريзи: نفس المصدر، نفس الجزء، ص ٣٩٦، ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣.
- ٥٠ - د/ أحمد السيد شحاته: الخوف الشرقي، ص ١٤٨ .
- ٥١ - ابن تغري بردي: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ٨٧ - ٨٨، ابن إيلاس: بداع الزهور، ج ١ ق ١، ص ١٣٩ .
- ٥٢ - الكندي : ولادة مصر، ص ٢١٤، المقريزي : الخطط، ج ٢، ص ١٠٠ - ١٠٢ .
- ٥٣ - المقريзи: نفس المصدر، ج ١، ص ١٢٨ ، ابن تغري بردي : التحوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٦ .
- ٥٤ - د/ سيدة إسماعيل كاشف : مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطرلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٤٩ .
- ٥٥ - د/ جمال حдан : شخصية مصر، ج ٢، ص ٥٨٧ .
- ٥٦ - د/ سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٣٤٦ . د/ أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية- أسباب ونتائج- دار النضامن، بيروت، ١٩٨٨م، ط ١، ص ٢٠ .
- ٥٧ - هذا الجامع بمدينة الفسطاط: يقال له تاج المرامع، الجامع العتيق. شرع عمرو بن العاص في بناءه بعد بناء مدينة الفسطاط، وهو أول جامع بني في مصر، وكان طوله أولاً نحو خمسين ذراعاً في عرض ثلاثين ذراعاً، وحدد قبته ثمانين من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم. المقريзи: الخطط، ج ٤، ص ٢٠ - ٢١ ، السيوطي: حسن الحاضرة، ج ٢، ص ٢٠٩ ، د/ كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية في مصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٤ .
- ٥٨ - الوربة : ميكال للحروب سمعه سلس الإردد، وكانت قدّيماً تساوي كثرة مصرية بكمياتها الحالية. د/ ضياء الدين الرئيس: الخراج والنظم المالية، ص ٤٢٥ .
- ٥٩ - يحيى بن سعيد (بن يحيى الأنطاكي ت ٤٥٨ هـ) : تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوبيخا تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري، جرسوس برس، لبنان، ١٩٩٠م، ص ١٢٢ ، المقريзи: إغاثة الأمة يكشف الدرة، تحقيق د/ جمال الدين الشيال. د/ مصطفى زيادة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٣٩ .
- ٦٠ - ابن الأثير : الكامل، ج ٨، ص ٥٩٠ ، د/ طه شرق : المعز لدين الله، التهضة المصرية،

- القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٧٩-٨٠.
- ٦١- د/ سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين، ص ٣٤٦.
- ٦٢- المقريزي : الخطط جـ٢، ص ١٢٨، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، جـ٤، ص ٣-٢.
- ٦٣- ابن الأثير : الكامل، جـ٨، ص ٥٧٤، أبو الفدا : المختصر، جـ٢، ص ١٥٢.
- ٦٤- يحيى بن سعيد : تاريخ الأنطاكي، ص ١٠٢، ابن الأثير : نفس المصدر، نفس الجزء، ص ٥٧٤.
- ٦٥- أهل الذمة : هم المستوطرون من غير المسلمين في البلاد التي فتحها المسلمون وصاروا حكماها. والذمة في اللغة هي العهد والأمان والضمان والمتبعون بهذا العهد يسمون أهل الذمة، والمراد بهم أهل الكتاب (التوراة والإنجيل) وهم اليهود والمسيحيون ومن في حكمهم ومن لا كتاب يحاوي لهم، وهم: الجنوس والسامية والصابئة. الماوردي : الأحكام السلطانية، ص ١١، ١٣٧. ابن الأخرة (محمد بن محمد بن أحمد القرشي ت ٧٢٩هـ) معلم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق د/ محمد محمود شعبان، وصدق أحد عيسى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٩٢، ابن قيم الجوزية (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ت ٧٥١هـ) أحكام أهل الذمة، تحقيق د/ صبحي صالح، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٢، جـ٢، ص ٢٠٨.
- ٦٦- ابن سعيد : المغرب، جـ١، د/ فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية مصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، جـ١، ص ٤٤٨.
- ٦٧- المقريзи : الخطط جـ١، ص ١٩٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٣، ص ٣٢٦.
- ٦٨- العاظ الخفاف، جـ١، ص ١٨٧.
- ٦٩- د/ عبد المنعم ماجد : ظهور عخلافة الفاطميين، ص ١٤٥.
- ٧٠- د/ عبد المنعم ماجد : نفس المرجع، ص ١٠٢.
- ٧١- ابن الأثير : الكامل، جـ٨، ص ٤٢٢، د/ عارف تامر : القائم والنصرور الفاطميان، أسام ثورة المخوارج، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٢-٤٣٨، ص ١٩٨٣م، ط ١، ص ٣٥-٣٦.
- ٧٢- د/ حسن إبراهيم : المعز لدين الله ص ٨٢. د/ عارف تامر : المعز لدين الله واضع أمر الوحدة العربية الكبرى، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ص ٦٧. إبراهيم جلال : المعز لدين الله الفاطمي وتشييد مدينة القاهرة، سلسلة الألف كتاب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٢٣.
- ٧٣- الشيعة: هم الذين شابعوا على بن أبي طالب، وقالوا يامامته وخلاقته نصّاً ووصية إماماً جليساً وأماماً خفياً، وهم فرق كثيرة. الشهر ستاني: الملل والنحل، جـ١، ص ١٣١، أحد أمرين: فجر الإسلام، ص ٢٦٧، ضحى الإسلام، جـ٣، ص ٢١٠ وما بعدها.
- ٧٤- ابن الأثير : الكامل، جـ٨، ص ٥٨١، المقريзи: الخطط، جـ٢، ص ١٦٥، ابن تفسيري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص ٢.

- ٧٥- هو: اليوم العاشر من المحرم وتحذف الشيعة يوم عزاء وحزن على مقتل الحسين بن علي في كربلاء عام ٦٢ هـ ، وكثيراً ما كانت تعطل فيه الأسواق، ويصبح الرجال بالنياحة والبكاء ويعمل فيه السماط العظيم المسماي سماط الحزن. المقريزي: الخطط، جـ ٢ ص ٢٨٩-٢٨٥.
- ٧٦- المقريزي : نفس المصدر ، جـ ٤ ص ١٥٥، د/ سيدة كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص ٣٣٣.
- ٧٧- المقريзи: نفس المصدر،نفس الجزء ، ص ١٥٦ ، د/ سيدة كاشف: نفس المرجع، ص ٣٣٤.
- ٧٨- د/ محمد محمد زيتون: القiroان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ١٠٠، د/ حسن إبراهيم حسن : المعز للدين الله، ص ٨٤.
- ٧٩- المقريзи : العاظ الخفاف، جـ ١، ص ١٠٧ .
- ٨٠- المقريзи: الخطط، جـ ٢، ص ٢٠٥ .

الفصل الأول

الثورات في مصر عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي

المبحث الأول

(الفتح الفاطمي لمصر)

(أ) أحداث الفتح:

تركنا الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٩٥٢ هـ / ٩٧٥-١٠٣٦ م) في المبحث السابق - يodus جيش القائد الفاطمي جوهر الصقلي، ويخته على سرعة فتح مصر. وبالفعل تحرك جوهر من مدينة القิروان بجيش وصل إلى مائة ألف مقاتل^(١) سنة (٩٦٩-١٠٣٥ هـ)، وعندما رأى ابن هانى الأندلسى - شاعر المعز لدين الله - هذا الجيش الضخم نطق لسانه يصف هذا الحشد الضخم بأبيات رائعة فقال:

رأيت بعيني فوق ما كنت أسع
غدة كأن الأفق سد بمثله وقد راعني يوم من الحشر أروع
فلم أدر إذ دعت كيف أودع فعاد غروب الشمس من حيث تطلع
وسار هذا الجيش الضخم يصبحه بعض القطع الخربية في طريقها إلى مدينة
الإسكندرية، ووصل جيش جوهر الصقلي البري إلى مدينة برقة ومنها سار إلى
الإسكندرية، ولم يجد مقاومة تذكر فدخلها بسهولة، وأعلن سيطرته عليها.
وعندما وردت إلى الفسطاط أخبار استيلاء جوهر الصقلي على الإسكندرية
حدث اضطراب وجزع شديد بين الرعية، نظراً لحالة الضعف الذي ياتت تعانيه
البلاد. ومع ذلك يطالعنا المقريزي أن أهل مصر اجتمعوا على مقاومة جوهر ولكن

هذا الموقف لم يطل، حيث عادوا إلى المراسلة بالصلح وتشاورت القيادة المصرية برئاسة الوزير جعفر بن الفرات، والقاضي أبو طاهر الذهلي وغيرهم. واستقر الرأي - أخيراً - على إرسال وفد منهم إلى القائد جوهر الصقلي لطلب الأمان على أرواح المصريين وأملاكهم، وذهب الوفد الذي "لم يتأخر عن تشبيعه قائد، ولا كاتب، ولا عالم، ولا شاهد، ولا تاجر"⁽³⁾ وفي هذا دلالة على أن جميع طوائف الشعب المصري كانت موافقة على هذا الصلح، وأنه تم بناءاً على رأيهما ومشورتهم. وبالفعل؛ وصل الوفد المصري إلى القائد جوهر، واستقرت المباحثات على إعطاء المصريين كتاب أمان، فيه عدة مبادئ تكفل الأمن والحرية المذهبية للمصريين.

وهكذا؛ أصبحت الفسطاط مجهزة لاستقبال القائد جوهر الصقلي، الذي تحرك من مدينة برقة في موكب حافل بين يديه أحوال المال التي جاء بها من المغرب، ودخل الفسطاط. و بذلك استطاع جوهر أن يحقق الحلم الذي رواه الخلفاء الفاطميين منذ أن وطئت أقدامهم أرض المغرب، ذلك الأمل الذي بذل في سبيله المهدى، وابنه القائم، الكثير من المال والرجال، إلا إنهما فشلا في تحقيقه، وأنه المعز لدين الله؛ الذي فرح فرحاً شديداً حين جاءته البشرى بهذا الفتح العظيم وأخذ الشعراء يهتفون بهذا النصر، فقال شاعره ابن هانئ الأندلسى:

يقول: بنو العباس هل فتحت مصر فقل لبني العباس قد قضى الأمر

(ب) أعمال جوهر الصقلبي في مصر:

بعد دخول القائد جوهر مدينة الفسطاط، شرع في القيام بأعمال كثيرة تدل على أن الفاطميين أرادوا أن يتخدوا من مصر مركزاً لخلافة جديدة، يتسعون منها إلى بقية العالم الإسلامي، محاولين نشر التشيع في مصر.

*تأسيس القاهرة:

ارتبط بناء المدن في الإسلام بالفتح^(٥) فغالباً بعد أن يتم فتح جديد للبلاد، يعقبه اتخاذ عاصمة جديدة لهم، تظهر فيها شعائرهم، ولكن يتركوا الحرية الكاملة لأهالي البلاد المفتوحة ليقوموا بأعمالهم في حرية تامة. هذا ما فكر فيه القائد جوهر بعد دخوله الفسطاط، حيث بات المصريون في الأمان الذي أعطاه لهم فلما أصبحوا وحضروا لتهنئته وجدهم قد وضع أساس العاصمة الجديدة، حيث أراد جوهر الصقلي اتخاذ قاعدة جديدة للحكم، تحمل طابع الفاطميين، وتميز - في الوقت نفسه - عما سبقها من قصبات الحكم. لذا حرص القائد الفاطمي ليلة وصوله الفسطاط على وضع حجر أساس المدينة الجديدة، وكأنه كان ينفذ رغبة من رغبات سيد المعز للدين الله، حين ودعه في القبروان بقوله: "والله لو خرج هذا لفتح مصر، ولتدخلن إلى مصر بالأردية من غير حرب، ولترتلن في خرابات ابن طولون، وتبني مدينة تسمى القاهرة، تفهر الدنيا"^(٦).

ولكن السؤال الآن: ما الغرض الذي من أجله بنيت المدينة الجديدة؟ أو بصيغة أوضح، لماذا قام جوهر الصقلي ببناء مدينة القاهرة؟؟

في الحقيقة تعددت الأسباب التي من أجلها قام القائد جوهر ببناء المدينة الجديدة، يمكننا أن نرجع هذه الأسباب - مع الإيمار الشديد - للاتي:

أولاً: يعزى المقرizi^(٧) سبب بناء القاهرة بهذه السرعة، وإحاطتها بسور ضخم من الطوب اللبن إلى خوف الفاطميين من هجوم القرامطة المترب، خاصة بعد حرمانهم من ضريبة المال التي كانت تؤديها مصر لهم في عصر كافور الإخشيدى، والتي وصلت إلى ثلاثة عشر ألف دينار^(٨).

ثانياً: كان جوهر يعلم أن مصر من أهم ولايات الدولة العباسية، وأن العباسين لن يتركوا مصر تخرج من حوزتهم، ولابد أنهم يجهزون جيشاً لأخذها^(٩).

ثالثاً: مخاوف جوهر من خطر الروم الذين زاد نفوذهم في بلاد الشام، وكانوا يحاولون إعادة سيطرتهم على ولايائهم المفقودة - مصر - وإذا تذكرنا أن جوهر الصقلي قد ذكر في الأمان الذي أعطاه للمصريين أنه جاء إلى بلادهم خاربة الروم، عرفنا أن بناء القاهرة جاء أمراً طبيعياً لرد هذا العدوان المتوقع.

رابعاً: خوف جوهر من ثورات المصريين، خاصة بعد نزول الجنود المغاربة إلى مصر حيث كانوا يعيشون فيها فساداً، وكثيراً ما وقعت المصادمات بينهم وبين المصريين، فأراد جوهر أن يبني مدينة جديدة لجنه، حتى لا يثير شعور المصريين فكان منادي جوهر "ينادي كل عيشة لا يبيت أحد في المدينة من المغاربة"^(١٠) وفي نفس الوقت يقوم بنشر المذهب الشيعي في مصر، بعيداً عن معارضة المصريين.

إذا عرفا سبب بناء القاهرة، فالسؤال الآن: لماذا سميت بهذا الاسم؟ ولم تسم بأي اسم آخر؟؟

في الحقيقة إن بناء المدن الإسلامية يكتنفه بعض الغموض، وذلك لاختلاط الحقيقة بالأسطورة، وفي بناء - القاهرة - نواجه نفس الحيرة، وذلك يرجع إلى تعدد الروايات التاريخية التي تحدثت عن بناء المدينة، ويمكننا إيجاز هذه الآراء فيما يلي:

الرأي الأول: ذكر بعض المؤرخين^(١١) أن سبب تسمية المدينة بالقاهرة يرجع إلى قصة الغراب الذي وقف على الأسلامك ذات الأجراس فجعلها تدق مؤذنة لعمال البناء بوضع أحجار الأساس، بينما كان النجمون يربون السماء يتظرون ظهور نجم سعيد ليبدأ البناء. وأحسب أن هذه القصة من خيال الكتاب والمؤرخين الذين كانوا يعرفون شغف الفاطميين بالنجوم والتنجيم. وهذه الأسطورة تخدم أعداء الفاطميين أكثر مما تخدم الدولة الفتية التي بنت القاهرة عاصمة جديدة لها.

وهناك رأي ثان: ينسب القاهرة إلى مدينة فرعونية قديمة اسمها "بكا Ebkahi" ثم حرف هذا الاسم إلى قاهرة^(١٢).

الرأي الثالث: يرجع بعض المؤرخين تسمية القاهرة إلى أنه كان بـصور الفاطميين قبة تسمى القاهرة، فسميت على اسمها العاصمة الجديدة للبلاد. وقيل إنما سميت في البداية بالمنصورية؛ نسبة إلى المنصور والد المعز لدين الله الفاطمي. ثم تغير اسمها إلى القاهرة. والمؤرخ ابن تغري بردي - الذي ذكر هذا الرأي - ألقى بظلال من الشك حوله فقال: "(تسميتها المنصورية) هو المواتر بين الناس والأقوى"^(١٣).

وصفة القول: أن القائد جوهر قد وضع أساس العاصمة الجديدة وأطلق عليها اسم المنصورية - نسبة إلى المنصور والد المعز الفاطمي - وعندما حضر المعز لدين الله إلى مصر أطلق عليها اسمها الجديدة "القاهرة" وذلك لمغزى سياسي وهو: الإعلان بأن هذه العاصمة الجديدة سوف تفهر الأعداء وكل "من شذ عنها ورام مخالفه أميرها"^(١٤) لاسيما العباسين في بغداد. يقول ابن ظهير تعليقاً على الآراء السابقة "والصحيح ما قلناه.

أما إذا حاولنا أن نضع وصفاً سريعاً للمدينة الجديدة - القاهرة - التي وضع أساسها جوهر الصقلي يتضح لنا أنها كانت صغيرة في البداية بلغ "طول كل جانب من جوانبها ألفين ومائتي متر، ومساحة هذا المكان ٣٤٠ فدانًا، وكان قصر المعز يشغل منها مساحة مقدارها سبعون فدانًا، وكانت حديقة كافور تشغل منها خمسة وثلاثين فدانًا، وخمسة وثلاثين فدانًا للمكان المخصص لاستعراض الجندي، والباقي وقدره مائتا فدان لسكن العسكر". وكان حول القصر الكبيرة خطة عرفت باسمها، فاختطفت جماعة من برقة حارة البرقية، واحتخط الروم حارتين أحددهما حارة الروم الخارجية، والأخرى حارة الروم الجوانية، ثم تابعت القبائل بناء حارات هم مثل: حارة الديلم، والباطلية، وكثامة، وغيرها من القبائل^(١٥).

وقد أحاطتها جوهر الصقلي بسور كبير من الطوب اللبن الضخم. أدرك المغريزي قطعة منه كانت باقية حتى عام (١٤٠١هـ/٢٠٨٠م) فأعجب ببنائه، وذلك

أن اللبنة الواحدة منه كانت قدر ذراع في ثلث ذراع، وأن عرض جدار السور عدة أذرع وأنه يسع أن يمر به فارسان^(١٦)، وكان للسور عدة أبواب: فكان في جهته القبلية بابان متلاصقان يقال لهما: باب زويلة، وفي جهة البحريّة بابان متبعادان هما: باب الفتوح وباب النصر، وفي جهة الشرقية بابان هما: باب البرقة والباب الجديد، وفي جهة الغربة بابان هما: باب القنطرة، وباب سعادة^(١٧) ثم تم بناء أسوار أخرى^(١٨).

*الجامع الأزهر^(١٩): بعد أن وضع جوهر الصقلبي حجر أساس مدينة القاهرة، وضع معه - كذلك - حجر أساس الجامع الأزهر وافتتح للصلوة فيه بصفة رسمية في يوم الجمعة ٧ رمضان (١٣٦١-٩٧٢م)، وكان الغرض من بناء هذا الجامع أداء الشعائر الشيعية فيه. كما كان يعتقد أن المصريين سوف يترجّهون للصلوة فيه، ومن ثم يتأثرون بالذهب الشيعي. إلا أن المصريين لم يصلوا فيه في البداية يقول المقريزي: "ولم يصل أهل مصر (في الأزهر) وصلوا من الغد في الجامع العتيق، وخطب لهم رجال هاشمي".^(٢٠)

وسُي هذا المسجد عند إنشائه بجامع القاهرة، وقيل سُي بالجامع الأزهر نسبة إلى القصور الراخمة الفاطمية، وقيل سُي بذلك نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت المصطفى - صلي الله عليه وسلم - ثم ما لبث الأزهر أن أصبح معهداً ومركزاً للعلم والعلماء.

يقول ابن ظهيرة: "وجامعتها الأزهر بالخصوص فليس في الدنيا الآن - فيما أعلم - له نظير، ولا ينقطع ذكر الله تعالى عنه طرفة عين في ليل ولا نهار، وفيه أروقة لأصناف من الخلق منقطعين لعبادة الله تعالى، والاستغفال بالعلوم وتلاوة القرآن (الكريم) لا يفترون ساعة".^(٢١)

على كل حال، بني هذا المسجد ليكون مقرأً للعبادة، ولكن ما لبث أن أصبح جامعاً وجامعة للعلوم^(٢٢) في مصر في مختلف العصور، وهي الإسلام واللغة العربية وكافح ضد الاستعمار الغربي – بكافة صوره حتى الوقت الحاضر.

المبحث الثاني

(ثورات المصريين)

بعد الفتح الفاطمي لمصر (١٣٥٨هـ/٩٦٩م) بدأية صفحة جديدة في تاريخ مصر السياسي حيث أصبحت مصر لأول مرة في تاريخها دار خلافة بعد أن كانت مجرد ولاية تابعة لإحدى العواصم الكبرى (المدينة المنورة، دمشق، بغداد).

وإذا كانت مصر قد شهدت الفاتحين الذين يتبعون عملية الفتح باستزاف خيراً مما إلى القواعد التي جيشت لفتحها الجيوش، فإنما قد شهدت للمرة الأولى فتحاً لا يرسل خيراً مما خارج حدودها، بل يأتي هو بأمواله ليستقر فيها.

وإن كان الفتح الشيعي الفاطمي للمجتمع المصري السني المذهب أمراً فريداً في نوعه، فهو في نفس الوقت ليس فيه شبهة يمكن أن يتعلق بها أولئك الذين يتوهمون فيه دليلاً على سلبية المصريين، وخصوصهم المستمر والأبدى للغارة الفاتحين ، وذلك لأن الدعاية الشيعية - في مصر - قد نجحت إلى حد كبير في تقييد عقول المصريين لتقبل هذا الفتح الشيعي، خاصة إذا علمنا أن الحركات الشيعية كانت تعتمد على الدعوة وسلطان الفكر وغزو العقول قبل أن توجه الجيوش لفتح البلاد.

إذا علمنا ذلك فهل صحيح ما يردد المستشرقون، ومن سار على دربهم من المؤرخين والباحثين العرب، الذين أقروا المصريين بالجنون والمذلة، يقول ستانلي لينبول عن الفتح الفاطمي لمصر: "إن المصريين لم يقاوموا (الفاطميين) مقاومة تذكر، إذا كان الإجهاد قد أصابهم نتيجة انتشار الطاعون في البلاد، وكانوا في حاجة إلى قائد كفء، هذا فضلاً عن ترد الجنود المصريين، وأخيراً كان هناك كثير من المعضدين للخلافة الفاطمية من كانوا يعملون في السر ومن كان لهم أثر في مصر" (٢٣).

وما يردده أحد العلماء والمفكرين المصريين حين قال: "لا يستطيع باحث أن يزعم أنه قد حدثت بمصر الفاطمية ثورات شعبية ضد الحكم الفاطمي، ولا أن الشعب قد نظم صفوفه لمقاومة المظالم الاجتماعية" والسبب في رأيه يرجع إلى: "إن كتب التاريخ لا تسعفنا بالماددة التي تزهلتنا للخوض في هذا الحديث، حديث قيام الثورات"^(٢٤).

والبحث التاريخي والأمانة العلمية ثبت أن الجنود الإخشيديين وبجانبهم بعض المصريين قد قاوموا الفتح الفاطمي لمصر (١٩٦٩ـ١٩٥٨) وإن المصريين قد قاموا بثورات سياسية، واقتصادية، وليس المقصود بالثورة - في هذا البحث - هو الانقلاب المنظم الشامل الذي يهدف إلى تغيير السلطة السياسية في البلاد، بل يشمل كذلك حركات التمرد والعصيان والانتفاضة التي قام بها المصريون ضد الخلافة الفاطمية. وقد تعددت أشكال هذه الثورات بمعنى أنها قد تأخذ التوجه السياسي أو الاقتصادي أو الديني - مثلاً - ولكن في نفس الوقت قد تشارك هذه العوامل جميعاً لقيام ثورة واحدة.

أولاً: الثورات السياسية:

أشرت سابقاً إلى عهد الأمان الذي أعطاه جوهر الصقلي للمصريين، والذي أعطاهم فيه بعض الوعود البراقة، وإن كان العهد لم يخل - في نفس الوقت - من التهديد: "فلا تحمدوا الله على ما أولاكم، وتشكروه على ما حاكم، وتذلوا فيما يلزمكم، وتتسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم، العائدة بالسلامة لكم، وبالسعادة عليكم"^(٢٥). فهل أخدع المصريون بهذا الأمان الفاطمي؟ وهل استسلموا لهذا الفتح الجديد الذي أصبحت فيه بلادهم؟

في الحقيقة إن المصريين لم ينخدعوا بعهود جواهر الصقلي، بل قامت الانتفاضات وحركات التمرد في أنحاء مصر، وظهر العصيان والمقاومة ضد الفاطميين، وظهر من بين المصريين من وقف إلى جانب الإخشيديين أثناء مقاومتهم للفاطميين.

* المقاومة الإخشيدية:

بعد أن تم للقائد جواهر الصقلي الاستيلاء على الإسكندرية، وأعطى عهد الأمان لأهل مصر، تقدم بجيشه إلى الفسطاط، حيث كان يعتقد أن الطريق أصبح سهلاً ميسوراً . فحدث ما لم يكن متوقعاً، إذ هبت جموع الجند الإخشيدية والكافورية تحت قيادة أحد الشاربين ويدعى "خمير الشوزيزي" وبايده الجندي بالإمارة عليهم لمقاومة الفاطميين، وكان خمير يطبع في حكم الأشونين أو يأخذ من الفاطميين إمارة مكة والمدينة ويقيم في الحجاز. ولكن جواهر الصقلي رفض هذا المطلب، فاستعد "خمير" للمقاومة، فقام بالجذبة وأرسل بعض المراكب إلى منية الصيادين^(٢٦)، لحفظها ولمنع عبور جواهر الصقلي إلى الفسطاط.

وعندما بلغت هذه الأنباء القائد جواهر، استصدر فتوى من القاضي أبي طاهر الذهلي بوجوب قتلهم قال جواهر: ما تقول يا قاض في هذه المسألة؟ فقال ما هي؟ فقال ما تقول فيمن أراد العبور إلى مصر ليمضى إلى الجهد لقتال الروم فمنع أليس له قتالهم؟ فقال له القاضي: نعم، فقال: وحلال قتالهم؟ فقال نعم^(٢٧) وهكذا برر جواهر الصقلي مجئه إلى مصر، وأن ذلك بمدف الدفاع عنها ضد الروم، وأنه إذا منع من قتالهم، وجب قتال من يعرض طريقة بوجوب فتوى القاضي السني، وبذلك أكسب جواهر الصقلي مجئه إلى مصر صفة الوجوب لصد أعداء الإسلام من الروم.

وقد حاول الوفد المصري بعد وصوله إلى الفسطاط تهدئة الشورة، وإعادة الإخشيديين والمصريين إلى الطاعة والالتزام بعهود جواهر الصقلي لهم، إلا إنهم فشلوا.

ووقف أحد المصريين يوم الجمعة في المسجد قبل الصلاة فقال: أيها الناس قد أظلكم

من أخرب فارس وسي أهلها، وخرب المغرب.. ألقوا جعفر بن الفرات، فإنه قد شرع في إتلاف بلدكم وسفك دمائكم ببراسلة جوهر الفاطمي "فسمع الناس كلامه ورجعوا عما سأله من الأمان وقالوا ما بيننا وبين جوهر إلا السيف"^(٢٨) معلتين بذلك المقاومة المسلحة.

تحرك القائد جوهر الصقلي بجيشه تجاه الجيزة في شعبان (٩٦٩ هـ/١٣٥٨ م)، وبدأ في قتال القوات الإخشيدية، وتمكن من الاستيلاء على منية الصيادين، ثم توجه إلى منية شلقان واستولى عليها، ثم عبر النيل إلى الفسطاط، وأرسل لاستقبال المراكب الآتية من تونس ودمياط والوجه البحري، فأخذها جوهر وفرض سيطرته عليها. ثم تولى جعفر بن فلاح قيادة الجيش الفاطمي للقضاء على ثورة الجند الإخشيدية والكافورية، وشد القائد العام جوهر الصقلي من أزره حين قال له: لهذا اليوم أرادك العز للدين الله. فعبر جعفر وقاده النيل عرياناً في سراويل، ووقع القتال بينهم^(٢٩) وبين الإخشidiين والمصريين، وبعد قليل من بداية المعركة، قتل كثير من الإخشidiين، وأهزم الباقون ففروا مع قائدتهم "نحير" - الذي حمل أمواله ومتاعه - إلى بلاد الشام، وطاردت قوات جوهر الصقلي تلك الفلول الإخشيدية في أرض الحوف الشرقي (الشرقية) حتى بلبيس حيث قتل بعضهم، وألقي القبض على الآخرين، فأرسلهم جوهر إلى العز في المغرب.

وهكذا باءت محاولة الجند الإخشيدية والكافوريين وبجانبهم المصريين بالفشل، ودخل جوهر الصقلي بقواته إلى الفسطاط بعد انتصاره، وأرسل بعض جنده ليتبع فلول القوات التي فرت ويطاردها عبر الحوف الشرقي، حتى تمكن من القبض عليهم.

*ثورة تبر الإخشidiي:

لم يكُن القائد جوهر الصقلي يقضي على مقاومة "نحير الشوئذاني" حتى ثار ضده في شعبان ٩٦٩ هـ / "تبر الإخشidiي" وإلي البشمر الذي دعا للخلافة

العباسي المطیع لله وكتب اسمه على البند، وأعلن الثورة ضد جوهر الصقلي، ورفض دفع الضرائب المالية المفروضة عليه، وطلب من أهل البشمر مساعدته في ثورته على أن يوفي عنهم دفع الخراج؛ فانضم إليه خلق كثیر من أهالي تلك المنطقة. وعندما علم جوهر الصقلي بذلك أرسل إلى "تبر" بعقد الصلح بينهما، ولكن "تبر" رفض ذلك معتمداً على قواته، وانضمما التائرين إليه، فلم يهله جوهر فأرسل إليه الجيوش الفاطمية عن طريق البر والبحر.

سار "تبر" حتى بلغ صهريجت^(٣٠) فنهبها، وعندما وصل هذا الخبر إلى القائد جوهر أمر بنهب دوره بمصر، وقبض على أقاربه. وبعد قليل التقى الجيوش الفاطمية مع الشوار، وسرعان ما انتهت المعركة بانتصار الفاطميين، وفر "تبر" إلى تيس ومنها إلى دمياط، ثم ركب البحر المتوسط حتى بلغ سواحل الشام، فنزل في مدينة صور. وهناك عُيِّن القائد جعفر بن فلاح من القبض عليه، وإعادته إلى القائد جوهر الصقلي بمصر، فأدخله القاهرة على فيل وخلفه قرد يصفعه على قفاه، ثم اعتقل فترة ولما اشتد عليه السجن^(٣١) جرح نفسه فمات عام (٥٣٦٠ هـ / ١٩٧٠ م).

أثر الثورة على الحياة السياسية:

وهكذا نستطيع القول: إن القائد جوهر الصقلي نجح في القضاء على مقاومة الإخشيديين؛ ونجح - كذلك - في فرض سيطرته على الجزء الأوسط والجنوبي والمنطقة الشمالية من الحوف الشرقي، ودان هذا الجزء بالطاعة للفاطميين. واستطاع جوهر تثبيت نفوذه في هذه المنطقة، وذلك بعد تقطيع أوصال القوات الإخشيدية والكافورية^(٣٢)، وغزيرتها بعد القضاء على "تبر الإخشيدى" وفلول قواته. وكان من نتائجها من جهة أخرى - أن طلب المصريون تجديد الأمان من القائد جوهر الصقلي، وبات الناس على هدوء وطمأنينة، وخرج - بعض المصريين - لاستقبال الفاطميين عند دخولهم الفسطاط.

*ثورة أهل تنيس:

بعد قضاء جوهر الصقلي على فلول المقاومة الإخشيدية والكافورية، وتجديـد الأمان للمصريـن قـام أـهل تـنيـس (٩٧٠ـهـ/١٣٦٠م) بـثـورـة ضدـ الفـاطـمـيـنـ، فـطـرـدـواـ والـيـهـمـ الفـاطـمـيـ وأـظـهـرـواـ العـصـيـانـ، وـمـنـعـواـ إـرـسـالـ الـخـرـاجـ إـلـىـ الـعـاصـمـةـ الـجـدـيـدةـ (الـقـاهـرـةـ)ـ وـاسـطـعـ أـهـلـ تـنيـسـ أـنـ يـتـصـرـوـاـ عـلـىـ الـقـوـاتـ الـفـاطـمـيـةـ الـقـلـيـلـةـ الـمـوـجـوـدـةـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ.ـ وـعـنـدـمـاـ عـلـمـ القـائـنـدـ جـوـهـرـ خـبـرـ هـذـهـ الـثـورـةـ،ـ بـعـثـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـجـنـدـ اـسـتـطـاعـواـ أـنـ يـقـضـواـ عـلـىـ الـثـورـةـ.ـ وـلـمـ يـرـدـ القـائـنـدـ جـوـهـرـ أـنـ يـصـدـ المـوقـفـ،ـ وـاـكـفـىـ بـتـحـذـيرـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ مـنـ الـعـصـيـانـ.ـ يـقـولـ المـقـرـيـزـيـ:ـ "ـوـوـثـبـ أـهـلـ تـنيـسـ عـلـىـ وـالـيـهـمـ (ـالـفـاطـمـيـ)ـ وـقـتـلـواـ جـمـاعـةـ مـنـهـمـ الـإـمـامـ فـيـ الـقـبـلـةـ"ـ^(٣٢)ـ.

ولـكـنـ السـؤـالـ الـآنـ:ـ لـمـاـ قـامـ أـهـلـ تـنيـسـ بـالـثـورـةـ؟ـ؟ـ أوـ بـصـيـغـ أـخـرىـ:ـ مـاـ سـبـبـ ثـورـةـ أـهـلـ تـنيـسـ؟ـ؟ـ

بـالـرجـوعـ إـلـىـ الـمـصـادـرـ التـارـيـخـيـةـ،ـ وـتـحـلـيلـ الـأـحـدـاثـ يـكـنـتـاـ القـوـلـ:ـ إـنـ ثـورـةـ أـهـلـ تـنيـسـ تـرـجـعـ إـلـىـ سـبـبـيـنـ:ـ أـوـهـمـاـ (ـسـيـاسـيـ)ـ:ـ حـيـثـ وـصـلـ إـلـىـ أـهـلـ تـنيـسـ خـبـرـ تـقـدـمـ جـيـشـ الـقـرـامـطـةـ^(٣٤)ـ إـلـىـ الـقـاهـرـةـ،ـ لـطـرـدـ الـفـاطـمـيـنـ مـنـهـاـ،ـ وـإـعادـةـ مـصـرـ إـلـىـ الـخـلـافـةـ الـعـبـاسـيـةـ مـرـةـ ثـانـيـةـ.ـ وـأـمـاـ السـبـبـ الثـانـيـ فـهـوـ سـبـبـ (ـاقـتصـادـيـ)ـ:ـ حـيـثـ أـمـرـ جـوـهـرـ الصـقـلـيـ بـتـغـيـرـ الـعـمـلـةـ الـقـدـيـمةـ،ـ وـأـمـرـ بـسـكـ عـمـلـةـ جـدـيـدةـ تـحـمـلـ اـسـمـ الـخـلـيفـةـ الـعـزـ لـدـيـنـ اللهـ الـفـاطـمـيـ^(٣٥)ـ،ـ وـتـرـتـبـ عـلـىـ ذـلـكـ التـغـيـرـ،ـ أـهـيـارـ اـقـتصـادـ أـهـلـ تـنيـسـ.ـ فـإـذـاـ عـلـمـنـاـ أـنـ مـدـيـنـةـ تـنيـسـ مـدـيـنـةـ صـنـاعـيـةـ يـقـومـ نـشـاطـ سـكـاـنـاـ عـلـىـ الـتـجـارـةـ،ـ عـرـفـنـاـ أـنـ تـغـيـرـ الـعـمـلـةـ قـدـ أـضـرـ بـأـهـلـ تـنيـسـ،ـ وـمـنـ ثـمـ قـاتـمـ الـثـورـةـ.

ويـدـوـ أـهـلـ الـفـسـطـاطـ قـدـ اـشـتـرـكـواـ فـيـ الـثـورـةـ،ـ حـيـثـ قـامـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الشـابـ بـتـوزـيعـ رـقـاعـ (ـمـنـشـورـاتـ)ـ تـحـذـرـ الـمـصـريـنـ مـنـ الـتـعاـونـ مـعـ الـفـاطـمـيـنـ،ـ أـوـ اـعـتـاقـ الـمـذـهـبـ

الشيعي وكانت هذه الرقاع (المشورات) توزع في الجامع العتيق (عمرو بن العاص) في يوم الجمعة.

وعاجل جوهر الصقلي هذه الثورة بالحلم، حيث لم يتخذ موقفاً حاسماً ضد الثوار، ولم يزد على أن جمع قادة الثورة ووجهم. يقول المقرنزي: "ووجدت رقاع في الجامع العتيق (عمرو بن العاص) فيها التحذير من جوهر، فجمع الناس ووجهم فاعتذرنا (إليه)"^(٣٦). ولم يكن اعتذار المصريين للقائد جوهر يعني انتهاء ثورتهم أو انتهاء المقاومة، بل هو نوع من المهادنة والفطنة التي اشتهر بها المصريون، ودليلنا على ذلك تجدد الثورة بعد ذلك بقليل.

ففي سنة ٩٧١هـ / ١٥٦١م تجددت ثورة أهل تيس، حيث وصل إليهم خبر تقديم جيش القرامطة إلى مدينة الفرما^(٣٧)، وبدأ يزحف إلى القاهرة، عاصمة الفاطميين، ووقف المصريون إلى جانب القرامطة، فرفعوا شعار العباسين، وأخذ جيش القرامطة يتقدم حتى وصل إلى عين شمس وعندما علم جوهر بذلك بدأ في ترتيب الجبهة الداخلية، حيث اعتقل كثيراً من المصريين وقتل أربعة منهم، ثم صلبهم على باب القاهرة، ليكونوا عبرة للثوار، أو لمن يقف إلى جانب القرامطة أعداء الفاطميين. كما أمر جوهر باعتقال الوزير جعفر بن الفرات، حيث نقله من داره بالفسطاط إلى القاهرة، ليكون وسط معسكر الفاطميين.

ولكن لماذا اعتقل جوهر الوزير جعفر بن الفرات - وهو أول من هادن جوهر أثناء فتح مصر ٩٦٩هـ / ١٥٥٨م؟ وهو أول من التمس الأمان للمصريين؟ يبدو لي أن هذا الاعتقال يرجع إلى سفين، أوهما: إن الوزير جعفر بن الفرات كانت له مكانة عالية في نفوس المصريين، حيث كان مسموع الكلمة، مطاع الرأي، فإذا أمر المصريين بشيء فعلوه، فخاف الفاطميين من أن يأمرهم بالثورة، فيثوروا في وجهه الفاطميين. والسبب الثاني: فهو وجود أخو الوزير^(٣٨) جعفر بن الفرات في صرف

القراطمة؛ لذلك أمر جوهر باعتقال الوزير. على كل حال: ظل الوزير في محبسه حتى انتهى هجوم القراطمة على القاهرة، فخرج من محبسه وعاد إلى منزله بالفسطاط. وأما أهل تيس فقد استمرت ثورتهم حتى سنة (٩٧٣ـ٥٣٦هـ). وعندما وصلت جيوش القراطمة إلى المدينة، اشترك معهم أهل تيس في حربهم ضد الفاطميين، وهذا يدل على أن نفوس المصريين وقلوبهم ما زالت مربطة بالخلافة العباسية السنوية وأن التغيرات التي قام بها القائد جوهر لم تؤثر في المصريين، لذلك عندما سُنحت لهم الفرصة ثاروا ضد الفاطميين.

على كل حال: يبدو أن المعركة لم تستمر طويلاً، وانتهت بانتصار الفاطميين، وهزيمة أهل تيس، وفرار القراطمة إلى بلاد الشام.

* النتائج السياسية للثورة:

لقد تحكمت القوات الفاطمية من القضاء على ثورة أهل تيس، والرجح عندي أن القوات الفاطمية استمرت في سيّرها في تلك المنطقة لتوسيع النفوذ الفاطمي فيها. ويبدو لي - كذلك - إن الفاطميين أعادوا ترتيب أمور البلاد الإدارية من جديد، حيث نصبووا على هذا الإقليم واليًا فاطميًا هو جبر بن القاسم الكسامي (ت ٩٧٥ـ٥٣٦هـ) - الذي قدم مع الخليفة المعز الدين الله (ت ٩٧٥ـ٥٣٦هـ) - فأصبح "جبراً" واليًا على تيس ودمياط. وبهذا يمكن القول: إن الفاطميين تحكموا - أخيراً - من بسط نفوذهم على الحوف الشرقي كله، واستمر الإقليم الشمالي من الحوف الشرقي إقليماً واحداً يضم تيس ودمياط.

النتائج الاقتصادية للثورة:

بعد أن تحقق جوهر الصقلي النصر على القراطمة، والقضاء على ثورة أهل تيس، قام بإحضار قادة الثورة وفرض عليهم ديات القتل المغاربة، وطلب منهم مبلغاً كبيراً من المال وصل إلى ٢٠٠,٠٠٠ دينار ولم يكن في استطاعة أهل تيس

تعويض جوهر الصقلي بكل هذا المبلغ نظراً لسوء الحالة الاقتصادية التي تمر بها البلاد بسبب تغير العملة. وبعد مباحثات عديدة، ونظراً لخوف جوهر من تجدد الثورة، استقر الأمر على دفع أهل تيس مبلغاً من المال وصل إلى ألفى درهم فقط، ثم عقد الصلح بين الطرفين.

*ثورة الصعيد:

رغم استقرار المنطقة الشمالية للفاطميين، إلا أن جنوب البلاد لم ينعم بالهدوء والاستقرار، حيث ظهرت بعض التمردات والثورات ضد الخلافة الفاطمية، وعلى الرغم من أنها قليلة، لكنها ثبتت أن المصريين لم يستسلموا للفتح الفاطمي بسهولة. حيث شهد الصعيد حركة تمرد وعصيان ضد القائد الفاطمي جوهر الصقلي.

ويكنا القول: إن هذه الثورة تعد من أخطر الثورات التي صادفت الفاطميين في الصعيد وإنما كادت أن تودي بسلطان الفاطميين في مصر لو قدر لها النجاح، ويرجع ذلك لعوامل: أولها: أنها قامت في الصعيد بعيداً عن مقر حكم القائد جوهر في القاهرة، وما لا شك فيه أن القضاء على هذه الثورة يتطلب كثيراً من المال والرجال وذلك لطول المسافة وبعد الصعيد عن القاهرة . وثاني هذه العوامل: أن هذه الثورة شارك فيه مجموعة من الثوار الذين نجحوا في تنظيم صفوفهم، وتعاونوا على طرد الفاطميين من مصر.

بدأت هذه الثورة (٥٣٦هـ / ١٩٧١م) بخروج ثائر من أهل الصعيد يسمى "عبد العزيز بن إبراهيم الكلابي" - لم تقدنا المصادر التاريخية بالكثير عن حياته - فأعلن الثورة، وطرد الوالي الفاطمي، وأخذ يدعو إلى الدخول في طاعة العباسين، ولبس السواد. واتسعت ثورته، وانضم إليه كثير من أهل الصعيد. ثم نظم جيشاً كبيراً من الثوار، واستعد للزحف إلى القاهرة عاصمة الفاطميين، للاستيلاء عليها، وإعلان السيادة العباسية فيها.

عندما وصلت أخبار هذه الثورة إلى القائد جوهر الصقلي، أحس بخطورة الموقف، ومن ثم قسم جيشه إلى فرقتين: فرقة برية بقيادة القائد المسمى "أزرق"، وفرقة بحرية عن طريق النيل، وتتكون من أربعين مركباً بقيادة القائد "بشاره النوي". ويبدو من تقسيم هذا الجيش أن جوهر الصقلي كان يرغب في محاصرة الشوار من جهة البر والبحر (النيل). ويبدو كذلك من توليه للقائد "بشاره النوي" – والذي اعتقد أنه ينتمي إلى بلاد التوبه – ، أن هدف جوهر الصقلي من ذلك هو معرفة "بشاره" بمسالك وطرق هذه البلاد.

على كل حال: وصلت القوات الفاطمية- البرية والبحرية- إلى الصعيد، وقامت بمحاصرة الشوار، ودارت المعركة بين الفاطميين وبين الشوار، ولكن لم تطل مقاومتهم، حيث نزلت بهم الهزيمة، وتفرق الناس عن الثائر "عبد العزيز بن إبراهيم" ودخلوا في طاعة "بشاره النوي" الذي وعدهم بالغفور وأعطائهم الأمان باسم القائد جوهر الصقلي. ووقع الثائر "عبد العزيز بن إبراهيم" في الأسر، وسيق إلى القاهرة، مصعداً بالأغلال في قفص حديدي، وطيف به في شوارع المدينة، ثم أعدم بعد ذلك، وسجن بعض أقاربه. يقول المقريزي "خرج عبد العزيز بن إبراهيم الكلابي بالصعيد، وسود، ودعا لبني العباس فبعث إليه جوهر في البحر أربعين مركباً عليها بشاره النوي، وأنفذ أزرق في البر على عسكر، فأخذ وأدخل في قفص مغلولاً، وطيف به ومين معه" ^(٣٩).

الأثر السياسي للثورة:

بقضاء جوهر الصقلي على الثورة، استطاع أن يعيد الهدوء والاستقرار إلى جنوب مصر، ويبدو أن قتل "عبد العزيز بن إبراهيم" الثائر بهذه الطريقة قد قضى على مقاومة أهل الصعيد تماماً، فلم نسمع بعد ذلك عن ثورة في الصعيد طيلة عهد المعز لدين الله الفاطمي .

ثانياً: الثورات الاقتصادية:

بعد إصدار العملة من قبل الدولة من أهم النظم التي تدل على سيادة الدولة السياسية والتي استنبطها الدول من أجل تنظيم الاقتصاد الوطني. بالإضافة إلى أهميتها كمظهر من مظاهر سلطة الدولة وقوتها، فقد كانت العملة - وما زالت - من وسائل العاملات التجارية التي يحتاج إليها الناس في تقدير مختلف أنواع السلع^(٤٠).

عندما دخل جوهر الصقلي مصر (١٩٦٩-١٩٥٨) لم يغير العملة في البداية، طبقاً لعهد الأمان الذي أعطاه للمصريين، والذي وعدهم فيه "بتحسين السكك". ولكن القائد جوهر لم يصدق في ذلك الوعد الذي قطعه على نفسه، فبعد أن أتم بناء مدinetه الجديدة - القاهرة - أمر بضرب عملة جديدة تحمل عقيدتهم الشيعية وأسماء خلفائهم وألقابهم، وتاريخ إصدارها، وكان أول عملة شيعية صدرت في مصر هي الدينار المعزى، الذي نقش عليه في أحد وجهيه دعاء الإمام المعز لتوحيد الأحد الصمد، وتحته سطر فيه: "ضرب هذا الدينار بمصر ١٩٥٨هـ" وفي الوجه الآخر: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون على أفضل الوصيين، ووزير خير المرسلين^(٤١). يقول المؤرخون: "ثم جدد السكة، وصرفها إلى العيار الذي عليه السكة الميمونة المنصورية المباركة وقطع الغش منها"^(٤٢).

ثم كثُر ضرب الدينار المعزى، حتى أن يعقوب بن كلس لما ولَّ أمر الخراج من الخليفة المعز لدين الله (١٩٤١-١٩٥٢-١٩٦٥) رفض جباية الخراج إلا بالدينار المعزى، ومن ثم نقصت قيمة الدينار الراضي^(٤٣) أكثر من ربع دينار، حيث كان صرف الدينار المعزى خمسة عشر درهماً ونصف^(٤٤). كذلك أبطل الفاطميون المتأهل الصغيرة والقطع، مما أضر باقتصاد التجار، وخاصة الصيارفة. ويبدو من العملة الجديدة التي أصدرها جوهر الصقلي أنها بداية عصر جديد في مصر، وذلك

لأن، هذه العملة ضربت من الذهب الخالص، وهذا يدل على سيادة الذهب في مصر حينئذ.

على كل حال: بعد أن استقرت الأمور للقائد جوهر في مصر، خصص مكاناً محدداً للصيروف عرف "برحة الصيارفة"^(٤٥) – كان يقع بجوار الجامع العتيق (عمرو بن العاص) بالفسطاط – وكان من مهام الختسب معاقبة الصيارفة عند وقوع أي خطأ منهم. وما هو جدير بالذكر: أن القائد جوهر الصقلي بعد دخوله مصر بعزل الختسب السنفي "أبو جعفر الخراساني" وعين بدلاً منه محتسباً شيعياً يسمى "سلiman بن عزة"، وكان هذا الختسب يتشدد في طلب الحسبة وفي تنفيذها قوانينها، وخصوصاً على صيروفات الفسطاط، سواء كانوا من أهل السنة أو من أهل البدعة، لن معظم أعمال الصيارفة كانت في أيديهم.

وقد ألقى ثائق الجنيز^(٤٦) الضوء على عمل الصيارفة – من أهل البدعة – في مصر خلال تلك الفترة، حيث كانوا يقومون في الأصل بدور الوساطة بين الناس ودار الضرب (سلك العملة) فيأخذون من الناس العملة الرسمية من الدنانير، لذلك حفلت هذه الوثائق بعبارات مختلفة تدل على هذا الدور، ومنها: "اشترت دنانير من الصرافة"، و"أرسلت فضة لبيعها عند الصراف" إلى آخر هذه الألفاظ.

ويبدو أن تغير العملة – التي قام بها جوهر – قد أضر بالصيارفة، إذ يقول المقريزي عن جوهر: "فرد الدينار الأبيض^(٤٧) إلى ستة دراهم، فتلف وافتقر خلق كثيراً". ولم يقف الصيارفة صامدين أمام هذا التغيير، فقاموا بشورة كبيرة، واعتصموا بالطرق وأخذوا يرددون بعض المحتفظات المعادية للشيعة ومنها عبارات: "معاوية خال على بن أبي طالب" وأحدثوا شيئاً كثيراً، مما أثار شعور القائد جوهر، حتى إنه هم – للقضاء على الثورة – يحرقون رحمة الصيارفة.

ويبدو من رد فعل القائد جوهر أن ثورة الصيادلة لم تقتصر على المقاومة القولية فقط، بل تعدّها إلى أعمال الشغب، خاصة بعد اشتراك أهل الفسطاط في هذه الثورة، ونلحظ من الأحداث أن القائد جوهر قد خرج عن سياسة تجاه المصريين حتى أنه هم يحرقون رحبة الصيادلة، ولو لا خوفه من أن تندى النار^(٤٩) إلى مسجد عمرو بن العاص فيثير المصريين أكثر، لفعل.

وبعد قليل، انتهت الثورة، وفرض جوهر تعزيزات كثيرة على المصريين السنين، واشتد في معاملة اليهود، حيث فرض عليهم لبس الغيار^(٥٠)، وهذا يثبت اشتراك اليهود في الثورة، وبثتــ كذلكــ أن الفاطميين كانوا يتزلون عقائدهم بكل من اشتراك في ثورة ضدّهم؛ وينفي ميل الفاطميين إلى اليهود كما يرد ذلك بعض الباحثين المحدثين^(٥١).

ويحسن بنا أن نذكر بعض إصلاحات القائد جوهر الإدارية، لنعرف حالة مصر الاقتصادية خلال تلك الفترة، ولنعرفــ كذلكــ لماذا أصدر جوهر الصقلــ عملية (شيعية) جديدة في مصر؟.

بعد الفتح الفاطمي لمصر (٩٦٩ـ١٥٥٨م) حاول القائد جوهر إصلاح الاقتصاد المصري المتدهور منذ عصر الإخشيديين، ولم تكن هذه الإصلاحات تتم بين عشية وضحاها، إذ استغرقت ما يقرب من ثلاثة سنوات، جاهد فيها جوهر لنزع الغش، ومعاقبة التجار والطاحنين الذين استغلوا حالة البلاد السيئةــ محاولين تحقيق الضراء السريعــ فقاموا بزيادة الأسعار، فأمر جوهر الختبــ الشيعي سليمان بن عزة المغربي أن يستخدم بعض الإجراءات الوقائية لمواجهة الأسعار. فأمر الختبــ بضرب جماعة من الطاحنين وطيف بهم في الفسطاط، وجمع سماسمــ الغلالــ بمكان واحد، وأمر إلا تباع إلا هناك، وكان لا يخرج قمح إلا ويقف عليه سليمان بن عزة الختبــ.

وفي سنة (١٩٧١-١٩٣٦) زادت الأزمة الاقتصادية؛ ويرجع ذلك إلى تفشي الأمراض والأوبئة وانتشار مرض الطاعون، الذي أدى إلى وفاة كثير من الناس حتى عجز الناس عن تكفين الأموات ودفهم فكان من مات يطرح في النيل^(٥٢). واستمرت هذه الجماعة حتى عام (١٩٧١-١٩٣٦)، فانخفضت الأسعار، وحصل الرخاء بالبلاد، وانشر الأمن، ووصلت زيادة النيل إلى ١٧ ذراعاً و ٤ أصاعباً^(٥٣)، وفي نفس الوقت زال خطر القرامطة هزيمتهم، وعودتهم إلى الشام.

وبانتهاء هذه الأزمة الاقتصادية كان الخليفة المعز للدين الله وقائده جوهر، قد وعي الدروس جيداً، وهو أن الاحتكار التجاري مرتبط بفيضان النيل، وخوف الناس من الجماعة. لذلك منع الخليفة المعز - بشكل قاطع - المناداة اليومية على مقدار زيادة النيل، وبأن لا يكتب بذلك إلا إليه وإلى قائدته جوهر "ولما تم (النيل ١٦ ذراعاً) أباح النداء"^(٥٤)، ويثنى المقريزي - المؤرخ الحبر بشتون مصر - على ذكاء المعز الفاطمي، وحكمته في إدارة شؤون البلاد بقوله: "فتامل ما أبدع هذه السياسة، فإن الناس دائماً إذا توقف النيل في أيام زيادته أو زاد قليلاً يقلقون، ويحدثون أنفسهم بعدم طلوع النيل فيقبضون أيديهم على الغلال، ويكترون من بيعها رجاء ارتفاع السعر، ويجهد من عنده مال في خزن الغلة إما لطلب السد أو لطلب ادخار قوت عياله، فيحدث الغلاء، فإن زاد الماء على السعر وإنما كان الجدب والقطط، ففي كتمان الزيادة عن العامة أعظم فائدة وأجل عائدة"^(٥٥).

ما سبق يذكرنا القول: إن القائد جوهر قد نجح في أن يستغل سوء الحالة الاقتصادية التي تمر بها البلاد فقام بإصدار عملة جديدة وذلك لنشر المذهب الشيعي في مصر، خاصة وأن هذه العملة كانت تحمل اسم المعز ولقبه، بالإضافة إلى معاقبة الصيادلة الذين كانوا يكترون الدنانير (ظاهرة الاكتناز) مستغلين سوء الحالة

الاقتصادية التي تمر بها البلاد فعاقبهم جوهر بتغير العملة، فظهرت خسائرهم الفادحة، ومن ثم قامت الثورة.

ثالثاً: الثورات الدينية:

نقصد بالثورات الدينية: تلك الثورات التي قام بها أهل السنة ضد الخلافة الفاطمية أو الاحتجاجية التي قدمها المصريون إلى الخلافة الفاطمية ضد زيادة نفوذ أهل الذمة في مصر. ويدخل ضمنها الاشتباكات التي كانت تحدث بين الطرفين، خاصة إذا علمنا أن الدين كان له - وما زال - أكبر الأثر في نفوس الناس في ذلك الوقت، فسرعان ما تثور ثائرتهم إذا مس عقيدتهم أو شعائرهم شيئاً - ولو بسيطاً - من التغيير.

(أ) ثورات أهل السنة:

بعد أن تم الفتح الفاطمي لمصر (١٣٥٨-١٩٦٩م) عمل الفاطميين على استمالة المصريين إلى جانبهم، حتى يستطيعوا نشر مذهبهم الشيعي في مصر، ولتوحيد العالم الإسلامي تحت رأيتهم الشيعية. لذلك عندما دخل الفاطميين مصر لم يدخلوها دون الغزارة المتقطعين بل - على العكس - كان همهم الأكبر، استمالة قلوب المصريين إليهم. حتى إن القائد جوهر الصقلي كرر الأمان الذي أعطاه للمصريين أكثر من مرة^(٥٦) بفرض التقرب إليهم.

* موقف أهل السنة من نشر المذهب الشيعي في مصر:

بعد أن استقر القائد جوهر الصقلي في القاهرة - عاصمته الجديدة - لم يفِ بعهده الذي أعطاه للمصريين، والذي التزم فيه بباطلاق الحرية الدينية لهم في معتقداتهم، بل كان أكبر همه، هو تحويل المصريين إلى المذهب الشيعي. وإحلال التشريع الشيعي محل التشريع السني في كافة شئون الحياة، وإنكار ما خالفه. فأمر جوهر بيازالة السواد شعار العباسين، ومنع التكبير بعد صلاة الجمعة. وعلى الجملة:

"لم يدع عملاً إلا جعل فيه مغرياً شريكاً لمن فيه"^(٥٧) وبذلك أخذت شعائر الشيعة تظهر في مصر. يقول المقرizi: "ولما دخل جوهر القائد بعسكر المعز لـ الدين الله إلى مصر، وبني القاهرة، أظهر مذهب الشيعة، وأذن في جميع المساجد الجامعة وغيرها حتى على خير العمل، وأعلن بتفضيل على بن أبي طالب علي غيره، وجهر بالصلوة عليه وعلى الحسن والحسين وفاطمة الزهراء، رضوان الله عليهم"^(٥٨). ويعلق السيوطي على موقف المصريين بقوله: "فشق ذلك على الناس وما استطاعوا له ردًا، وصبروا لحكم الله تعالى"^(٥٩).

ويظهر لنا من عبارة المقرizi، أن القائد جوهر قد حاول نشر المذهب الشيعي في مصر، حيث أمر بالأذان الشيعي^(٦٠) في المساجد الجامعة مثل مسجد أحمد بن طولون^(٦١)

والذي كانت تسكن بجواره طائفة المغاربة^(٦٢)، ومسجد عمرو بن العاص معلم أهل السنة في مصر، بالإضافة للجامع الأزهر الشيعي المنشآ. ولم يكن التغيير في الشعائر الدينية الظاهر فقط، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فأمر بإحلال التشريع الشيعي محل التشريع السني، فأمر أن تأخذ البشارة كلها في حالة انفرادها بالميراث، وأمر في صيام رمضان على إقامة الشهور^(٦٣)، وليس على الرؤية، كما يفعل أهل السنة. وأجلس القاضي على بن النعمان في الجامع الأزهر، وأخذ يلقي على الطلاب الفقه الشيعي^(٦٤). وشجع المصريين على دراسة هذا المذهب. في نفس الوقت أخذت أعياد الشيعة تنتشر في مصر، ومن هذه الأعياد: عيد غدير خم^(٦٥)، واحتفال يوم عاشوراء، بالإضافة لعيد الفطر، وعيد الأضحى، وغيرها من الأعياد. وجدير بالذكر: أن هذه الأعياد - كان غالباً ما يحدث فيها كثيراً من المناوشات والاشتباكات بين المصريين (السنين) والمغاربة (الشيعة)، حيث كان يحاول كان فريق، أن يظهر شعائره على حساب الفريق الآخر، فكثيراً ما كانت تقع المصادمات.

ومن ذلك ما وقع يوم عاشوراء سنة (٣٦٣هـ / ١٩٧٣م)، حيث انصرقت مجموعة من الشيعة، ومعهم بعض فرق الجيش المغربي، وأخذت مشاعر الأسى والحزن تظهر عليهم، واحتشد هم البكاء والتألم على الحسين بن علي - رضي الله عنه - وقاموا بالاعتداء على المصريين في أسواقهم، وكسروا أوابي السقاءين، وسبوا كل من ينفق في هذا اليوم.

لم يقف المصريون صامتين أمام هذه الاعتداءات، بل قاموا بغلق الدكاكين، وتعطلت الأسواق، واحتدت كلمة المصريين السنين على رد عدوان المغاربة عليهم^(٦٦)، ووقعت المصدامات، واشتعلت الثورة، وقتل كثير من المصريين، ولم تنته الثورة إلا بخروج الحسن بن عمار إليهم، فأنهى الثورة بين الطرفين.

*أثر الثورة على الناحية الدينية:

كان لهذه الثورة أثر كبير على حياة المصريين، فقد استطاعوا من إظهار الشعائر الشيعية في مصر، فازدادت كراهيتهم للفاطميين، بالإضافة إلى اعتداءات الشيعة (المغاربة) على المصريين، ومن ثم رأى أهل السنة أن يتخذوا لهم عيداً يظهرون فيه شعائرهم الدينية، فاختذلوا من يوم دخول الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر الصديق غار ثور - أيام الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة - عيداً لهم، وقالوا إن ذلك اليوم يوافق ٢٣ ذي الحجة^(٦٧) وبالغوا في إظهار الزينة والاحتفالات، وأشعلوا النيران - كمظاهر الاحتفال المعروفة في ذلك الوقت - ورأى الخليفة الفاطمية عدم منع المصريين من هذه الاحتفالات خوفاً من إثارة غضبهم أو تجدد ثورتهم.

* موقف أهل السنة من نفوذ أهل الذمة:

لقد تسامح أهل السنة في مصر، مع أهل الذمة، حيث ترك المسلمون لأهل الذمة حرية الدينية، تلك الحرية التي لم "ينعموا بها - قبل ذلك بقرن من الزمان"^(٦٨).

بعد الفتح الإسلامي لمصر على يد القائد عمرو بن العاص (٦٤١ هـ / ٢١ م)، تركهم أحراراً على أن يدفعوا الجزية، وكفل لهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية، ولم يضع يده على شيء من ممتلكات كنائسهم وكما لم يرتكب عملاً من أعمال السلب والنهب. ويقرر أحد المستشرقين ذلك بقوله: "ويظهر أن حالة القبط في الأيام الأولى من حكم المسلمين كانت معتدلة"^(٦٩). كذلك تتعالى القبط باخرية الدينية خلال عصر الولاة وفي الدولتين الطولونية والاخشيدية.

فإذا انتقلنا إلى أهل الذمة في العصر الفاطمي - فترة البحث - يمكننا القول: إن عصر الدولة الفاطمية كان العصر الناهي لأهل الذمة سواء القبط أو اليهود، فقد تعموا خلاله بالهدوء والاستقرار، وشغلوا الكثير من المناصب الإدارية والمالية في عهود الخلفاء الفاطميين.

وأما عن دور أهل الذمة في عهد الخليفة المعز لدين الله (٣٤١ هـ / ٩٥٢-٩٧٥ م) فنجد أنه رأى استخدام الذميين من القبط واليهود، والاعتماد عليهم في إدارة البلاد المصرية، وجباية خراجها، لأنهم بعيدون عن التعصب لهذا المذهب أو ذاك^(٧٠). بالإضافة إلى خبرتهم في الأمور المالية والإدارية، وعبرور الوقت، ارتفع شأن أهل الذمة، وغكروا من البلاد وصار لهم - في معظم الأحيان - السيادة على المسلمين، مما كان يؤدي - في بعض الأوقات - إلى تذمر المسلمين، وإثارة مشاعرهم.

ومن ذلك ما حدث عندما ظفر القبط بكتاب من المعز لدين الله للبطرك "أبا أفرادام" السرياني، يخول له بناء كيسة أبي مرقورة - التي كانت قد هدمت قبل ذلك وصارت شونة للقصب -؛ والكنيسة المعلقة^(٧١) بقصر الشمع. كما أطلق المعز الفاطمي للبطرك أموالاً من بيت المال مساعدة له في بناء هذه الكنائس، إلا أن

البطرك رد الأموال لل الخليفة المعز لدين الله، واكتفى بأخذ السجل الذي يبيح له بناء الكنائس.

ولم يغير الأمر بهذه السهولة، إذ ثار عامة المسلمين على هذا البناء، وتعرضوا للبطرك "أنبا أفرادام" عند بناء كنيسة أبي مرقوراة، وحالوا بينه وبين إتمام هذا البناء، مما جعل البطرك يتقدم بشكواه للمعز الفاطمي، والذي تولى بنفسه مباشرة البناء، وصاحب معه فرقة من الجنود كي يقضى على ثورة المصريين، وأتم بناء الكنيسة. وانتهز البطرك "أنبا أفرادام" هذا الموقف وقام بتجديـد كافة الـكنائـس في الفسطاط^(٧٢) التي تحتاج إلى تجـديد دون أن يتعرض له أحد من المصريـين. هذا إلى جانب تجـديد عـدة كـنائـس في مـواضع مـختلـفة بالإسكندرية، وأنفق البطرك في ذلك أموالـاً كـثـيرـة، وهذا التـصرـف من جـانـب المعـز الفـاطـمي أدى إلى كـراـهـية أـهـل السـنة لـلفـاطـمـيين والـذـمـيين مـعـاً.

وإذا انتقلنا للـمعـابـد اليـهـودـية، فلا نـكـاد نـجـد إـلا إـشارـات طـفـيفـة في المصـادر التـارـيخـية تـسـحدـث عـنـهـم، ولـعـلـ ذـلـك يـرـجـع إـلى قـلـة عـدـدهـم في مصر بـالـنـسـبة لـعـدـد القـبـطـ، الـذـين كانـهـم دورـكـبـيرـ في الجـمـعـ المـصـرـيـ. بـالـإـضـافـة لـطـبـيعـة اليـهـودـ المـغـلـقـين عـلـى أنـفـسـهـمـ. يـحـدـثـنا المـقـرـيزـيـ^(٧٣) عـنـ كـنـائـس اليـهـودـ في مصر حـدـيـثـاً موـجـزاًـ. وـلـكـنـ يـبـدوـ لـيـ - أـنـ كـنـائـس اليـهـودـ لمـتـعـرـضـ لـسـوءـ، وـلـمـ يـهـدـمـ أوـ يـخـربـ^(٧٤) مـنـهـاـ شـيءـ خـلـال عـصـرـ المعـزـ الفـاطـميـ.

من كل ما سبق يمكننا القول: إن أهل الذمة قد تعموا بالحرية التامة في أداء شعائرهم، بل إنهم وصلوا إلى مكانة عالية في الدولة الفاطمية - فترة البحث - ويكفي الإشارة إلى أنه لما فتح جوهر الصقلي مصر (٩٦٩ـ٥٣٥م)، كان يشرف على أمور مصر المالية أحد الأقباط، يسمى "أبو اليمن قzman بن مينا" - وكان مشهوراً بالأمانة والثقة - فأبقىاه جوهر الصقلي على منصبه. وعندما دخل المعز لدين الله مصر

(٩٦٢هـ / ١٩٧٢م) قرب إليه "قرمان بن مينا"، وكان يأخذ برأيه، ويسمع مشورته^(٧٥). ولم يكن قرمان فقط هو الذي أخذ مكانة عظيمة في البلاد المصرية، بل كان هناك - أيضاً - يعقوب بن كلس، الذي ارتفع شأنه، وذاع صيته، حيث عهد إليه المعز لدين الله (٩٦٣هـ / ١٩٧٣م) بولاية الخراج، وجبي الأموال والخمسة^(٧٦) والسوائل والأحباس والمواريث وغيرها.

ويكفي دليلاً على نفوذ أهل الذمة في العصر الفاطمي - نتزة البحث - استعراض قائمة أطباء^(٧٧) المعز لدين الله؛ نجد أن معظمهم من أهل الذمة. يقول آدم متز: "إن الخلفاء الفاطميين قد أظهروا تساخراً نعجباً له، وإنه لم يكن يتضرر بذلك من قوم لهم مذهبهم الخاص الذي انفردوا به، وخالفوا جمهور المسلمين، وكان أطباء الخلفاء من اليهود الذين لم يحتاجوا إلى تغيير دينهم، ولم يضطربوا أحد إلى ذلك، وقد عظم نفوذ اليهود في بلاط الخليفة المعز إلى حد كبير، فصار لا يعمل شيئاً إلا بعونتهم، وإبداء رأيهم"^(٧٨).

(ب) المقاومة القولية: (السلمية).

لم تتوقف مقاومة المصريين للخلافة الفاطمية على الشوارت المسلحة، بل تعددت أشكال المعارضة، فبجانب الثورات المسلحة - السالف ذكرها - كان هناك نوع من المقاومة البيضاء (باللسان أو القول) جأ المصريون إليها في مقاومتهم، وتشمل كذلك الرسائل التي كان يبعثها المصريون إلى القائد جوهر، كما تشمل الصحف للحاكم^(٧٩)، والإشارة له بأن يحكم بالعدل بين الرعية، وهذا نوع من أساليب المعارضة خاصة بالمصريين، والتي كانوا يلجأون إليها عند اشتداد غضب الحكام، أو عند الخوف من بطشهم الشديد.

ومن هذه المقاومة ما حصل في شهر رمضان ٩٦١هـ / ١٩٧١م، حيث أراد سكان الفسطاط، استفزاز جوهر الصقلي والإعلان عن تمردهم، ورفضهم للخلافة

الشيعية، وذلك بعد مقتل وصلب المصريين الذين اشتركوا في ثورة تبيس - في نفس العام - ففكر المصريون في طريقة جديدة ليعبروا بها عن شعورهم، وغضبهم من ظلم جوهر الصقلي لهم، فأطلقوا امرأة عجوزاً تندد في الطريق بعض الأناشيد المختلفة وتتردد: "معاوية خال المؤمنين وخال عليٍّ"، وكأنها تثير نفوس الشيعة، فأمر القائد جوهر الصقلي بالقبض على هذه المرأة وحبسها.

ولم تنتهِ الثورة الكلامية بهذا، بل خرج جهور الناس في شوارع المدينة، وأخذوا يصيحون بصوت مرتفع يسمعه جوهر الصقلي وجنده "معاوية خال المؤمنين وخال عليٍّ" فأراد جوهر أن يهدى من ثورة المصريين، فبعث إليهم خطاب، فيه تحذير ووعيد شديد، يتوعّد كل من يشترك في هذه الثورة بالعقوبة الشديدة، والتي قد تصل إلى حد القتل أو الحبس. ومن الجدير بالذكر أن هذا الخطاب قرأ في الجامع العتيق (عمرو بن العاص)، معقل أهل السنة.

ولم يكتفى المصريون بهذه التهديدات التي أذاعها القائد جوهر، بل أن الثورة الكلامية - قد تجددت، فأمر جوهر بإطلاق سراح المرأة العجوز من الحبس، وأمر جنوده أن ينادوا في الناس: إننا حبستنا العجوز صيانة لها من الأذى^(٨٠).

لم تكن هذه المقاومة القولية ضد القائد جوهر فقط، بل تعدّها إلى النصيحة والإرشاد لل الخليفة المعز لدين الله نفسه، فقد حدث في ربيع الآخر ١٣٦٥ هـ / ١٩٧٥ م أن أذن المعز الفاطمي لجامعة من المصريين بالدخول عليه، فخاطبهم وهو على عرشه، وشدد القول والعتاب والتهديد لهم، فلم يسكت المصريون، وصاح رجل منهم في وجهه بصوت عالٍ: يا أمير المؤمنين قال الله - عز وجل - "ولَئِذْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمْنَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبُيُّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ تَحْزِي الْقَرْوَمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَاةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَنِدِهِمْ لِتَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"^(٨١). فقال المعز: صدق الله، كذا قال عز وجل، ونسأله التوفيق^(٨٢).

وإذا كان هذا الموقف يدل على سعة صدر المعز لدين الله، واستماعه للنصح، فإنه يدل - في نفس الوقت - على جرأة المصريين، وأنهم جاؤوا إلى المقاومة القولية أمام الخليفة الفاطمي نفسه، ولم يسكتوا على الظلم الواقع عليهم.

وإن كان من الصعب تتبع هذا اللون من المقاومة القولية، وذلك لأن المؤرخين لم يهتموا بهذا اللون من المقاومة كثيراً. وهذه الأمثلة القليلة تكفينا لقول بأن المصريين قد استخدموها لهذا السلاح، وبرعوا فيه.

رابعاً: الثورات الطائفية:

نقصد بالثورات الطائفية - هنا - تلك الثورات التي قامت بها بعض فرق الجيش الفاطمي ضد المصريين، وإن كانت هذه الحركات أقرب إلى التمرد والعصيان منها إلى الثورة. ولكن أثرت إدخالها - ضمناً - تحت الثورات الطائفية لأنها كانت عبارة عن مصادمات بين الجيش الفاطمي والمصريين.

عندما حضر جوهر الصقلي إلى مصر (٩٦٩ هـ / ٢٥٨ م) بجيشه الذي يتألف من القبائل المغربية، وأهمها قبائل كاتمة، وزويلة وبعض طوائف البربر، والصقالبة. وكانت هذه القبائل عماد الجيش الفاطمي، وقادت على أكتافهم الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، بل أن فتح مصر قد تم على أيديهم، وقد اعتمد عليهم الخلفاء الفاطميين في شئونهم العسكرية وبخاصة قبيلة كاتمة التي كانت عصب الدولة الفاطمية وقوها في مصر (٨٣).

ويبدو - لي - إن المصريين لم يشترك أحد منهم في جيش المعز الفاطمي، ولعل ذلك يرجع إلى خوف المعز لدين الله من ثورات المصريين، أو لاختلاف المذهب بينهم وبين الفاطميين (٨٤). ومع ذلك - أي مع عدم اشتراك المصريين في الجيش الفاطمي - فكثيراً ما كانت تقع المصادمات بين الجانبين، تلك المصادمات التي كانت تنتهي غالباً بتدخل السلطة العليا في البلط لفض الاشتباك، غالباً ما كان الظلم يقع على

كواهل المصريين لأفهم كانوا لا يملكون سلاحاً يدافعون به عن أنفسهم، فضلاً عن قوة المغاربة الضاربة في البلاد المصرية شمالاً وجنوباً.

ومن هذه المصادمات ما وقع في ذي الحجة ٩٦١هـ / ١٣٦١م، فبعد هزيمة القرامطة^(٨٥) وطردهم خارج حدود القاهرة، شرع الجنود الفاطميون (المغاربة) في الانتقام من المصريين، بسبب تأييد بعضهم - للغزو القرمطي لصر، فاستغل المغاربة هذه الفرصة، وقاموا بعمليات السلب والنهب ضد المصريين، خاصة في مدينة الفسطاط، ولم يقف الشعب المصري صامتاً أمام هذه الاعتداءات، حيث ثارت الرعية، ووقع قتال شديد بين المصريين والمغاربة. وعندما علم القائد جوهر الصقلي بذلك، عاجل هذه الأحداث بالKİاسة والذکاء، حيث بعث قائده "سعادة بن حیان" إلى مكان الثورة، وقدر الخسائر التي لحقت بالمصريين، وعوضهم عنها، ورد إليهم ما نسب منهم^(٨٦)، فسكتت الثورة.

وفي سنة ٩٧٣هـ / ١٣٦٢م بعد القضاء على ثورة أهل تيس، وتغريم أهلها ألفي درهم، دية لقتل المغاربة، لم يكتف الجيش الفاطمي بهذه الديات، فقام باقتحام منازل المصريين في الفسطاط وأخرجوا الناس منها، ونقلوا السكان خارج المدينة، ولم يقف الشعب المصري صامتاً أمام هذا الهجوم، بل قاماً بثورة عامة، ومظاهرات مختلفة في شوارع المدينة، واستغاثوا بالخليفة العز لدین الله أن ينقذهم من هذا الظلم الواقع عليهم، وأمام هذه الهدافات وخوفاً من غضب الثوار المصريين، أمر العز لدین الله المغاربة بمعادرة مساكن المصريين وأن يسكنوا ضاحية "عين شمس". وخرج العز الفاطمي بنفسه لمشاهدة الموضع الذي سوف يتزلون به، وأمر لهم بمال كثير لبناء بيوت لهم، وجعل لهم ولائياً وقاضياً يفصل بينهم في المنازعات. وكان منادي جوهر ينادي في كل عشية "لا يتن في المدينة أحد من المغاربة"^(٨٧).

ولكن المغاربة بدأوا شيئاً فشيئاً يتجاوزون سور القاهرة، وبدأوا يخالطون المصريين ويشاركونهم السكن في مدينة الفسطاط، ثم حدث بمرور الأيام اختلاط، وتقارب، ولم يؤثر اختلاف المذهب على علاقتهم مادامت العقيدة واحدة. ولكن لا يعني ذلك أن المصادرات قد زالت بين الطرفين، بل سرعان ما كانت تتجدد بين حين وآخر؛ ومن ذلك ما وقع في ربيع الآخر (١٣٦٣هـ / ١٩٧٣م) حيث ثار المغاربة في الفسطاط، وفجروا مقابرها وتعرضوا للناس بالسوء وفجروا أموالهم وعندما احتج المصريون على ذلك، أمر المعز الدين الله بالقبض على مثيري الفتنة^(٨٨)، وحبس بعضهم، حتى هدأت ثائرة المصريين.

ثم تجددت المصادرات مرة أخرى يوم عيد الفطر (١٣٦٣هـ / ١٩٧٣م)، حيث حاول أهل السنة إظهار شعائرهم، فقام المغاربة الشيعة بالاعتداء عليهم، وحاولوا منعهم، فقامت الثورة. ولكن سرعان ما انتهت بالقبض على جماعة من المصريين، فضرب بعضهم، وحبس البعض الآخر.

*أثر الثورة على الحياة الاجتماعية:

من كل ما سبق: يتضح لنا أن ثورات المصريين كانت تقوم كرد فعل لاعتداءات المغاربة عليهم، وكثيراً ما كان يعقب الثورة، إزالة العقاب بالمغاربة، فلادي ذلك إلى كراهية المصريين للمغاربة، ويظهر - لي - إن الخلافة الفاطمية على الرغم من أنها كانت تردد عقابها بالمغاربة، إلا أنها - كذلك - كانت ترد هجوم المغاربة عليهم، وتعاقب كل من يخالف أوامرها، وذلك خوفاً من إثارة نفوس المصريين. والحقيقة التاريخية تؤكد لنا أن الخلافة الفاطمية، كانت تعاقب جميع طوائف الشعب - مصريين ومغاربة - إذا خرج أحد منهم على النظام. ومن ذلك ما وقع في عيد التبروز، حيث زاد اللعب بالماء، وزاد وقود النيران، وظهرت السماجات في اللعب، واستمر هذا الوضع ثلاثة أيام، فأمر المعز الفاطمي بالكف عن هذه الألعاب،

وحيس قوم^(٨٩)، وطيف بهم على الجمال في شوارع القاهرة، ولم يفرق في العقاب بين المغاربة (الشيعة) والمصريين (أهل السنة وأهل الذمة).

هوامش الفصل الأول:

- ١- ابن الجوزي: المنظم، جـ٧، ص ٤٧، ابن ظاهر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٠٣ ، ابن ميسير: المشتق، ص ١٥٩.
- ٢- ديوان ابن هاني، تحقيق زاهد على، بيروت، ١٣٢٦هـ، ص ٨٦.
- ٣- المقريزي: اتعاظ الخفا، جـ١، ص ١٠٣.
- ٤- ابن هاني الأندلسي: الديوان، ص ٨٧.
- ٥- جوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٤٠هـ/٢٠٠٠م، ص ٥٢١-٥٢٢.
- ٦- المقريзи: اتعاظ الخفا، جـ١، ص ٢٠٥.
- ٧- المقريзи: نفس المصدر ، نفس الجزء، ص ١٧٦.
- ٨- المقريзи: المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ١٨٧.
- ٩- د/ حسن إبراهيم: المعز لدين الله، ص ٢١١.
- ١٠- المقريзи: الخطط، جـ٣، ص ٢٢٤.
- ١١- المقريзи: اتعاظ الخفا، جـ١، ص ١١٢، ابن ظهير: الفضائل الباهرة، ص ١٨١، د/ جمال الدين الشيالي: تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، جـ١، ص ١٤٣.
- ١٢- د/ احمد خثار العبادي: في التاريخ العباسي والقاطمي، دار الهلة العربية، بيروت، لم تذكر سنة الطبع، ص ٢٥٢.
- ١٣- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص ٤٢.
- ١٤- ابن ظهير: الفضائل الباهرة، ص ١٨٢.
- ١٥- انظر تفصيل ذلك في: ابن أبيك (أبي بكر بن عبد الله الداوداري ت ٧٦٤هـ): كفر الدور وجامع الغرز - الدرة المضيئة في أخبار الدولة القاطمية - تحقيق د/ صلاح الدين المجرد، جنة الساليف والنشر، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م، جـ٦، ص ١٣٩، المقريзи: الخطط، جـ٢، ص ٢٠٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص ٤٢، على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ١ ، ص ٣٨.

- ٦- المقريزي: نفس المصدر، نفس الجزء، ص ٢٠٨.
- ٧- د/ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج ٣، ص ٤٢٩.
- ٨- بيت أسوار جديدة بعد سور جوهر الصقلبي، منها: ما بناء بدر الجمالى و وزير المستنصر بالله (٥٤٨٠هـ/١٠٨٧م) ولا زال باب النصر وباب الفتح موجودين حتى اليوم. ثم قام الوزير ببناء الدين قرافقش وزير صلاح الدين الأيوبي ببناء سور جديد حول القاهرة ، ولا زالت بقايا هذا السور موجودة حتى الآن. المقريзи: الخطط، ج ٢، ص ٢٠٨، د/ عبد الرحمن زكي: قلعة صلاح الدين الأيوبي وما حولها من الآثار، الهيئة العامة للتأليف، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص ١٠٥، وبناء القاهرة، ص ١٧-٢٨.
- ٩- هو: أول أثر فاطمي في مصر (٣٥٩-٩٧٠هـ/٩٧٢-٩٧٠م) وإذا أردنا أن نضع وصفاً سريعاً لهذا الجامع نقول: إنه كان يتوسط المسجد صحن مستطيل الشكل محاط بثلاثة أروقة أكبرها رواق القبلة حيث تجري صفوف البانكات موازية لحائط القبلة، ولا تزال به زخارف فاطمية الطراز حول العقود المدببة، كما يحد تلك العقود أشرطة من الكتابة بالخط الكوفي المزهري، وقد أضيفت للجامع ثلاثة مداخل هي: باب المرينين، وباب الصعايدة، وباب الشوربة، وكلها من عمل الأمير عبد الرحمن كتخدا - كما هو مدون فوق المدخل الرئيسي للجامع - وليس بالجامع أي مذنة من العصر الفاطمي، ولكن توجد به - حالياً - مآذن، اثنان من العصر المملوكي إحداها تسب للسلطان قايتباي، والأخرى للسلطان الفورى، وثلاث مآذن من العصر التركى العثماني من عصر عبد الرحمن كتخدا. وفي القرن التاسع عشر ثمت عدة إصلاحات وترميمات في عهد محمد على /١٢١٤هـ/ ١٨٦٩م المقريзи: الخطط، ج ٤، ص ٤٩-٥٥، السيوطي: حسن الحاضرة، ج ٢، ص ٢١٩، د/ كمال الدين: العمارة الإسلامية في مصر، ص ١٣-١٥، د/ محمد مرزوق: قصة الفن الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٣٣-١٣٤.
- ١٠- المقريзи: انتاظ الخفا، ج ١، ص ١١٦.
- ١١- ابن ظهير: الفضائل الباهرة، ص ١٩٠..
- ١٢- د/ محمد عبد العليم العدوبي: الأزهر في العصر الفاطمي ومكانته العلمية، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، ١٩٧٥م، رسالة دكتوراه، تحت رقم (١١٧١)، ص ٢١٢، ود/ محمد على عتّافى: الحياة العلمية بمصر في عهد العبيدين (الفاطميين) الأول (٣٨٥-٤٨٧هـ) كلية اللغة العربية، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، رسالة ماجستير تحت رقم (١٠٧٣)، ص ٢١٠-٢٤٩.
- ثورات المصريين

- ٢٣- سانلي ليبول: سيرة القاهرة، ترجمة د/حسن إبراهيم، ود/ على إبراهيم : الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ١١٦.
- ٢٤- د/ محمد عمارة: عندما أصبحت مصر عربية إسلامية، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ١٠٦.
- ٢٥- ابن حاد: أخبار ملوك بني عيد، ص ٨٥، التوبيري: نهاية الأرب، جـ ٢٨ ، ص ١٢.
- ٢٦- مدينة الصيادين: من القرى القديمة إحدى قرى مركز إمبابة وتسمى اليوم "ميت النصارى" وهي مشتركة في السكن مع ناحيتي إمبابة ووراق الحضر. محمد بك رمزي: القاموس المغرافي للبلاد المصرية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٣، ق ٢، جـ ٣، ص ٦٥.
- ٢٧- المقريزي: المقفي الكبير، جـ ٣، ص ٩٥.
- ٢٨- التوبيري: نهاية الأرب، جـ ٢٨، ص ١٢٦.
- ٢٩- ابن طافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٠٣ ، اليافعي: مرآة الجنان، جـ ٢، ص ٣٨٢.
- ٣٠- صهرجت: من القرى القديمة التابعة لمحافظة الدقهلية بالقرب من ميت غمر، وهي الآن قرية، صهرجت الصغرى وتتبع مركز أجا، وصهرجت الكبرى وتتبع مركز ميت غمر، محمد بك رمزي: القاموس المغرافي: جـ ٢، ص ١٧٣-٢٥٧.
- ٣١- الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ ١٠ ، ص ٣٠، المقريзи: المقفي الكبير، جـ ٢، ص ٥٨٥.
- ٣٢- أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم، جـ ٢، ص ٢٥٧.
- ٣٣- المقريزي: انتهاز الخفاف، جـ ١، ص ١٢٩.
- ٣٤- ابن أبيك: الدرة المضية، جـ ٦، ص ١٤٣، ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٤٨-٤٩.
- Stanley Lane-Poole: His tory of Egypt in the middle Ages, 4
the Ed, London, 1925, p 108.
- ٣٥- التوبيري: نهاية الأرب، جـ ٢٨، ص ١٣٢-١٣٣.
- ٣٦- المقريзи: انتهاز الخفاف، جـ ١، ص ١٢٩.
- ٣٧- الفرما: مدينة قديمة بين العريش والفضاط، تقع شرقى تنيس، على ساحل البحر، وعلى يمين القاصد لمصر بينها وبين بحر القلزم (الأحمر) أربعة أيام، وقد اندثرت هذه المدينة، وتعرف آثارها بتل الفرما على بعد ثلاثة كيلو متراً على ساحل البحر المتوسط، وعلى بعد ٢٣ كيلو متراً شرقى محطة الطيبة الواقعة على السكة الحديدية التي بين بور سعيد والإسماعيلية، ياقوت: معجم البلدان، جـ ٤، ص ٢٥٥، محمد بك رمزي: القاموس المغرافي، ق ١، ص ٩١.
- ٣٨- التوبيري: نفس المصدر، نفس الجزء، ص ١٥٠.
- ٣٩- المقريзи: انتهاز الخفاف، جـ ١، ص ١٣١.

- ٤٠ - د/ صفي على: مدن مصر الصناعية، ص ٣٥٨؛ د/ أمينة الشوربجي: رؤية الراحلة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لصر في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٣٥٤.
- ٤١ - المقريزي: رسالة في الفقد الإسلامية، ص ١٦٩.
- ٤٢ - ابن حماد: أخبار ملوك بني عبد، ص ٨٥؛ التبرير: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٢، المقريزي: انتفاض الحنف، ج ١، ص ١٠٤.
- ٤٣ - الدينار الراضي: نسبة إلى الخليفة العباسي الراضي بالله أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله (٢٢٢-٩٣٣م) وكان ينشئ اسم ابنه أبي الفضل، واسم أبي المتصور بن المتقى بالله بجانب اسمه وقد ظلل المصريون يتعاملون أيام جوهر الصقلي بالدينار الراضي، لأنه كان أكثر وزنا وأشد نقاً من الدينار المعزى، ثم حمل المعز الفاطمي الناس على التعامل بدناريه، وتشدد في ذلك. المقريزي: رسالة في الفقد الإسلامية، ص ١٦٩.
- ٤٤ - ذكر المقريزي: إن الدينار المعزى كان بخمسة وعشرين درهماً ونصف، المفقى الكبير، ج ٣، ص ١٠٥.
- ٤٥ - الرحمة: هي الموضع الواسع وجعها رحاب، ورحبة الصيارة كانت تقع بجوار عمرو بن العاص، المقريزي، الخطط، ج ٣، ص ٧٥-٧٦، ج ٤، ص ١٢-١٣.
- ٤٦ - مجموعة وثائق عبارة عن عشرة آلاف وثيقة حفظها اليهود في معبدهم بالفسطاط ومقربرهم بالبساتين على مقربة من القاهرة لمدة قرون طويلة قبل أن تأخذ طريقها إلى مكتبة جامعة كمبردج، وغيرها من مكتبات الغرب الأوروبي، وهي وثائق ترجع إلى المصور الوسطي: الفاطمية والأيوبيية والمملوكية وتقليل منها من بداية مصر العثماني ومعظمها يرجع إلى العصرين الفاطمي والأيوبي، وتغطي فترة زمنية طويلة تنتهي من ٩٤٥-٩٦٩هـ/١٥٣٨-١٥٥٨م أي ما يقرب من ٦٠٠ سنة.
- Mann: The jews in Egypt and Palestine under the Fatimid caliph volume I, oxford, 1920,p.107-108.
- ٤٧ - الدينار الأبيض: يقول د/ جمال الدين الشيال: إنه لم يعثر في المراجع على تعريف الدينار الأبيض، ولم سمي بهذا الاسم، أو في عهد من ضرب، وإنما ورد ذلك للدرهم البيض، وأفاد ما ضرب الحاج بن يوسف. وكان الدينار قليل القيمة جداً، لأنه كان يشتمل على كمية كبيرة من الفضة، مما جعل القرم يسمونه بالأبيض، وكان هذا الدينار بعشرة دارهم، ومع استخدام الدينار المعزى قلت قيمة إلى ستة دراهم. المقريзи: انتفاض الحنف، ج ١، ص ١٢٢، حاشية(٤)، إغاثة الأمة، ص ٨٦-٨٧.
- ٤٨ - المقريزي: المفقى الكبير، ج ٣، ص ١٠٥.
- ٤٩ - المقريزي: الخطط، ج ٤ - ص ١٥٦.

- ٥٠- الغيار: الملابس التي كان يتعذر بها أهل الذمة عن المسلمين في العصور الوسطى، وكان غالباً من اللون الأزرق أو الأسود. د/ هويدا عبد العظيم: اليهود في مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الأيوبي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٥٢-٢٥٣.
- ٥١- د/ سيدة كاشف، مصر الإسلامية وأهل الذمة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٣٨-١٤٠، د/ نريمان عبد الكريم: معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١١٤.
- ٥٢- ابن الأثير: الكامل، ج ٧/ ٣٠٩.
- ٥٣- الدواداري: الدرة المضيئة، ج ٦، ص ١٣٧.
- ٥٤- المقريزي: انعاظ الخنفاس، ج ١، ص ١٣٨.
- ٥٥- المقريзи: الخطط، ج ١، ص ٩٨-٩٧، انعاظ الخنفاس، ج ١، ص ١٣٨.
- ٥٦- د/ ماجد: ظهور خلافة الفاطميين، ص ٢٩٤، د/ سرور: الدولة الفاطمية، ص ٤٧.
- ٥٧- المقريзи: انعاظ الخنفاس، ج ١، ص ١١٩.
- ٥٨- المقريзи: الخطط، ج ٤، ص ١٥٦.
- ٥٩- حسن المعاشرة، ج ٢، ص ٥١٩.
- ٦٠- ابن خلkan: وقيات الأعيان، ج ١، ص ٣٧٩، أبو الفدا: المختصر، ج ٢، ص ١٠٩.
- ٦١- يعتبر جامع ابن طولون ثالث جامع أنشئ بمصر الإسلامية، وتبلغ مساحته حوالي ستة أفدنة ونصف الفدان، ويكون المسجد من صحن مربع في الوسط، وفanes مكشوف مساحته حوالي ٩٢ متراً مربعاً، وتحيط به أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة، وقد بني المسجد بالطوب الأحمر، وتفطيه طبقة غليظة من الجص بها زخارف جليلة، وتقع المنذنة في الشمال الغربي للمسجد، وهي متأثرة إلى حد كبير بمنذنة مسجد سامراء، ولا يزال الجزء الأوسط من المنذنة يرجع إلى عصر إنشائها، وبه درج من الخاطر، ويوجد بالرواق الشرقي جزء من لوحة رخامية تضمنت اسم المنشئ، وتاريخ إنشاء المسجد مكتوبة بالخط الكوفي. المقريзи: الخطط، ج ٤، ص ٤١-٣٦، السيوطي: حسن المعاشرة، ج ٢، ص ٢١٥، د/ كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية، ص ٨-١٠، د/ محمد مرزوق: قصة الفن الإسلامي، ص ١٣٣.
- ٦٢- ابن جبير: رحلة ابن جبير، تحقيق د/ محمد زينهم عزب، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٦٠.
- ٦٣- ابن حيون (القاضي النعمان بن محمد ت ٣٦٣ هـ): دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيته رسول الله عليه وعليهم أفضلي السلام، تحقيق: آصف بن علي نبيض، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ط ١، ص ٢٦٨-٢٨٦.

- ٦٤ - د/ محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٣ م، ص ٧٠.
- ٦٥ - غدير خم: واد بن مكة والمدينة، قال عنده الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد عودته من حجة الوداع، وذلك بعد أن أخذ يد على بن أبي طالب: ألسنكم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من ولاه، وعاد من عاداه، ويعلق الشيعة أئمة كبار على هذا الحديث، إذ يعتبرونه بمنابة مبايعة علية من الرسول - صلى الله عليه وسلم - على بن أبي طالب بالخلافة. أبو حنيفة النعمان بن حيون: دعائم الإسلام، ج ١، ص ٢٠ - ١٤، المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٢٢٢ .
- ٦٦ - د/ سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية، ص ٤٩ .
- ٦٧ - المقريزي: نفس المصدر، ج ٤، ص ١٥٦ .
- ٦٨ - توماس آرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة، د/ حسن إبراهيم، د/ عبد الحميد عابدين، وإسماعيل التحراري، الهيئة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠ م، ط ٣، ص ١٣٣ .
- ٦٩ - آرنولد: نفس المرجع، ص ١٣٤ .
- ٧٠ - د/ ماجد: ظهور خلافة الفاطميين، ص ٣٥٦ .
- ٧١ - الكنيسة المعلقة: تقع في مصر القديمة في خط قصر الشمع، سميت على اسم السيدة العذراء، وهي جليلة القدر عند النصارى. المقريзи: الخطط، ج ٤، ص ٤٢٤ ، كلارك: الآثار القبطية، ص ٣٠٥ .
- ٧٢ - ابن المفع (ساويرس توفى أواخر القرن ٤ هـ / ١٠١٠ م): سير الآباء البطاركة أو تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩ م، ص ٢، ٩٧، أبو صالح الأرماني: تاريخ كنائس وأديرة مصر، ص ٤٦ - ٤٧ .
- ٧٣ - المقريزي: الخطط، ج ٤، ص ٣٤٩ - ٣٦١ .
- ٧٤ - Monn: The Jews in Egypt. Vol. I. P. 34.
- ٧٥ - يخلو بعض الباحثين - استناداً للروايات الكنيسة - أهان المز لدين الله الفاطمي بالليل إلى النصارى واليهود. د/ هويدا عبد العظيم: اليهود في مصر الإسلامية، ص ١٠٨ ، بل إن بعضهم أهان المز لدين الله بالتنصر، وليس زى الرهبان، محمد عنان: مصر الإسلامية، ص ١٠٦ . ولكن الحقيقة التاريخية تثبت أن المز لدين الله، إن كان أيد النصارى في بناء كنائسهم إلا أنه كان يتدخل ويسعّفهم من الاعتداء أو التسلط على المسلمين، وكثيراً ما كان ينهض بهم من الاحتلال بأعيادهم. ابن ميسرة: المنشقى، ص ١٦٦ ، أما قضية تصير المز لدين الله فهي محض الفراء وكذب، ولو صحت هذه الرواية، أو حق جرت مجرى الإشاعة لكن أول من يتلقفها ليستعملها سلاحاً يقضى به على الفاطميين هم العباسيون ولكن من اليتير أن نجد لها مدونة في كتب المؤرخين المسلمين، ولكن إجماع المؤرخين على عدم ذكرها دليل قاطع على أنها مقتولة بأيدٍ مسيحية ومصنوعة - بسوء قصد - داخل

- الكنيسة. ثم كيف يعقل إن ينتصر المزع الفاطمي، وهو يدعوا نفسه أيام المسلمين. والحقيقة أن هذه الأسطورة الكبيرة تحظى إلى أعمق درك من الناقض والبطلان. د/ إبراهيم شوط: أباطيل يجب أن تخفي من التاريخ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ط٥، ص ٣٣٣.
- ٧٦- ابن القلانيسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٢، ابن ميسير المتنقي، ص ١٦٣.
- ٧٧- ابن أبي اصيبيعة: عيون الأنباء، ص ٥٤٤-٥٤٥.
- ٧٨- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م، ج ١، ص ٩٤.
- ٧٩- د/ حسين نصار: التورات الشعبية، ص ٨٩.
- ٨٠- المقريزي: الخطط، ج ٤، ص ١٥٦.
- ٨١- سورة يونس: آيات ١٣-١٤.
- ٨٢- المقريزي: اتعاظ الخلفاء، ج ١، ص ٢٢٨.
- ٨٣- د/ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ٤٣٤.
- ٨٤- د/ حسن إبراهيم: المعز لدين الله، ص ١٨٠.
- ٨٥- ابن الجوزي: المستقيم، ج ٧، ص ٨٢-٦٠، ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٥١-٥٠.
- ٨٦- المقريزي: اتعاظ الخلفاء، ج ١، ص ١٣١.
- ٨٧- المقريزي: الخطط، ج ٤، ص ٢٢٤.
- ٨٨- المقريزي: المصدر السابق، نفس المجزء، ص ١٤٨.
- ٨٩- المقريزي: نفس المصدر، نفس الجزء، ص ٢١٤-٢٢٤.

الفصل الثاني

"الثورات في عهد العزيز بالله"

مقدمة:

إذا انتقلنا إلى عصر العزيز بالله نجد أن هناك مميزات عامة امتاز بها هذا العصر حيث كانت فترة حكم العزيز بالله فترة هدوء واستقرار، وهذا شيء قد يكون طبيعياً، وبعد فترة الفتح الفاطمي لمصر (٥٣٥هـ/٩٦٩م)، وما تبعه من ثورات ومتارزات بين الفاطميين (الشيعة) والمصريين (السنن) أعقب ذلك فترة هدوء نسبي بين الجانين. ونستطيع القول إن عصر العزيز بالله (٣٦٥هـ - ٩٧٥م / ٣٨٦هـ - ٩٩٦م) يعد فترة انتقالية بين عهدي المعز ل الدين الله (٣٤١هـ - ٩٥٢م / ٣٦٥هـ - ٩٧٥م) وعهد الحاكم بأمر الله (٣٨٦هـ - ٩٦٦م / ١٠٢٠م) حيث شهد كلاً العصرين ثورات مختلفة ضد الفاطميين.

* العزيز بالله:

هو: أبو منصور نزار العزيز بالله بن المعز ل الدين الله أبو قيم بن المنصور بن القائم بن المهدى ولد بالمهدية من القبروان يوم الخميس الرابع عشر من الحرم، ويرجح أنه ولد في ٣٤٤هـ أثناء حكم أبيه المعز ل الدين الله في بلاد المغرب، وعندما فتحت مصر ٥٣٥هـ/٩٦٩م على يد القائد جوهر الصقلي، توجه المعز ل الدين الله إلى القاهرة المقر الجديد للخلافة الفاطمية.

كان من الطبيعي أن ترتحل أسرته كلها معه ، وشهد ابنه العزيز بالله ثورات المصريين المختلفة ضد الفاطميين، وشارك العزيز بالله أباه المعز في إدارة شئون البلاد، وكان كثيراً ما يستعين برأيه خاصة إذا علمتنا أن المعز ل الدين الله كان يقرأ الوجوه جيداً، بصيراً بأحوال الرجال، خيراً بموافقهم. يحدثنا المقريزي: إن المعز ل الدين الله كان

يُنشى في قصره مع أولاده: نزار (العزيز بالله) وقِيم، وعبد الله، وعَقِيل، وأخذ المعز يقرأ وجه نزار، ويعلم أنه يفكِّر في الخلافة، ويقدم له المعز لدِين الله نصيحة الأب الحنون، الخبر بأمور الرجال، الخائف على عرش آبائه من الضياع، فقال له: "إن الأمر صائر إليك فأحسن إلى إخوتك وأهلك"^(١).

يصف المؤرخون^(٢) العزيز بالله: بأنه كان أسرأً، طويلاً، أصهب الشعر، عريض المنكبين، شجاعاً حسن العفو والقدرة، حسن الخلق، توفي في بلبيس ١٣٨٦هـ/١٩٩٦م، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرون سنة، ومات وعمره اثنان وأربعون سنة، واستقبل أهل القاهرة^(٣) نباً وفاته بالم شديد.

الثورات في عهد العزيز بالله:

أستطيع القول: إن عصر العزيز بالله (١٣٨٥-١٩٧٥هـ/١٩٩٦-١٩٩٦م) امتاز بالهدوء النسيجي حيث استطاع المعز لدِين الله القضاء على ثورات المصريين المختلفة، وتقرب إلى الشعب المصري، وعرفه بالذهب الشيعي، وأخذ — في نفس الوقت — يتودد إليهم، ونتيجة لذلك اعتنق بعض المصريين الذهب الشيعي وذلك تحت عامل الرغبة والرهبة. ويمكننا القول — كذلك — إن المعز لدِين الله قد استطاع تمهيد الطريق لخلافة ولده العزيز بالله، حيث ترك له خلافة فاطمية — هادئة — نسبياً.

ولكن هذا لا يعني أن ثورات المصريين قد انقطعت كلياً في عهد العزيز بالله، ولكنها كانت قليلة نسبياً مقارنة بين عهدي أبيه المعز لدِين الله وولده الحاكم بأمر الله، خاصة إذا علمنا إن العزيز بالله كان يتقارب إلى الشعب المصري، ويفقد عليه المنح والمدايا والنعم والعطایا الكثيرة فيها هو يقول لعمه حيدرة: "يا عم: أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهر، ولهما الخيل واللباس والضياع والعقار، وأن يكون ذلك كلَّه من عندي"^(٤)، وما لا شك فيه إن العزيز بالله لن يغدق الأموال على شعب يكرهه أو شعب يثور عليه باستمرار ومع

ذلك فقد تعامل العزيز بالله مع الثوار بحلم شديد، حيث امتدحه المؤرخون بقولهم: "وَحَلَمَ الْعَزِيزُ بِاللهِ لَمْ يَسْمَعْ بِعَذَابِهِ قَطْ مِنْ مَلِكٍ"^(٥) على حد قول المسبحي.

ومع ذلك فإن الشعب المصري الثوري بطبيعة، يكتشف - دائمًا - أساليب كثيرة وجديدة للتعبير عن غضبه واحتجاجه، وتستطيع كلماته أن تصل إلى آذان الحكام مهما بعدهم، ويستطيع اللسان المصري أن يعبر عن نفسه بشتى الأساليب المختلفة، وتكون له الغلبة والنصرة في النهاية.

فما من حاكم استطاع أن يقف أمام هذا الشعب العريق الفاهم لطبيعة حكامه، والمدرك لزمانه الذي يجيا فلكل عصر أسلوبه، ولكل شعب طبيعته، ولكل مقاومة سمة.

المبحث الأول

الثورات السياسية

ليس المقصود بالثورات السياسية - هنا - الثورات المنظمة الشاملة، والتي تهدف إلى قلب نظام الحكم في البلاد كما هو الحال في العصر الحاضر، بل المراد بها تلك الاحتجاجات التي قام بها بعض الأشخاص ذوو الطموح الشخصي، والذين شجعهم بعد أقاليمهم عن مركز الخلافة الفاطمية فضلاً عن غناها - النسي - فحاولوا الاستقلال بها، وتكون إمارة خاصة بهم.

ونستطيع تقسيم الثورات السياسية إلى قسمين: داخلية (مصر) وخارجية (في نطاق حدود الخلافة الفاطمية).

أولاً: الثورات الداخلية:

تعددت ثورات المصريين ضد الخلافة الفاطمية في عهد العزيز بالله، وقامت الثورات المختلفة في بعض أنحاء مصر، ولكنها ظهرت بوضوح في إقليم الصعيد، بعيد عن مركز الخلافة الفاطمية في القاهرة، ومن هذه الثورات:

(١) ثورة حمزة بن ثعلة الكتامي م ٩٧٨ هـ ٣٦٨:

لا أدرى على وجه التحديد السنة التي تولى فيها "حمزة بن ثعلة" ولاية أسوان ولكن يبدو أنه تولاها بعد دخول الخليفة المعز القاهرة حيث عهد إلى الكتاميين بحكم مصر، وذلك لنشر التشيع فيها^(١) فكانت أسوان من نصيب "حمزة بن ثعلة" والذي استطاع أن يفرض سيطرته عليها، ويكون له أنصار. وبعد وفاة المعز لدين الله اشتد ساعده وأعلن ثورته ضد العزيز بالله، مستغلًا بعد المسافة بين أسوان ومركز الخلافة الفاطمية في القاهرة؛ وأعزاه - كذلك - انشغال العزيز بالله في حروب الشام، ومن ثم أعلن "حمزة بن ثعلة" ثورته محاولاً الاستقلال بالبلاد التي تحت سيطرته.

ولكن ما هو موقف العزيز بالله من هذه الثورة؟ أتىتك ولادة أسوان لهذا الشائر، ويكتفي بفرض السيادة الفاطمية على باقي أنحاء مصر؟ أم يقضى على هذه الثورة سريعاً؟

في الحقيقة إن العزيز بالله لم يكن بال الخليفة الذي يتنازل عن ولاية من خلافه لهذا الشائر. فجهز جيشه وقطن على ثورات الشام^(٧) وفرض سيطرته عليها. ثم جهز جيشاً فاطمياً ضخماً وعهد بقيادته إلى قائد فاطمي محنك يتمنى إلى أسرة عريقة خدمت الفاطميين كثيراً، وهو القائد: "جعفر بن محمد بن أبي الحسين الصقلي" والذي خرج بجيشه الضخم إلى أسوان، واستطاع أن يقضي على الثورة، وأخذ قادها "جزة بن ثعلة" أسيراً إلى القاهرة ومعه كل أمواله وجواهره^(٨) وسائر ما يملك. وفرح العزيز بالله بهذا النصر، وأمر قائده "أفكين" بقتل الشائر "جزة بن ثعلة". وبهذا تخلص العزيز بالله من عدوه، وعاد الأمن والهدوء إلى جنوب مصر؛ وكافأ الخليفة العزيز بالله قائده "جعفر بن محمد" فعهد إليه بإمارة صقلية.

(ب) ثورة حдан الأسيوطى ١٣٨٥ـ م:

لم تكنتهي ثورة "جزة بن ثعلة" متولى أسوان حتى تجددت الثورة مرة أخرى في الصعيد بزعامة ثائر يسمى "حдан الأسيوطى" مستغلًا بعد الصعيد عن القاهرة مركز الخلافة الفاطمية، وانشغل العزيز بالله في حربه ضد الروم^(٩)، فجمع "حدان" حوله البعض وأعلن ثورته ضد الخلافة الفاطمية، محاولاً بذلك تكوين إمارة خاصة به. وعندما وصل خبر هذه الثورة إلى العزيز بالله في القاهرة، لم يمهل هذا الشائر طويلاً، فأرسل إليه القائد الفاطمي المحنك "ابن الزبير" ودارت المعركة بين الطرفين، وسرعان ما انتهت بانتصار الفاطميين، وتم القضاء على هذه الثورة وأخذ حدان أسيراً إلى القاهرة ودخلها على جمل وعلى رأسه طرطور^(١٠) طويل، وأهل القاهرة يهتفون سخرية منه^(١١). ولم تقدنا المصادر التاريخية بشيء عن موقف العزيز بالله من

هذا الثائر، ولكن أغلب الظن أن العزيز بالله قد عفا عنه تقريراً للمصريين، ولما اشتهر عن العزيز بالله من حب السماحة والعفو^(١٢) عن الرعية، وبعد أن أطمان العزيز بالله على وضع الصعيد بعث ابن سليم الأسواني بكتاب إلى قيرقى ملك التوبة يعرض عليه الإسلام، ويستأدى منه ما عليه من البقط. ومن جهة أخرى يعرف موقفه من ثورة حمدان، فبعث ملك التوبة رسالة صلح للعزيز بالله فاطمان العزيز بالله لذلك، وعاد التشيع في البلاد حتى أصبح فاشياً فيها^(١٣).

كانت هذه الثورة آخر ثورات المصريين السياسية (الداخلية) ضد الخلافة الفاطمية وظهرت ثورات في أماكن أخرى خارج مصر وهو ما يعرف بالثورات الخارجية.

ثانياً: الثورات الخارجية:

لم تقتصر الثورات السياسية ضد الخلافة الفاطمية على مصر فقط بل تعدّها إلى أماكن أخرى تحت الخلافة الفاطمية، ومن هذه الثورات الهامة التي أفلقت العزيز بالله ثورة:

(أ) ثورة أفتakin التركى ٩٣٦هـ/٩٧٣م:

هو أبو منصور أفتakin^(١٤) المعزى أحد ماليك معز الدولة بن بويه وكان سبب وصوله إلى الشام أن وقعت فتنة بين الديلم والترك ببغداد وخلع المطیع للعباسي وتولى الفتنة. فترك أفتakin بغداد عام ٩٣٦هـ/٩٧٣م وسار منها حتى نزل حصن ثم سار منها إلى دمشق، وكانت ثورات أهل الشام مستمرة ضد الفاطميين، وعندما علم شيخوخ المدينة بحضور أفتakin إلى بلادهم ذهبوا إليه وسالوه أن يتولى عليهم، على أن يكف أيدي المفسدين ضدهم. وبالفعل؛ استجاب لهم أفتakin ودخل دمشق واستطاع أن يعيدها الهدوء والاستقرار وأن يحسن السيرة في الرعية. ثم كاتب العزيز بالله الفاطمي بمصر، وأظهر له الانقياد والطاعة، وأنه اعتنق المذهب الشيعي،

فأجاب المعز لدين الله وبعث إليه برسالة يستدعيه فيها للحضور إلى القاهرة؛ على أن يعود مرة أخرى إلى دمشق. ولكن أفتکین خاف على نفسه من بطش المعز الفاطمي، وامتنع عن الحضور وكادت أن تنشب حرب بينهما ولكن القدر كان في صالح أفتکین، حيث توفي المعز^(١٥) لِدِينِ اللَّهِ عَام ٥٣٦هـ/١٩٧٥م.

*أفتکین يستولي على دمشق:

استغل أفتکین وفاة المعز لِدِينِ اللَّهِ الفاطمي فخلع طاعة الفاطميين^(١٦) ودعا إلى العباسين وكتب إليهم يطلب منهم العسكر والسلاح والمال ليتوجه لفتح مصر، وأخذها من العبيدين ويعيد إليها المذهب السنی. ولكن الخليفة العباسي لم يجده إلى ذلك خوفاً من الدخول في حرب ضد الفاطميين، وبعث إليه برسالة جاء فيها:

"غرك عزك فصار ذلك ذلك فاخشى فاحش لعلك"^(١٧)، وعندما أيس أفتکین من إرسال العساكر إليه من بغداد لغزو مصر اضطر أن يرسل إلى القرامطة يطلب مساعدتهم لخاربة الفاطميين، فرحبوا بذلك كثيراً؛ وذلك للعداء الشديد بين الطرفين. ثم أرسلوا إلى أفتکین الرجال والمال والسلاح عام ٥٣٦هـ/١٩٧٥م، وأكرمهما أفتکین. ثم توجه الجميع إلى الرملة، وسرعان ما وقعت المعركة بين الفاطميين بقيادة ظالم بن موهوب العقيلي، وأفتکین التركي ومعه القرامطة، ويساعدتهم أهل البلاد الذين كانوا يكرهون الفاطميين بسبب معاملتهم السيئة لهم، وسرعان ما انتهت المعركة بانتصار أفتکین وفار ظالم بن موهوب ومن معه إلى مدينة صور.

وعندما وصل خبر هذه المعركة إلى الخليفة العزيز بالله في القاهرة، كتب رسالة إلى أفتکین يستميله فيها، وواعده بأن يكرمه. ولكن أفتکین رفض ذلك خوفاً من بطش العزيز بالله، وبعث إليه برسالة فيها جفاء شديد. ووقع الأمر في يد العزيز بالله فاستشار وزيره يعقوب بن كلس^(١٨) فيما يفعله، فأشار إليه بخروج القائد جوهر الصقلي لتأديب أفتکین وإعادة سيطرة الفاطميين على دمشق مرة أخرى.

أخذ الجيش الفاطمي يستعد للحرب ضد أفتکین والقراطمة للقضاء على ثورهم، وإعادة النفوذ الفاطمي في بلاد الشام، ويبدو أن خبر هذا الجيش قد وصل إلى مسامع أفتکین، فاستشار أهل دمشق فيما يفعله، فأشاروا عليه بعدم الفرار من بلادهم، وعدم اللجوء إلى بلاد الروم، والوقوف معًا ضد الفاطميين. ويرجع وقوف أهل دمشق إلى جانب أفتکین ضد الفاطميين لظلم بعض ولاة دمشق لهم، فضلًا عن اختلاف المذهب الديني بين الجانبين. وهكذا بدأت نذر الحرب بين الطرفين؛ الجيش الفاطمي بقيادة جوهر الصقلي، والثوار بقيادة أفتکین التركي.

* الحرب بين جوهر الصقلي وأفتکین التركي:

تحرك القائد جوهر الصقلي بجيش الفاطمي الضخم الذي "لم يخرج قبله مثله إلى الشام"^(١٩) كما يقول المقريزى حيث وصل تعداد هذا الجيش عشرين ألفاً بين فارس ورجل. وعندما وصل جوهر إلى الرملة كتب إلى أفتکین يذكره بالأمان الذي بعثه العزيز بالله إليه، فلاظفه أفتکین في الجواب واعتذر إليه بأنه لا يستطيع أن يتخلّى عن أهل دمشق. وعند ذلك وقع في أيدي جوهر الصقلي وعلم أن الحرب واقعة لا محالة، فتقدم بجيشه، الضخم حتى نزل الشamasية^(٢٠).

وكان ينتظره هناك أفتکین، ودارت الحرب بين الفريقين واستمرت ما يقرب من شهرين، قتل فيها كثير من الطرفين، وأظهر أفتکین من الشجاعة ما رفع قدره في نفوس أعدائه وأعدائه على السواء، ومع ذلك كان النصر في هذه الجولة لصالح الفاطميين، حتى كاد جوهر الصقلي أن يحقق النصر الظاهر على أفتکین وأهل دمشق، ولكن أنصار أفتکین وأشاروا عليه بمكاتبة القرامطة للوقوف معًا ضد الفاطميين. وبالفعل انتهز القرامطة بقيادة الحسن الأعصم هذه الرسالة، وبعثوا بجيش عظيم لمساعدة أفتکین، وعندما علم جوهر الصقلي بهذا الجيش خاف من مواجهة الأعداء فانسحب إلى طبرية، وتبعه أفتکین والقراطمة فرحل جوهر إلى عسقلان، فحاصره

افتakin هناك حتى أشرف جوهر وجشه على الملائكة، واشتد بهم الحال حتى أكل المغاربة الدواب الميتة، وعندما رأى جوهر الصقلي هلال جيشه طلب الصلح مع افتakin فأجابه إلى ذلك بشرط أن يخرج جوهر وجشه حفاة من تحت سيف افتakin ورمح الحسن بن أحد القرمطي الذي علق على باب عسقلان. ولا يخفي علينا مدى هذا الإذلال الذي تعرض له الجيش الفاطمي في بلاد الشام. ومع ذلك فقد استطاع القائد جوهر الصقلي أن ينجو ببقايا جنده ويتجه إلى مصر، وذلك بعد أن أخذ خاتم افتakin رهنًا على الوفاء بما عاهده عليه. وعاد الجيش الفاطمي إلى القاهرة يجر أذيال الخيبة والهزيمة، وذلك في الوقت الذي ثبت فيه افتakin أقدامه في دمشق، وأصبح مسموع الكلمة مطاع الرأي فيهم؛ وارتقت مكانته بينهم، وأصبح القائد المأمور الذي خلصهم من ظلم الولاية الفاطميين.

* جهود العزيز بالله في القضاء على هذه الثورة:

وهكذا رأينا استفحال خطور الثورة في دمشق، وازدياد نفوذ افتakin في بلاد الشام، و الذي بدأ بالفعل يهدد الفاطميين في مصر. لذلك قرر العزيز بالله أن يخرج بنفسه للقضاء على هذه الثورة فتحرك بجيش الفاطمي الضخم الذي بلغ تعداده سبعين ألفاً، ونزل الرملة، وكان يتظاهر هناك افتakin ومن معه من التوار والقرامطة. وسرعان ما دارت المعركة بين الطرفين^(٢١)، وأعجب العزيز بالله من شجاعة افتakin وفروسيته فأمر خادمه أن يذهب إليه ويقول له على لسان العزيز بالله: "قد أزعجتني من سرير مليكي وأخرجتني لمباشرة الحرب وأنا أسامحك جميع ذلك، ولك على عهد الله بأني أحب لك الشام بأسره". وبعد وصول تلك الرسالة إلى افتakin خرج أمام الصفوف بحيث يراه الناس جميعاً وترجل عن فرسه وقبل الأرض مراراً، ثم قال خادم العزيز بالله: "قل لمولانا لو تقدم القول لسارعت فاما الآن ليس إلا ما ترى". وبعد قليل؛ انتهت المعركة بانتصار الفاطميين بقيادة خليفتهم العزيز بالله، وهزيمة الشوار

هزيمة منكرة، وهرب أفتakin، ولم يعلم مكانة، وأذاع اخليفة العزيز بالله في الجيش: أن من قبض على أفتakin فله جائزة كبيرة. وبعد أن عاد الهدوء والاستقرار في بلاد الشام، عاد العزيز بالله إلى القاهرة، وهنا الشعب بهذا الفتح العظيم، ومدحه الشعراء، فقال الحسن بن عبد الله الرحيم الزلاي:

فرأى قاصده أين قصد	لاح للحق شهاب موقف
دولة الحق وبالله أعتضد	بالعزيز بن المعز اعتضدت
وعماد الدين والركن الأسود	يا أمير المؤمنين المرتضى
وقلافاه وقد كان فسد	أصلح الشام بما دبره

واجتهد الناس في البحث عن أفتکین طمعاً في الجائزة الكبرى التي تعهد بها العزيز بالله، وبعد قليل استطاع مفرج بن دغفل بن الجراح الطانی أسر أفتکین، وبعث به إلى العزيز بالله في صحبة الوفد الفاطمی الذي ذهب لإحضار أفتکین من دمشق، وعندما وصل إلى القاهرة استقبلهم الشعب استقبالاً عظيماً، وأمن العزيز بالله أفتکین حقاً أصبح مكرماً عنده مقدماً لديه دون أصحابه جمیعاً. ثم وقعت الوحشة والخلاف بينه وبين الوزیر يعقوب کلس ، بسبب طمع كل منهم في رضا العزيز بالله دون صاحبه؛ بالإضافة لخوف يعقوب بن کلس على منصبه. فدرس السم - سراً - لأفتکین في الطعام فقتل (٢٣) لحیه عام ٩٨٠ھـ / ٣٧٠م. وحزن العزيز بالله عليه حزناً شديداً، فأمر بالقبض على ابن کلس، وحبسه، وأخذ منه ما يقرب من خمسمائة ألف دینار، ولكنه سرعان ما أطلق سراحه، وأعاده مرة أخرى إلى الوزارة، وذلک - فيما يبدو - بسبب احتياجاته إليه.

(ب) ثورة قسام الحارثي / م ٩٧٨ - هـ ٣٦٨:

لم تكنتهي ثورة أفنكين التركي في دمشق حتى قامت ثورة أخرى يتزعمها قسام الحارثي المعروف "بالترابي" وتكاد تجمع المصادر التاريخية^(٢٤) على أن قسام ولد في إحدى قرى بلاد الشام، ونشأ وتربى في دمشق، وأن أصله من بني الحارث بن كعب من اليمن وأخذ يتعلم العلم حتى علا شأنه. فكان يجلس بالجامع في دمشق فيجتمع الناس حوله فيعلمهم أمور دينهم، وبرور الوقت عظم شأنه بين أهل دمشق، فكان يأمرهم وبنهائهم فيمثلوه بأمره^(٢٥)، وإن كان قسام قد عمل في بداية حياته في نقل التراب على ظهور الدواب حتى عرف "بالترابي" أو "الزبال"، ومع ذلك فقد اشتهر بالقوة والشجاعة، ثم صار من أتباع "أحمد بن الجسطار" وقد عرف عن هذا الرجل أنه من "حيلة السلاح وطالب الشر"^(٢٦) فأصبح قسام من حزبه ومن المقربين إليه، حتى عظم شأنه. وعلى ذلك يمكن القول إن قسام الحارثي قد تربى تربية ثورية، واستطاع الوصول إلى قيادة الثوار في دمشق.

أسباب الثورة:

بدأت ثورة قسام الحارثي بعد مغادرة العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦ / ٩٧٥ - ٩٩٦ م) دمشق إلى القاهرة مقر الخلافة الفاطمية، وبعد أن قبض على أفنكين التركي، وقضى على ثورته. فانهزم قسام الحارثي وضع الشام الجديد، وقلة عدد الجنود الفاطميين بها، فأعلن الاستقلال بدمشق، وأخذ يدعى لنفسه؛ وما ساعده على ذلك كراهية أهل دمشق للفاطميين بسبب قتل الفاطميين لكتير منهم، ونحب يوهم، وانتشار الذعر بينهم؛ بالإضافة لذلك حب أهل دمشق لقسام الحارثي بسبب عطفة عليهم، وتقربه منهم، حيث كان يجلس في مسجد دمشق يعلمهم أحكام الدين الإسلامي كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

عندما وصلت أنباء هذه الثورة إلى الخليفة العزيز بالله في القاهرة، قرر القضاء عليها والتخلص من قسام الحارثي، فأمر القائد الفاطمي "سليمان بن جعفر بن فلاح" - ابن القائد العظيم جعفر بن فلاح الذي فتح بلاد الشام أيام المعز لدين الله الفاطمي - بالقضاء على هذه الثورة، وإعادة النفوذ الفاطمي إلى بلاد الشام. وتدرك الجيش الفاطمي الذي بلغ قوامه أربعة آلاف مقاتل، ووصل إلى دمشق، ونزل في مكان يسمى "بستان الوزير" خارج دمشق، وضرب حصاره على المدينة، وذلك في الوقت الذي كان نفوذ قسام الحارثي يزداد، حيث قام بوضع أعلام على المدينة، معلناً سيطرته عليها. وسرعان ما نشب الحرب بين الفاطميين والشوار، واستمرت فترة طويلة، انتهز قسام هذه الفرصة وجاء مشايخ البلد وكتب محضراً أشهد فيه جميع الحضور من أهل دمشق أنه يحمي البلاد من أي عدو ان خارجي، خاصة من قبل "عند الدولة فاخسرو". وهذه حيلة ذكية من قسام، وكأنه بذلك يحمي البلاد (دمشق) من أطماع العباسين وكأنه يعلن السيادة الفاطمية على المدينة. ثم بعث برسالة إلى الخليفة العزيز بالله في القاهرة يطمئنه فيها على وضع الشام، ويعلن اعتنائه المذهب الشيعي. ويبدو أن العزيز بالله قد اطمأن على وضع الشام من رسالة قسام الحارثي، فبعث برسالة إلى قائد "سليمان بن جعفر" يأمره فيها أن يرتحل عن دمشق. وبالفعل استجاب القائد الفاطمي لأوامر خليفته، وغادر دمشق، وتركها لقسام الحارثي، الذي انتهز الفرصة فأعلن الاستقلال بالمدينة، وأظهر إمارته عليها^(٢٧).

يبدو أن العزيز بالله قد اخندع - ظاهرياً - برسالة قسام الحارثي، وذلك خوفاً من أن ينضم إلى أعداء الفاطميين (ال Abbasin) - الروم ، خاصة إذا علمنا أن العداء والتآف كان شديداً بين الخلفيين - السنوية والشيعية -. على كل حال لم يطل أمر قسام الحارثي في دمشق طويلاً، فقد توفى "عند الدولة فاخسرو" ٥٣٧٢ـ ٩٨٢م، وأمن العزيز بالله جانب العباسين، هذا في الوقت الذي أخذت فيه

انتصارات" بـ"كجور التركي" تزداد في الشام. وبعث برسالة إلى العزيز بالله يطلب منه أن ينجز وعده إليه بولاية دمشق.

لكل ذلك تحرك الجيش الفاطمي من القاهرة إلى دمشق بقيادة هفتلين^(٢٨) التركي أحد أصحاب أفتلين واستطاع هذا القائد أن يقضي على الثورات المفرقة في الشام، وأن يعيد الهدوء إلى الأجزاء المفرقة^(٢٩) من هذه البلاد. ثم بدأ يوجه أنظاره إلى دمشق. هذا في الوقت الذي قام فيه قسام بترميم أسوار المدينة، وزيادة الحراسة على أبوابها، ووضع عليها الجانق استعداداً للهجوم الفاطمي المرتقب.

*القضاء على الثورة :

بعث هفتلين إلى قسام رسالة يطلب فيها تسليم المدينة على أن يكون هو ورجاله في أمان. وكان من الطبيعي أن يرفض قسام هذه الرسالة معتمداً على جيشه من الثوار، وأهل دمشق. ويبدو أن هفتلين كان متوقعاً رفض قسام تسليم المدينة لذلك لم يمهله؛ فتقدم بجيشه نحو دمشق، ودارت المعركة بين الفاطميين بقيادة "هفتلين" والثوار بقيادة "قسام الحارثي"؛ الذي كان يعتمد على أهل دمشق ولكن خاب ظنه. حيث تفرق الناس عنه، ولم يجتمع إليه إلا أصحابه وأهل الظلم والباطل الذين كانوا يأكلون أموال الناس ظلماً. لذلك تخلى أهل دمشق عنه، ولم تستمر المعركة طويلاً، فأنهزم قسام شر هزيمة. ويبدو أن تخلي أهل دمشق عن مساعدة قسام كانت من أهم أسباب هزيمته. يقول ابن القلانسي: "بين الانكسار على قسام لقصير الرعية عن معاونته ومقتهم إياه"^(٣٠). وعندما رأى جهور الشعب أن الهزيمة واقعة لا محالة في جيش الثوار، طلبوا من قسام أن يخرج إلى هفتلين ويطلب منه الصلح، فأجابهم في ذلة وانكسار، ذلك في الوقت الذي كانت جيوش هفتلين على مقربة من دخول المدينة فخرج جماعة من كبار البلد، وطلبوا من هفتلين توقف القتال على أن تسلم المدينة له، فأجابهم إلى طلبيهم. وعندما وصل هذا الخبر إلى قسام ظهرت المذلة

على وجهه، وهو ساكت حائز حاسر، واجتمع جمورو دمشق حول منزله وصاحوا بأعلى أصواتهم: "انتقم الله من أذلنا وأحرق دورنا، وشقتنا، وتركتنا مطرحين على الطرق" فلما سمع ذلك وقع في قلبه الخوف، وعرض تسليم المدينة لفتكون.

بعث هفتكون حاجبه فدخل مدينة دمشق بقوة كبيرة من الفاطميين، على مرآى وسمع من قسام وأهله، أما جنده فقد تفرقوا عنه؛ فمنهم من طلب الأمان من هفتكون، ومنهم من هرب، ومنهم من قبض عليه. أما قسام فإنه قد ترك منزله واختفى، فذهب الناس داره. وأخذت جيوش هفتكون تبحث عنه في المدينة، فلم تجد له أثراً، فأذيع في المدينة إن: "من دل على قسام فله خمسون ألف درهم، ومن دل على أولاده فله عشرون ألف درهم"^(١) وعندما سمع الناس عن هذه الجائزة أخذوا يبحثون بجد ونشاط عن قسام أو أحد من أهله، طمعاً في هذه الأموال. وبعد قليل تم القبض على امرأة قسام وأولاده. أما هو فكان محظي عند رجل فقير في إحدى أطراف المدينة وعندما وصله خبر القبض على زوجته وأولاده رأى أنه لا فائدة من الهرب، وعندما جن عليه الليل، خرج إلى المعسكر الفاطمي، فوقف على خيمة "منشا بن الفرار اليهودي" المسؤول عن عطاء وتدبير الجيش الفاطمي، واستاذن عليه، وقال حراسة - الذين لم يكونوا يعرفونه - رجل يريد الاجتماع بالرئيس "منشا" فسألوه من هو؟ فقال لهم قسام، وطلب منهم الأمان؛ فأعطي له^(٢) ثم قيد، وحمل إلى العزيز بالله في مصر، فعفا عنه ثم أطلق سراحه. وأحسن إليه، وأقام عنده مكرماً^(٣). وهذا يدل على سماحة العزيز بالله، سماحة لم يسمع بمثلها قط، ثم عهد العزيز بالله إلى بكجور يامارة دمشق مكافأة له.

أثر ثورات الشام على الحياة الاقتصادية:

تأثرت الحياة الاقتصادية في بلاد الشام بهذه الثورات المتتابعة، فنجده أن الأسعار قد ارتفعت" ولم يوجد ما يؤكّل حتى أن الرجل كان يدخل مدينة الرملة

ويطلب فيها شيئاً يأكله فلا يجده، ومات الناس بالجوع، وخربت الأعمال^(٤)، وكثُر العبث والفساد، وخربت — كذلك — البلاد التي بضاحية مدينة دمشق. حتى إنما كانت تطلب الطعام من مدينة حمص؛ ورحلت القوافل عنها. وطمع الأعراب فيها، وكثُر النهب^(٥) بها.

كذلك يمكن القول إن الحالة الاقتصادية في مصر قد تأثرت بهذه الثورات، حيث بلغ ما أنفقه العزيز بالله على جيشه الذي خرج للقضاء على ثورات الشام خمسين ألف دينار. كما أمر العزيز بالله عام ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م بضرب دراهم جديدة، كانت أقل في الجودة و القيمة من الدر衙م القديمة. كتب على الوجه الواحد منها: "الواحد الله الغفور" وعلى الجانب الآخر: "الإمام أبو منصور"^(٦).

وهكذا انتهت ثورات الشام بالقضاء على ثورة قسام الحارثي " واستراح الناس من تحكمه عليهم وتغلبه من تبعه من الأحداث من أهل العبث والفساد"^(٧)، كما يقول ابن الأثير. وبذلك تمت سيطرة الفاطميين على جنوب الشام.

(ج) ثورة أهل الحجاز:

لم تقتصر الثورات ضد الفاطميين على مصر والشام فقط، بل ظهرت في أماكن أخرى من الخلافة الفاطمية، ومن هذه الأماكن بلاد الحجاز، ولا يخفى علينا أهمية الحجاز بالنسبة للخلافة الفاطمية، فهي مقر الحرمين الشريفين — مكة والمدينة— والخليفة الشرعي في نظر المسلمين هو الحامي للحرمين الشريفين، أو بمعنى آخر هو المسيطر على بلاد الحجاز. لهذا حرص خلفاء المسلمين — السنة والشيعة — على بسط نفوذهم على هذه المناطق المقدسة؛ كي يكتسبوا شرعة الحكم، وزعامة العالم الإسلامي الروحية، بالإضافة لذلك المنافسة الشديدة بين الخلافتين العباسية في بغداد والفاطمية في القاهرة على بسط سلطتهم على الحرمين الشريفين.

وما هو جدير بالذكر أن بلاد الحجاز كانت تابعة لمصر أيام الدولة الطولونية، (٢٥٤ - ٢٩٢هـ) والدولة الإخشيدية، (٣٢٣ - ٣٥٨هـ) وكانت مصر تقوم بارسال الغلال في كل عام لأهل الحجاز كما كان الدعاء على منابر الحجاز يتم لل الخليفة العباسي ومن بعده للطولونيين ثم الإخشيديين.

وبعد قيام الدولة الفاطمية في المغرب وانتقامها إلى مصر (٣٥٨هـ - ٩٦٩م)، استطاع الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١ - ٩٥٢هـ / ٩٧٥م) أن يسط سيطرته على مكة والمدينة المنورة، واستطاع أن يتزع هذه الأماكن المقدسة من أيدي العباسيين، وأصبحت الخطبة تقام في الحرمين الشريفين^(٣٨)، للمعز الفاطمي، فاكتسب خلافته - بذلك - الصفة الشرعية في العالم الإسلامي.

وبعد وفاة المعز لدين الله تولى ابنه العزيز بالله (٣٦٥ - ٩٧٥هـ / ٩٩٦م) الخلافة الفاطمية، فانقطعت الخطبة في بلاد الحجاز للفاطميين، وعادت إلى العباسيين. وذلك بسبب تجديد الخليفة العباسي لأهل الحجاز. ولكن العزيز بالله لم يقف صامتاً أمام هذه الأحداث، فأرسل قائداً "باديس بن زيري الصنهاجي" ، عام ٩٧٧هـ / ٣٦٧م أميراً للحجاج المصري، فأستولى باديس بن زيري على الحرمين الشريفين، وأقام الخطبة فيها للعزيز بالله. كما استطاع توفير الأمن للحجاج بيت الله الحرام، وذلك بعد أن جمع اللصوص وقطع الطرق، وأمر بقطع أيديهم جراء فسادهم في الأرض^(٣٩)، مما جعل المؤرخين يشيدون به^(٤٠).

لكن الأمور لم تستقر للخلافة الفاطمية في الحجاز حيث قامت ثورات مختلفة تنادي بالبيعة للخلافة العباسية. ومن هذه الثورات:

(١) ثورة أبي حازم ٩٨٧هـ / ٣٧٧م:

قامت في سنة ٩٨٧هـ / ٣٧٧م ثورة ضد العزيز بالله بقيادة ثائر يسمى "أبي حازم"^(٤١) حاول الاستقلال بالحجاز، فقام بطرد الفاطميين منها، ولم توضح

المصادر التاريخية أحداث هذه الثورة، ولكن يبدو من خلال الأحداث أن هذه الثورة لم تستمر طويلاً، حيث جهز العزيز بالله جيشاً فاطمياً، توجه إلى بلاد الحجاز، واستطاع هذا الجيش أن يقضي على هذه الثورة، وأن يقبض على هذا الثائر ويقطع رأسه. وعاد المدرب بذلك إلى الأماكن المقدسة، وعادت الخطبة للفاطميين مرة أخرى.

(٢) ثورة أمير حجاج العراق ٩٩٠ـ / ٣٨٠ـ:

لم تكتمل ثورة أبي حازم حتى قامت ثورة جديدة ضد الفاطميين؛ حيث خرج أمير حجاج العراق^(٤٢) على الخلافة الفاطمية، ودعا لعاصمة الدولة بن بويه. مما جعل العزيز بالله يضطر إلى إرسال جملة إلى بلاد الحجاز، ضيقاً عليهم، وحاصرت مكة والمدينة. مما أدى إلى غلاء الأسعار بهما "ولقي أهلهما شدة عظيمة"^(٤٣). ثم انتهت الثورة باحتادها والقضاء عليها، وإعادة الخطبة للفاطميين، وقطعت الدعوة فيها عن العباسيين.

(٣) ثورة بالقاسم على الرسي ٩٩٤ـ / ٣٨٤ـ:

لم يكتمل شعر أهل الحجاز بالهدوء والاستقرار تحت ظل الخلافة الفاطمية، حتى قامت ثورة جديدة بزعامة "بالقاسم بن علي الرسي"^(٤٤) حيث حاول الاستقلال بالحرمين الشريفين. وطرد الفاطميين من مكة والمدينة ودعا للعباسيين، وقطع الطريق على الحجاج، وبدأ يهدد النفوذ الفاطمي في شبه الجزيرة العربية كلها. ولم يتضرر العزيز بالله وقتاً طويلاً في تجهيز جيشه، فقام بإرساله إلى مكة لمساعدة أميرها "عيسي بن جعفر الحسني". واستطاع الجيش الفاطمي القضاء على الثورة والقبض على الثائر "بالقاسم بن علي" وأرسل إلى العزيز بالله في القاهرة ، وإن كنا لم نعلم مصير هذا الثائر. ولكن أغلب الظن؛ إن العزيز بالله قد عفا عنه. وذلك لما اشتهر عن العزيز بالله من حب انتسامح والعفو عن الرعية .

وهكذا انتهت ثورات الحجاز وأقيمت الخطبة للعزيز بالله في مكة والمدينة ونعمت الأماكن المقدسة بالهدوء والاستقرار؛ وأمن ركب الحجاج إلى الأماكن المقدسة تحت ظل الخلافة الفاطمية.

المبحث الثاني

(المقاومة القولية)

بما المصريون فيما جاؤوا إليه من مقاومة يضاء إلى ما يمكن تسميته "المقاومة اللسانية" أو ما يعرف في مصطلح السياسة - الحديثة - باسم "المقاومة القولية". وكان من أساليب المصريين في المقاومة التعبير عن سخطهم بالشعر أو بالثر.

(أ) الشعر:

كان الشعر - وما زال - يعبر عن مكتون النفس، وما يحسه الشاعر من مشاعر مختلفة. وما هو جدير بالذكر أن أغلب الشعر المصري الذي وصل إلينا من هذه الحقيقة، شعر متصل بالأحداث التي تقلبت على المصريين^(٤٥) خلال تلك الفترة. وأقله شعر ذاتي قاصر على المشاعر الشخصية لقائلية. بالإضافة لذلك؛ إن أكثر هذا الشعر محفوظ في المصادر التاريخية لا الأدبية وبديهي أن هذه المصادر لا تعني إلا بما يحقق أهدافها وأغراضها ، ويشهد لأقوالها وحوادثها ، وهو الشعر الخاص بأحداث التاريخ. ومن الأنصاف أن نقر أن الشعر في العهد الفاطمي - في مصر - كان أول شعر مصري قيم من عهد فتح المسلمين لمصر إذ كان الشعر قبل ذلك ليس له قيمة إلا للوادفين على مصر من الخارج ، أما شعر المصريين أنفسهم فكان مجرد محاولات أدبية أولية . وعندما جاء الفاطميون إليها جاء الشعر وجاد ، ويرجع ذلك لعدة

أسباب:

أولاً: إن العصر الأول لفتح مصر كان عصر دهشة أعقبت الفتح فلما استقرت الأمور وبدأ الشعر ينهض ، حكم مصر الطولونيون والإخشيديون وهم ليس لهم الذوق العربي الراقي . فلما جاء الفاطميون - وهم عرب - ثما الشعر على باكem وتقدم.

ثانياً: إن الدولة الفاطمية قامت على أساس الدعوة والدعائية بأوسع ما تدل عليه هذه الكلمة ، فرأى أن الشعرا من أصلح الدعاة لمنتهيهم . فاحتضن الفاطميين الشعرا وأغدقوا عليهم العطاء الوفير ليطلقوا ألسنتهم بالقول في مدحهم ومدح عقائدكم ومنتهيهم . فراج الشعر لكثرة الدوافع إليه وقوتها . والشعر إنما يكثر ويزدهر على باب القصور السخية، والفاطميين كانوا من أsex الناس في هذا الباب.

نستطيع أن نرى عناصر مقاومة المصريين الشعرية في أغراض شتى من أغراض الشعر ولكنها تظهر جلية وبوضوح في الهجاء لذلك سوف نقصر الكلام عليه .
بدأت مقاومة المصريين القولية بعد تولية العزيز بالله حكم الخلافة الفاطمية (٣٨٦-٩٧٥هـ/٩٩٦-١٤٠٣م) حيث شكك المصريون في نسبة إلى عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل الثاني (الصادق) ولستنا - هنا - بقصد الحديث عن قضية نسب الفاطميين . ولكن يمكن القول: إن المؤرخين قد اختلفوا حول هذه القضية ، فمنهم من نفي نسبهم إلى أهل البيت ومنهم من أثبته . من الفريق الأول : ابن ظافر الأزدي ^(٤٤) بقوله: "أما مذهبهم فالكفر الصريح والنفاق الذي خالف الباطن فيه التصريح وأن نسبهم ليس ب صحيح" . واليافعي ^(٤٧) قال: "وأكثر أهل العلم بالأنساب لا يصححون نسب العبيدين إلى رسول الله" . وابن العماد الحنبلي ^(٤٨) بقوله: "وأكثر الناس لا يسلمون للعبيدين بنسبتهم إلى أهل البيت" . وابن تغري بردي ^(٤٩) الذي قال: "وأكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدى عيسى الله" بالإضافة إلى ابن خلkan ^(٥٠) والتوييري ^(٥١) .

أما الفريق الثاني من المؤرخين: فقد أثبت صحة نسبهم إلى أهل البيت ، ومن هؤلاء ابن خلدون ^(٥٢) الذي قال: " ومن الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين والأثبات في العبيدين خلفاء الشيعة بالقبروان والقاهرة من نفيهم عن أهل

البيت - صلوات الله عليهم - والطعن في نسبهم إلى إسماعيل بن جعفر (الصادق) يعتمدون على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفاً إليهم بالقدح فيما ناجهم وتفتنا في الشهوات" ثم يقول : "وهذه الدعوى كاذبة". والمقرizi^(٥٣) الذي بحث القضية بحثاً وافياً ثم قال : "وأنت إذا أهملت من العصبية والموى وتأملت ما قد مر ذكره من أقوال الطاعنين في أنساب القوم (الفاطميين) علمت ما فيها من التعسف والحمل مع ظهور التلقيق في الأخبار، وتبين بك منه ما تأبى الطباع السلمية قبوله ويشهد الحسن السليم بكل ذمته" ومن هذا الفريق - أيضاً - الإمام السحاوي^(٥٤) والقلقشتي^(٥٥).

وكما اختلف المؤرخون القدماء في نسب الفاطميين فقد اختلف المؤرخون المحدثون - أيضاً - حول هذه القضية ، فمنهم من أنكراها^(٥٦) ومنهم من أثبت صحتها لأهل البيت^(٥٧). وأنا أميل إلى رأي المثبتين للنسب ، وأرجح صحة نسب الفاطميين لأهل البيت وذلك لقوة الأدلة التي ثبت ذلك النسب؛ ولأن "صلاح الدين الأيوبي - السنى المذهب والذى قضى على الدولة الفاطمية ومذهبها - الشيعي - قضاءً ميرماً ٥٦٧ هـ / ١١٧٠ م" عندما أسقط الخليفة العاضد - آخر خلفاء الدولة الفاطمية - لم يشر أحد من المؤرخين السنين إلى أنه طعن في نسبهم - فيما أعلم - رغم كونه سنياً متعصباً . وأغلبظن أن إثارة هذه المسألة قد جاءت من قبل أعداء الإسلام - من اليهود المستشرقين - الذين دأبوا على تبع عورات المسلمين - إن وجدت - واحتزاعها - إن لم تكن - لبث الفرقة والتزاوج في صفوفهم والتشكيك في تاريخهم الإسلامي^(٥٨).

نعود إلى مقاومة المصريين ونقول : انتهز المصريون أول فرصة صعد فيها العزيز بالله المنبر يوم الجمعة بعد توليه الخلافة الفاطمية . فكتبوا له رقعة علقت على المنبر فيها هجاء صريح له ، وكانت من شعر ابن يزيد جاء فيها :

يتلى على المنبر في الجامع
فاذكر أباً بعد الأب الرابع
فانسب لنا نفسك كالطائفع
وأدخل بنا في النسب الواسع
فإن أنساب بني هاشم
وعندما قرأ العزيز بالله هذه الرقعة لم يتكلم ولم يحب المصريين بشئ^(٥٩).
لم يكتفى المصريون بهذه الرقعة بل أغراهم حلم العزيز بالله وسكته على
تكرار هذه الفعلة ، فإذا بالعزيز بالله يصعد يوماً المنبر يوم الجمعة فوجد ورقة كتب
فيها:

وليس بالكفر والحمامة	بالظلم والجور قد رضينا
فقل لنا كاتب البطاقة ^(٦٠)	إن كنت أعطيت علم غيب

ولم يحب العزيز بالله بشئ . وهذه الأبيات تدل على مدى ما وصل إليه
المصريون من هجاء لل الخليفة ، ومقابله — في نفس الوقت — حلم وصفح وغفو
العزيز بالله . وهكذا نرى؛ إن سلاح الشعر خاصة — الهجاء — قد استخدمه المصريون
واستطاعت أصواتهم أن تصلى إلى مسامع الخليفة بكل الطرق .

لم تقتصر مقاومة المصريين على الطعن في نسب العزيز بالله ، بل تعدّها إلى
التعريض بأهل الذمة ، خاصة بعد ازدياد نفوذهم وتسلطهم على المسلمين . ومن
المعروف أن عهد العزيز بالله قد اتسم بالتسامح مع النصارى واليهود فراد بلاطه في
إكرامهم؛ وذلك لما كان بينه وبينهم من صلة النسب ، إذ تزوج من مسيحية رومانية
الأصل ملكانية المذهب^(٦١) . وكان لها أخوان رفعها العزيز بالله إلى أعلى مناصب
الكنيسة فعين أحدهما "أرسس" بطريركاً للملكيتين بيت المقدس سنة ٥٣٧ـ /

٩٨٥ م ، وعين الثاني "أرمانوس" مطراناً للقاهرة^(٦٣) ، — وكان هذه السيدة نفوذ عظيم في قصر العزيز بالله — ؛ ومن ثم تمعن الجميع من أهل الذمة بكمال حرمتهم الدينية ، وشغلوا أعلى المناصب الإدارية. فقد استوزر العزيز بالله "يعقوب بن كلس" اليهودي الأصل، أول وزراء الدولة الفاطمية في مصر ، وأعظمهم شأناً. والحقيقة؛ إن "ابن كلس"^(٦٤) قد تفاني في خدمة الفاطميين ، وقام بكثير من الإصلاحات الإدارية والمالية وأسهم في نشر المذهب الشيعي ، وفي تنشيط الحركة العلمية ، كما كان له دور بارز في رسم السياسة الخارجية للدولة الفاطمية إبان فترة وزارته، لذلك حظي عند العزيز بالله بالمرتبة السامية ، والدرجة الرفيعة. وليس أدل على حسن علاقته بال الخليفة العزيز بالله من هذا المشهد الرائع. عندما مرض ابن كلس مرضه الأخير، زاره العزيز بالله وقال له : "يا يعقوب!! وددت لو تباع فابتاعك بملكي أو تفتدي فأفتديك ، فهو من حاجة توصي بما؟ فبكى الوزير وقبل يد العزيز بالله، ووضعها على عينيه، وقال: أما فيما يخصني فلا ، فإنك أدعني لحقني من أن أستر عليك ، وأرأف بمحلكي من أن أوصيك، ولكن أقول لك فيما يتعلق بدولتك : سالم الروم ما سالموك واقتصر من الحمدانية بالدعوة والسكنة ولا تبق على المفرج بن دغفل بن الجراح متى أمكنت فيه الفرصة"^(٦٥). وكان ابن كلس مخلصاً للعزيز بالله على حد تعبير أبي شجاع " ولم يشغله ما كان فيه من فراق دنياه عن نصح صاحبه"^(٦٦). ويصف ابن القلansi يعقوب بن كلس بأنه كان "كبير الهمة ، قوي النفس والمنة ، عظيم الهيئة ، فاستولى على أمر العزيز بالله وقام به ، واستصحبه فعول عليه ، وفوض أمره إليه ، وكانت أموره مستقيمة بتدبيره"^(٦٧). وعلى مر السنين عظمت مكانة ابن كلس عند العزيز بالله.

ولكن الحياة في دنيا السياسة لا تسير - دائمًا - على خط مستقيم ، إذ سرعان ما غضب العزيز بالله على وزيره ابن كلس؛ بسبب قتله للقائد التركي

أفتكين — كما سبقت الإشارة — فقبض عليه العزيز بالله وحبسه وأخذ منه ما يقرب من خمسمائة ألف دينار^(٦٨). ولكنه بعد فترة — قليلة — ونظرًا حاجة الخلاقة إليه أطلق سراحه ورد إليه كل ما كان بيده من مهام الدولة وشئون البلاد وأعطاه هدية قيمة من العبيد الترك والمغاربة.

والحقيقة إن يعقوب بن كليس كان يخدم اليهود ويرعى مصالحهم وكان يميز أصدقائه وغلمانه من اليهود ، بل إن أقرب صديق له كان موسى اليهودي التاجر . و إزاء هذه المعاملة غضب المسلمين ، وحنقوا على ابن كليس ، ونطق الشعرا بهجاءه في أكثر من قصيدة ، ومن هؤلاء الشعراء الحسن بن بشر الدمشقي فقال :

قل لأبي نصر ^(٦٩) كاتب القصر	والثانية لقضى ذلك الأمر
انقضى عرس الملك الوزير	تفز منه بحسن الثناء والذكر
وأعط وامنع و لا تخف أحداً	صاحب القصر ليس في القصر
وليس يدرى ماذا يسراد به	وهو إذا درى فما يلدرى ^(٧٠)

وغضب ابن كليس من هذه الأبيات وشكى إلى العزيز بالله الذي لم يفعل شيئاً خوفاً من ثورة المصريين ضده. وتجرأ الحسن بن بشر الدمشقي أكثر فقال :

تنصر فالنصر دين حق	عليه زماننا هذا يدل
وقل بثلاثة عزوا وجلوا	وعطل ما سواهم فهو عطل
فيعقوب الوزير أب وهذا	العزيز ابن وروح القدس فضل.

والعجب أن ابن كليس عندما اشتكي إلى العزيز بالله من هذا الهجاء قال له الخليفة : هذا شيء اشتراكنا فيه في الهجاء فشاركتني في العفو عنه.

لم يكتفى المصريون بهذه الأبيات بل قال شاعرهم:

نعم على قدر الكلب يصلح الساجور	زيارجي نديم وكليس وزير
--------------------------------	------------------------

عندما سمع ابن كلس هذه الأبيات دخل على العزيز بالله وقال له : لم يبق للعفو عن هذا معنى ، وفيه غض من السياسة ، ونقص هيبة الملك . فإنه ذكرني وسبك . وأمر ابن كلس بالقبض على الحسن بن بشر وقتله . وعندما وصل الخبر إلى العزيز بالله أغمى ذلك . وهذه الأبيات تدل على مدى ما وصل إليه المصريون من هجاء لل الخليفة والوزير ، يقابلها حلم وصفح وعفو العزيز بالله .

وخلاصة القول : إن المصريين قد استخدمو سلاح الشعر خاصة - الهجاء - واستطاعت أصواتهم أن تصل إلى مسامع القصر الفاطمي . بل كانت هذه الأبيات تتردد على ألسنت أعواام الناس .

(ب) النثر :

ازدهرت الكتابة في مصر زمن الطولونيين والاخشيدين وبلغت درجة عالية، من الفن والإبداع . وعندما تولى الفاطميين حكم مصر أصبحت الكتابة فيها قوية مزدهرة؛ وذلك لاهتمام الفاطميين بنشر العلم وإذكاء شعلته في البلاد؛ وعناية الفاطميين بالكتاب كانت أشد من عنايتهم بالشعراء^(٧١) وذلك لاتساع ملوكهم وتشعب نواحي حياهم وسلطانهم . يضاف لذلك؛ أن نظام الحكم الفاطمي كان من أشد العوامل التي أدت إلى ازدهار الكتابة . فإن الفاطميين كانوا يسجلون كل دقيقة وعظيمة في سجل خالص لهم . هؤلاء وقد استخدم المصريون الكتابة سلاحاً آخر من أسلحة المقاومة القولية، هذا السلاح قد اشتهر به أهل مصر قديماً وحديثاً وكاد يكون علمًا عليهم ، وهو يدخل في فن "الفكاهة والسخرية"^(٧٢) . وما يؤسف له أن هذا اللون لم يجد عناية كبيرة من المؤرخين لذلك لم يصل إلينا منه إلا القليل . بعد توقيع عيسى بن نسطورس الدواوين في مصر "نظر في جميعها وأمر وفهي"^(٧٣) وخاطب سائر الكتاب عن العزيز بالله، وخطاب سائر الأولياء، وكافة الناس في مهماتهم وتوقعاتهم^(٧٤) . وغizer عيسى بن نسطورس بالمهارة والكفاءة؛ فجمع الأموال ووفر

الخرج. وقوى مركزه وقبض على كل عمل مربح لنفسه. ولكنه مسال إلى تعين الأقباط في المناصب الهمة، حيث أحسن معاملتهم ، واستعan بهم في أعمال الدولة دون المسلمين. وزاد عليهم الضرائب زيادة كبيرة ، وحابي إخوانه في الدين وولاهم أهم وظائف الدولة^(٧٥) مما أثار سخط المسلمين الذين كانوا — بلا شك — يكرهون سلطنتهم عليهم ، وتوليهم أمور بلادهم^(٧٦).

كذلك قرب العزيز بالله يهودياً آخر يسمى "منشا بن إبراهيم الفرار" وجعله نائبه على الشام فسلك هذا الرجل مع اليهود مسلك عيسى بن نسطورس مع النصارى في مصر ، حيث قرهم إليه . وترتب على ذلك تسلط النصارى واليهود على شئون البلاد في مصر والشام. فانفجرت مشاعر الغضب عند المسلمين، وقدموا الاحتجاجات المختلفة إلى صاحب الديوان (٤) يشكرون من تسلط أهل الذمة عليهم وأصبح من مهام صاحب ديوان الشام وديوان الحجاز إخبار العزيز بالله بما تشكون منه الرعية .

ولما لم يجد المصريون جدوى من تقديم الشكاوى فعلوا حيلة ذكية، كشفت عنهم الغمة التي هم فيها. حيث تنقل لنا المصادر التاريخية رواية خلاصتها : إن المصريين كتبوا شكوى وجعلوها في يد صورة امرأة صنعواها من ورق وجريدة وكتب فيها : "بالذى أعز اليهود بمنشا والنصارى بعيسى بن نسطورس، وأذل المسلمين بك إلا كشفت ظلامي" وأقعدوا تلك الصورة على طريق العزيز بالله، والرقة بيدها، فما رآها أخذ الورقة وعلم ما فيها فامر بإحضار المرأة فوجدها من قراطيس فعلم ما أريده بذلك. وعاد إلى قصره حزينًا، واستدعى القاضي محمد بن النعمان وكان من خاصته ، وأهل أنسه فشاوره في ذلك، فقال القاضي : أنت أعرف بوجه الرأي. فقال العزيز بالله: لقد صدقتك المرأة في القصة، ونبهت عن الغفلة. وأمر في الحال بالقبض على عيسى بن نسطورس وأمر بصلبه^(٧٧) على باب المدينة، وسائر الكتاب

النصارى. ثم كتب إلى الشام بالقبض على منشا بن إبراهيم وجماعة من المتطرفين اليهود، وأمر برد الدواوين والأعمال إلى الكتاب المسلمين وعهد إليهم بالإشراف على البلاد.

وهكذا نرى إن العزيز بالله قد نزل على شركوئ المصريين المسلمين، وقام بعزل أهل الذمة، وأعاد الحقوق للMuslimين. ونجح المصريون بهذه الخليفة الذكية في أن يرفعوا عنهم هذا الظلم ويستجيب لهم الخليفة، ويتحقق لهم مطالبهم. ولعل من الصواب أن نقرر إن هذا الأسلوب من المقاومة، خاص بالمصريين حتى صار علمًا عليهم، وقد امتدحهم المقريزي في ذلك بقوله: "ولهم خبرة بالكيد والمكر، وفيهم بالفطرة قوة عليه، وتلطف فيه... حتى صاروا مضرب المثل فيه بين الأمم" ^(٧٨).

ومع استخدام هذا الأسلوب في المقاومة نجد أن المصريين قد استخدموه أسلوبًا آخر وهو: تقديم الشركوئ الصریحة للخليفة العزيز بالله، فيذكر المقريзи ^(٧٩) أن أحد المصريين تقدم بطلب قرضًا من بيت المال ولم يأذن له "أبو جعفر محمد بن حسين بن مهذب" متولي بيت المال. فتقدم هذا الرجل بشركوئ إلى العزيز بالله شخصيًّا فأمر الخليفة في الحال بكتابة رسالة إلى متولي بيت المال جاء فيها: "يا محمد سلمك الله - من أناك من أهلك وكتابك وخزانك والمصرفيين معك ومن سائر عبيادنا، والمتمسكين بأذيالنا يطلب منك سلفاً، ورأيت منه ما يدل على صحة ما شكا، ومن ضرورته وعلمت صدقه في دينه، فأدفع إليه ما رأيته ولا تطلب منه". وهذا حلم وصفح عظيم من العزيز بالله، ويدل في نفس الوقت على جرأة المصريين واقرَب الخليفة إليهم. ولا عجب في ذلك فإن العزيز بالله قد اشتهر بالعدل والحلم والعفو وكان دائمًا يقول لعمه حيدرة: "أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة، وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهر، ولم الخيل واللباس والضياع والعار وأن يكون ذلك كله من عندي" ^(٨٠).

(ج) المقاومة القولية لأهل السنة :

لما آلت الخلافة الفاطمية إلى العزيز بالله (٣٨٥ - ٩٧٥ هـ / ٩٩٦ - ١٠٩٦ م) عني - كأبيه المعز لدين الله - بنشر المذهب الشيعي في مصر، ومن ثم كانت الأحكام تصدر وفقاً لهذا المذهب واقتصرت المناصب الهاامة في الدولة على الشيعة، ولذلك انتشر المذهب الشيعي في البلاد المصرية حتى وصل إلى الصعيد^(٨١) وأجبر المصريون على اعتناق هذا المذهب. ومن الحقيقة أن نقرر إن الفاطميين قد تشددوا في نشر المذهب الشيعي، وكانوا يعاقبون من خالف مذهبهم، حتى إنه لو وجد عند أحد من المصريين كتاب لأهل السنة ضرب وأذى. يحدثنا المقريزي: أن رجلاً ضرب وطيف به في المدينة من أجل أنه وجد عنده موطاً الإمام مالك بن أنس^(٨٢). ولا يعني ذلك أن المصريين قد تخلوا تماماً عن مذهبهم السني، ولكنه يوضح - لنا - أن الفاطميين قد ضيقوا عليهم في تعلم المذهب السني.

وأمام هذا التضييق لم يسكت المصريون، بل كانوا يقدمون الاحتجاجات المختلفة إذا تساهلت الخلافة الفاطمية في الأمور الشرعية. يحدثنا المقريزي : إن أحد رجال من أهل الذمة ارتد عن الإسلام وعاد إلى دينه القديم، وكان سنه قد جاوز الثمانين عاماً. وحين علم المصريون بذلك قدموا احتجاجاً مكتوباً إلى القاضي محمد بن العمأن، والذي رفعه بدوره إلى العزيز بالله. الذي أمر بتسليم المرتد إلى وألي الشرطة، وطلب من القاضي أن يرسل إليه أربعة شهود ليتوب أمامهم، فإن تاب منحه الشرطي مائة دينار، وإن أصر على كفره قُتل في الحال. وبالفعل؛ أصر الرجل على كفره فأمر القاضي بقتله وألقيت جشه في النيل. ويعتبره مؤرخو النصارى^(٨٣) شهيداً لأنه قُتل على دينه .

وعلى ذلك يمكن القول : إن احتجاج أهل السنة ضد هذا المرتد كان من أكبر الدوافع التي شجعت الخلافة الفاطمية على معاقبته بالعقوبة الشرعية وهي القتل^(٨٤).

وكما قدم المصريون الاحتجاجات ضد المرتدين من أهل الذمة فقد قدموا شكواهم - أيضاً - إلى الخلافة الفاطمية ضد المكررات التي يرتكبها أهل الذمة في أعيادهم، وتؤدي مشاعر المسلمين، وكثيراً ما تدخلت الخلافة الفاطمية لمنع هذه الأعياد، أو يعني آخر لمنع المكررات التي تسى للمسلمين فيها، أو قد تؤدي ثورتهم وغضبهم.

ومن ذلك ما حدث سنة ٩٩٧هـ / ١٥٦٧ م حيث تدخلت الخلافة الفاطمية في تحديد احتفال القبط بعيدين من أعيادهم الدينية، أو هما : عيد الغطاس ؛ فقد منع القبط من إظهار الجنون واللهو، و فعل المكررات المختلفة في هذا العيد. وهددتهم الخليفة الفاطمي العزيز بالله بالعقاب والنفي خارج البلاد^(٨٥) لكل من يقترب شيئاً من هذه المكررات.

ثانيهما : عيد الصليب ؛ فقد خرج الناس إلى الفسطاط، وارتکبوا المحرمات المختلفة . فأمر العزيز بالله سنة ٩٩١هـ / ١٥٨١ م بمنع الناس من الخروج إلى الفسطاط، كما أمر بضبط الطرق لمنع المكررات .

ولكن لا يعني ذلك أن الخلافة الفاطمية كانت - دائماً - تشدد ضد أهل الذمة وتعنفهم من إقامة أعيادهم، بل على العكس؛ فقد تمنع أهل الذمة بكامل حريةهم في أداء مشاعرهم الدينية. وما تدخلت الخلافة الفاطمية إلا لمنع المكررات التي تسى إلى الإسلام، أو قد تتسبب في إثارة مشاعر المسلمين ضدهم.

وخلاصة القول : إن المصريين قد استخدموا طرقاً كثيرة وأساليب شتى تعبر عن غضبهم وتدل على ثورتهم، وتصل بشكواهم إلى مسامع الخليفة الفاطمي في

قصره. ويعد هذا بمثابة إنذار وتحذير يثرة عامة ضده إن لم يستجيب لهم، ويحقق مطالبهم. وكثيراً ما كانت تخضع الخلافة الفاطمية لطالب المصريين خوفاً من ثورتهم. ويمكن القول : إن هذا النوع من المقاومة قد برع فيه المصريون واستطاعوا عن طريقه تخفيف الظلم الواقع عليهم .

المبحث الثالث

(الأسطول الفاطمي وحرقة)

تذكر بعض المصادر التاريخية إن النصارى في مصر، قاموا بحرق الأسطول الفاطمي أثناء تجهيز العزيز بالله هذا الأسطول لحربة الروم. ولما كانت هذه النقطة هامة، وجديرة بالدراسة؛ لأنها توضح لنا حقيقة العلاقة بين أهل الذمة في مصر والخلافة الفاطمية من جهة، وبينهم وبين دولة الروم من جهة ثانية؛ لذلك أردت إفادتها بالبحث.

*الأسطول في مصر الإسلامية :

كانت صناعة السفن في مصر الإسلامية من أهم الصناعات. فمنذ دخول الإسلام إلى مصر، كان المصريون لهم فضل كبير في بناء البحريـة الإسلامية^(٨٦). حيث كانت الخلافة الإسلامية تعتمد على مصر في إنشاء أسطولها البحري.

قامت صناعة السفن منذ زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان (٤٠-٦٦٠هـ/٩٧٩م). وكان يطلق على مكان صناعة السفن اسم "دار الصناعة" ويعني بها دار صناعة السفن، وهذا يدل على مبلغ اهتمام الدولة الإسلامية بالأسطول، ولذا فقد أصبحت الصناعة لديهم تعنى في المقام الأول صناعة السفن والأسطول^(٨٧).

يذكر المقريزي^(٨٨) إن دار الصناعة كانت بجزيرة الروضة، وأما أسمـت في عام ٥٤٥هـ/٢٧٣م. غير أن الدكتورة سيدة كاشف^(٨٩) ترى إن صناعة السفن أنشئت في مصر قبل هذا التاريخ بفترة طويلة، حيث بدأ المسلمين يعنون ببناء السفن منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣٥-٦٤٣هـ/٩٥٥-٦٥٤م) حيث وقعت معركة ذات الصواري ٣٤هـ/٦٥٤م بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم

انتقلت صناعة السفن إلى سائر العالم الإسلامي، وكان من الطبيعي — نظراً لموقع مصر الجغرافي على البحر المتوسط ، والبحر الأحمر، أن تهتم ببناء السفن. لذلك خصصت الدولة غابات الأشجار التي تصنع منها الأخشاب الخاصة بالأسطول ملكاً للدولة^(٩٠). وإذا لم تكفي هذه الأخشاب فإن الدولة كانت تضطر إلى الاستيراد من الخارج خاصة من بلاد الشام؛ حيث خشب الأرز الشهير. كما كانت تستورد من بلاد الأناضول الأخشاب عند الحاجة إليها، وكانت تستخدم ألياف الكتان المصري في صناعة الحبال وأدوات السفن^(٩١).

وكان يتم تجنييد الأقباط في خدمة الأسطول الإسلامي، حيث أشارت بعض أوراق البردي^(٩٢) إلى أن الوالي قرة بن شريك كان يطلب من الأقاليم إرسال عمال وصناع وملاحين للعمل في دور الصناعة، وإعداد الأسطول الحربي، وكان معظم هؤلاء الصناع من الأقباط .

فإذا انتقلنا إلى العصر الطولوني (٤٥٤-٢٩٢-٨٧٨هـ / ٩٠٥-٢٩٢-٥٩م) نجد أن أحمد بن طولون قد اهتم بالأسطول اهتماماً كبيراً، وزاد اهتمامه به بعد توسيع دولته، حيث ضم بلاد الشام؛ وبذلك أصبح في مواجهة الأسطول البيزنطي. فقام ببناء أسطول ضخم يتألف من أكثر من مائة مركب حربي^(٩٣)، وكان هذا الأسطول من أقوى الأساطيل في العالم حينئذ .

وبعد وفاة أحمد بن طولون ترك لابنه خماروية أسطولاً بلغ مجموع سفنه الكبيرة والصغرى — الحربية والتجارية — نحو ألف قطعة^(٩٤). واستطاع هذا الأسطول أن يحد من غارات الروم البحريية على الشعور الإسلامية خاصة بعد ضعف الخلافة العباسية في بغداد^(٩٥).

فإذا انتقلنا إلى الدولة الإخشيدية (٣٢٣-٩٣٥هـ / ٩٦٩-٣٥٨م) نجد الإخشيديين اهتموا اهتماماً عظيماً بالأسطول، وقام محمد بن طفع الإخشيدى بنقل

دار صناعة السفن من جزيرة الروضة إلى مكان آخر أطلق عليه "دار صناعة السفن"^(٩٦) ويدرك المقرizi: إن السبب الذي دفع الإخشيدي إلى نقل دار الصناعة؛ أنه بعد دخوله مصر، ثار عليه بعض الرعية وأشتبكوا مع الجيش والأسطول في جزيرة الروضة، ولم يستطع محمد بن طفج أن يقوم برد حاسم ضدهم، أو القضاء على ثورتهم؛ لأن النيل حال بينهم وبينه، فكره ذلك، وقال: "صناعة يحول بينها وبين أصحابها الماء ليست بشئ"^(٩٧) ومن ثم قام بنقل دار الصناعة إلى مكانها الجديد. ومع ذلك كانت السفن تصنع مرة في دار الصناعة بمصر، ومرة في دار صناعة الجزيرة.

*أسطول الدولة الفاطمية

وإذا انتقلنا إلى الدولة الفاطمية (٣٥٨ - ٩٦٩ / ٥٥٦٧ - ١١٧١ م) فإننا نجد أن الضرورة السياسية والحرية كانت تختتم على الفاطميين تأمين حدودهم البحرية خاصة بعد امتداد سلطانهم إلى بلاد الشام، حيث حرصوا علىبقاء وحدات من أسطولهم بالموانئ المصرية والشامية، خاصة في الإسكندرية ودمياط وعكا^(٩٨). وإذا كان الفاطميون قد وجهوا عنايتهم إلى إعداد جيش قوي، يكون عدة لهم ضد أعدائهم داخلياً وخارجياً، إلا إنهم اهتموا في نفس الوقت بإنشاء أسطول أقوى^(٩٩). يتولى حماية البلاد من خطر الروم؛ بالإضافة إلى فرض سيطرتهم على سواحل الشام، وقد بلغ من عناية الخلفاء الفاطميين بالأسطول إن الخليفة الفاطمي كان يشرف بنفسه على دفع نفقات الأسطول. ويدرك المقرizi^(١٠٠) إن الخليفة الفاطمي كان يحضر إلى ساحل المقس، ويجلس الوزير إلى جواره، ويحضر صاحب الجيش، وكاتبه، والوزانون من بيت المال، ومعهم الأموال ثم يدخلون البحارة كل مائة مع بعضهم من يؤدون أعمالاً واحدة أو مشابهة... ويعطي كلاماً منهم خمسة دنانير فإذا دفعت نفقات الجند عن آخرها تجهزت السفن، وأخذت أهيتها للسفر".

لقد عنى الخليفة المعز لدين الله منذ قدمه إلى مصر ٩٦٢هـ / ٩٧٢ م عناية كبيرة بإنشاء الأسطول، فأكثر من صناعة السفن الحربية، وأنشا في المنس (١٠١) داراً لصناعة السفن، قال ابن طبيع في تاريخه عند ذكر وفاة المعز لدين الله: "إنه أنشأ دار الصناعة التي بالمنس، وأنشا بها ستمائة مركب لم ير مثلها في البحر على ميناء" (١٠٢). حيث كان يرمي من بناء هذا الأسطول الدفاع عن مصر مقر الخليفة الفاطمية، فضلاً عن توسيع دولته، ورغبة في الإبقاء على نفوذ خلافته في الحوض (١٠٣) الشرقي للبحر المتوسط.

وقد وصف المقريزي (١٠٤) عناية المعز لدين الله الفاطمي بأسطوله وصفاً مسهباً فقال: "ما سار الروم إلى البلاد الشامية بعد سنة حسين وتلثائة (٩٦١ م)، اشتد أمرهم بأحد البلاد، وقويت العناية بالأسطول في مصر منذ قدم المعز لدين الله وأنشا المراكب الحربية، واقتدى به بنوه، وكان لهم اهتمام بأمور الجهاد، واعتساف بالأسطول، وواصلوا إنشاء المراكب بمدينة مصر، والإسكندرية، ودمياط، وتسيرها إلى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعسقلان. وكانت في أيام المعز لدين الله تزيد على ٦٠٠ قطعة".

وقد استطاع هذا الأسطول أن يقوم بدوره في الحرب، فقد رد أطماع القرامطة في حروبه ضد المعز لدين الله سنة ٩٧٠هـ / ١٠٥ م. وكان يقوم بtransport المئون والذخائر على القوات البحرية الفاطمية بالشام، وبفضل هذا الأسطول وصلت الدولة الفاطمية على أقصى ما وصلت عليه من قوة ونفوذ وهيئية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وصدت قواها البحرية هجوماً بيزنطياً على طرابلس الشام في سنة ٩٦٤هـ / ١٠٤ م.

ولما تولى العزيز بالله (٩٦٥هـ - ٩٧٥م - ١٠٣٨هـ / ١٠٩٦م) حكم الخليفة الفاطمية، اقتدى بأبيه في الاهتمام بالأسطول، وإعداد القوات البحرية.

وأسطاع الفاطميين في عهده الاحتفاظ بسيطرتهم على موانئ الشام ومصر. وكما اهتم العزيز بالله بالأسطول فقد اهتم - كذلك - بتدعم دور صناعة السفن في المنس، والإسكندرية، ودمياط. وقد وصف عز الملك المسيحي المؤرخ المصري (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م) هذا الأسطول بقوله: "إنه بني فيها ستمائة مركب وأنه لم ير مثلها فيما تقدم كبراً ووثقة وحسناً"^(١٠٦) وكان العزيز بالله يجلب الأخشاب اللازمة لصناعة السفن من مناطق الغابات الموجودة في كثير من مناطق الصعيد مصر^(١٠٧). ولأن إنتاج مصر من الأخشاب لم يكن كافياً لصناعة السفن، لذلك عمل الخليفة العزيز بالله على استيراد الأخشاب من أوربا، وكثيراً ما كانت تتدخل الدولة البيزنطية لنزع المدن الإيطالية خاصة البندقية^(١٠٨) من تصدير الأخشاب إلى الدولة الفاطمية، وكثيراً أيضاً ما كانت تشرط الدولة البيزنطية أن يكون ما يصدر إلى مصر من خشب الكافور قليل الحجم.

*حريق الأسطول (٩٨٧هـ/٣٧٧م):

لقد حظيت مصر خلال العصر الفاطمي بأسطول بحري كان من أقوى الأساطيل حينئذ، وقد واصل العزيز بالله سياسة الحرية التي تدعم مركز الفاطميين بالشام معتمدًا على قوته البحرية، وأسطوله البحري، فجهز الأسطول للسيطرة على سواحل بلاد الشام، ولصد غارات الروم المتكررة على العالم الإسلامي. غير أن حريقاً عظيماً^(١٠٩) شب في هذا الأسطول (٩٨٧هـ/٣٧٧م) وذلك قبل إقلاعه بقليل، ودمر معظم الأسطول، ومن ثم تعطل سير الحملة، ووصل في نفس العام رسول الإمبراطور البيزنطي "باسيل الثاني"^(١١٠)، تحمل هدايا للعزيز بالله، وتطلب منه عقد صلح بين الدولتين، ولم يعتذر العزيز بالله في هذه الظروف إلا أن يجيب مطلبهم، ومن ثم عقدت المعاهدة، التي جاء في شروطها:

(١) أن يطلق البيزنطيون سراح جميع الأسرى المسلمين.

- (٢) أن يخطب للعزيز بالله في جامع القسطنطينية كل جمعة.
- (٣) أن تعود العلاقات التجارية بين مصر وبيزنطة.
- (٤) أن تكون مدة هذه الهدنة سبع سنين^(١١).

ولم يكن هذا آخر حريق تعرض له الأسطول الفاطمي، إذ بعد سنوات قلائل وبالتحديد سنة ٩٩٦هـ/١٣٨٦م، وقبل وفاة العزيز بالله بقليل، شب حريق عظيم في الأسطول الفاطمي، ومن حسن الحظ أن المؤرخين قد أوردوا بتفاصيل هذا الحريق.

يقول المقرئي^(١٢): "في أواخر ربيع الآخر (٩٩٦هـ/١٣٨٦م) وقعت نار عظيمة في الأسطول الفاطمي، وذلك وقت صلاة الجمعة (حيث كان الناس منشغلين بالصلوة) أتت النار على جميع ما في الأسطول من عدة وسلاح حتى لم يبق منه غير ست مراكب لا شيء فيها، فاتهم بذلك الروم الأسرى" — و كانوا في دار بجوار صناعة المقسى — لم يسكن المصريون على هذا الحادث، و اتهموا أهل الذمة والروم بحريق الأسطول، و إنني أميل إليهم و اتهم أهل الذمة بالاشتراك مع الروم في حريق الأسطول المصري، وذلك لسبعين:

أولهما: إن الروم كانوا مقيمين بجوار دار صناعة السفن بالقدس مما يسهل عليهم سرعة الوصول والهروب من مكان الأسطول دون أن تشير أصابع الاتهام إليهم.

ثانيهما: إن العزيز بالله كان يجهز أسطوله ويستعد لخاربة البيزنطيين وفي ذلك قديد لدولتهم، خاصة أنهم استغلوا وقت انشغال المسلمين بصلاة الجمعة.

وبعد أن ثبتت التهمة عليهم، أخذت جوع المصريين تثور في القاهرة وفي الفسطاط، وعمت البلاد موجة من الاضطراب والعنف، تطالب بقتل الروم، وبقتل كل من اشترك في هذه الجريمة. كما قام المصريون بقتل أكثر من مائة من الروم

الموجودين في مصر، وفها الحي الذي يقيمون فيه، ولم يكفي المصريون بذلك، بل مثلوا بجثثهم، ووضعوها في الطرقات^(١٣) – مع أن الإسلام ينهي عن التمثيل – وأخذ من بقي منهم في سجن دار الصناعة بالمقس، ووصل الخبر إلى الوزير عيسى بن نسطورس فذهب إلى هناك، ومعه يانسي الصقلي، ومسعود الصقلبي صاحب الشرطة.

وأحضروا أهل الذمة من السجن، وتم التحقيق معهم بشأن حريق الأسطول واعترفوا بذنبهم، ولعل أدلة إدانتهم قوية لذلك لم يستطعوا الإنكار. وأرسل الوزير عيسى بن نسطورس بنتائج التحقيق إلى الخليفة العزيز بالله في القاهرة على وجه السرعة، وذلك لأنه كان يستعد للسفر إلى بلاد الشام مخربة البيزنطيين. وجدير بالذكر؛ إن الخسائر كانت تقدر بأكثر من تسعين ألف دينار.

هذا؛ وقد أصدر العزيز بالله أوامره بالقضاء على هذه الثورة، وعدم العبث بدار الصناعة، ورد ما ثُبٌ منها. وأخذت الشرطة برئاسة يانسي الصقلبي تطرف في الشوارع، وتقتضي البيوت لرد ما ثُبٌ من دار الصناعة. ويفيدوا – لنا – من الأحداث أن الثورة والنهب كان عظيماً جداً، وأصبح يهدد الدولة، لدرجة جعلت الوزير عيسى بن نسطورس، يأمر بأن من وجد عنده شيء من أمتنة دار الصناعة عوقب أشد العقاب. وبالفعل؛ حللت القوية ببعض الأشخاص؛ فقتل بعضهم وجلد البعض الآخر. ويفيدوا أن العقاب كان شديداً لدرجة جعلت الناس " يدل بعضهم على بعض فإذا أخذ أحد من أقم بالنهب حلف الإيمان المغلظة أنه ما بقي عنده شيء".^(١٤)

*إعادة بناء الأسطول:

أصدر العزيز بالله أوامره على الوزير عيسى بن نسطورس ببناء أسطول جديد على وجه السرعة. فاجتهد الوزير في بناء هذا الأسطول، وأخذ يطلب الأخشاب من

أنباء القطر المصري، ويطلب من الناس رد ما أخذوا من الأخشاب لبناء الأسطول الجديد. وقدم بعض المصريين هذه الأخشاب عن طيب خاطر منهم، و البعض الآخر أنكر وجود أخشاب لديه. وجدير بالذكر؛ إن رجال الشرطة كانوا ينادون علي من وجد عنده أخشاب بقوفهم: "هذا جزء من آثار الفتنة ونخب أموال أمير المؤمنين" ^(١١٥).

وعاش الناس في فزع ووجل، وبات كل شخص خائف على نفسه. وفي صباح اليوم الثاني نزدي في الناس بالأمان، وتزل عيسى بن نسطورس إلى دار الصناعة وأخذ يشجع الصناع على الإسراع في بناء الأسطول. وينجح الوزير في مهمته، ويحرر الأسطول المصري إلى بلاد الشام للاقتلاع الروم، ولكن من المؤسف أن معظم سفن الأسطول تحطمت بالقرب من طرابلس الشام، وذلك على أثر هبوب عاصفة شديدة، وأسر الروم بعض رجال الأسطول المصري ^(١١٦). وبعد قليل توفي العزيز بالله في بليس وهو في طريقة إلى بلاد الشام ^(١١٧)، مغاربة الروم وتولى بعده ابنه الحاكم بأمر الله.

*اثر حريق الأسطول:

وغم ما كانت تتمتع به مصر خلال العصر الفاطمي عامه - وفترة البحث خاصة - من ازدهار للحياة الاقتصادية، وظهور الترف والرفاية بين طبقات الشعب، وانتشار الرخاء الاقتصادي الذي كان سمة من سمات هذا العصر، إلا أن عوامل الأفياء، والاضمحلال كانت تطل برأسها من وقت لآخر معلنة عن وجودها وسط الرخاء والازدهار، وكانت تحرکها وتساعدها على الظهور عوامل كثيرة لعل أهمها العنصر البشري ^(١١٨) الذي كان سبباً في وقوع كثير من الكوارث التي هددت الخلافة الفاطمية.

ويمكن القول: إنه كان لحريق الأسطول الفاطمي أثر كبير على اهتمام الاقتصاد المصري - خلال تلك الفترة - حيث أحرقت كثيرة من السفن التي بلغ حجم خسائرها أكثر من تسعين ألف دينار^(١١٩)، فإذا علمنا أن عدد السفن في الأسطول الفاطمي قد وصلت إلى ٦٠٠ قطعة^(١٢٠)، علمنا حجم الخسائر التي لحقت بالأسطول.

ويحسن بنا أن نذكر بعض أنواع السفن التي تم حريقها، كي نقف على مدى الخسائر التي لحقت بالأسطول الفاطمي من هذا الحريق، مع العلم أن السفن الفاطمية كانت كبيرة ومتنوعة الأغراض منها التجاري، والمحري. ونذكر أمثلة لها:

١- الشواي^(١٢١): (جمع شيني Shini): وهي أقدم أنواع السفن الحربية، وأهم قطع الأسطول الفاطمي خاصة، وكانت أكبر السفن حجماً، وأكثراها حولة، وكان الفاطميون يقيمون فيها أبراجاً وقلعاً مربعاً للدفاع والهجوم.

٢- الحراريق^(١٢٢): (مفردها حرافة) وهي مراكب حربية كبيرة، وتستخدم في رمي النار على الأعداء، وكانت تسير بجالة مجداف، وكانت تستعمل في حرق سفن العدو، وكانت تستخدم - كذلك - في النيل للتزهه والحفلات الرسمية.

٣- الطريدة^(١٢٣) (Tarida): وهي السفينة الخاصة بحمل خيول الأسطول، وأكثر ما يحمل بهاأربعون فرساً، وكانت تستخدم في البحر المتوسط.

٤- الطرادـة^(١٢٤): سفينة حربية صغيرة الحجم، سريعة الحركة والمحري، غير مدرعة ، يزيد طولها على سبع أذرع، وعرضها ذراعان ونصف ذراع، وليس لها سقف وتقاد تكون خالية تماماً من المسامير، وهي شبيهة بالبراميل.

٥- الشلنـدي^(١٢٥) (Cholond): مركب محري كبير مسطح، يستعان بهـا في حمل العتاد والجنـد، وكانت الشلنـدية من قطع الأسطول الإسلامي.

٦- الغرـاب^(١٢٦): سميت بذلك لتشابه مقدم السفينة أو رأسها برأس الغراب

وكانت تسير بالقلع والجاديف، وتصل هذه الجاديف إلى ١٨٠ مجدافاً وتستخدم في حمل الغزارة.

- العشاري^(١٢٧): نوع من المراكب يسير بها في النيل، ويجر بعشرين مجدافاً وينقل البضائع والرجال من ساحل إلى آخر، وقد تستخدم في الأسطول الحربي لنقل الجنود والعتاد.

- ديماس^(١٢٨): سفينة شراعية كبيرة، تتسع لأكثر من مائة رجل، وكانت تسير في النيل للتزهّة، وقد تستخدم في الأغراض الحربية.

- الدكاسات: نوع من المراكب تستخدم لنقل الرجال. يقول المقريزي في وصف أحد الأشخاص: "وله ثلاثة مراكب من الدكاسات وهما رؤساء، ونواتيه لا يرحون، ونفاقهم جارية من مال الديوان"^(١٢٩).

هذه نماذج بسيطة لأنواع السفن الفاطمية، التي تم إحراقها في عام ٩٩٦هـ/١٣٨٦م، ولا يخفى علينا أن هذا الحريق كان له أثر كبير على الاقتصاد المصري خلال تلك الفترة. ويعجب المرء من موقف العزيز بالله من أهل الذمة - خاصة الروم - حيث عفا عنهم، ولم يتعرض لهم بسوء، على الرغم من اعترافهم بالجريمة، ويزداد الإعجاب بشخصية العزيز بالله إذ علمنا أنه أمر برد ما أخذ من أهل الذمة، أثناء التحقيق معهم.

وفي رأيي أن ذلك يرجع لسبعين:

أوهما: حلم وصف العزيز بالله الذي اشتهر به في كتب التاريخ، وصار علماً عليه، حتى أن المسيحي قال: "إن حلم العزيز بالله لم يسمع بمثله قط من ملك"^(١٣٠). ثانيهما: إن العزيز بالله كان يخشي من كساد التجارة المصرية، خاصة إذا علمنا أن هؤلاء التجار كانوا يكررون التردد على مصر، كما كانوا يجلبون معهم أغلى التحف، وأغلى أنواع المجوهرات؛ فضلاً عن صنوف المتاع المتنوعة. لذل أبدى

ال الخليفة العزيز بالله نجح هؤلاء التجار تسامحاً عظيماً، وأمر بمعاملتهم معاملة حسنة، وصار لهم مكانة كبيرة عنده^(١٣١)، حتى إن بعضهم قام بدور عظيم في مجال التجارة بين مصر و مختلف دول العالم حينئذ.

بقي أن نقول: إنه كان من أثر حريق الأسطول الفاطمي قيام المصريين بشورة عامة في مدينة القاهرة والفسطاط، قتل فيها نحو مائة وستين رجلاً من تجار الروم^(١٣٢)، وهاجم الثوار منازل الروم، وخرابوها، واعتدوا على الكنائس الملكانية والمسطورية^(١٣٣)، وتعرضت سلعهم للإتلاف، و تعرض التجار الأجانب الذين قدمو بالسلع إلى مصر، لبعض التضييق، ولحقهم بعض الأذى. ولكن الخلافة الفاطمية سرعان ما قضت على هذه الثورة، وعادت الأمور إلى سيرها الأولى. ولكن يكفي المصريون — فخرأ — أنهم عبروا عن غضبهم بشورة كبيرة ووصلت أصواتهم إلى مسامع الخلافة الفاطمية.

هوامش الفصل الثاني:

- ١- المقريزي: اتعاظ الحنف، جـ١، ص ٢٣٧.
- ٢- ابن خلkan: وفيات الأعيان، جـ٥، ص ٣٧٢، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ١٠، ص ١٢٩.
- ٣- د/ سمير عبد الفتاح رزق: مصر في عهد العزيز بالله الفاطمي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، ١٤٠٥-١٩٨٥م، رقم (١١٩٣)، ص ١٠.
- ٤- ابن تفري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص ١٢٥، وكتابه مورد اللطافة، جـ١، ص ٢٧٢.
- ٥- ابن تفري بردي: نفس المصدر، نفس الجزء، ص ١٢٥.
- ٦- الأدفري: الطالع السعيد، ص ٣٤.
- ٧- قامت ضد العزيز بالله عدة ثورات في بلاد الشام شغلت الخليفة الفاطمي فترة طويلة، انظر التفاصيل: عرب بن سعيد: صلة تاريخ الطيري، ص ١٨١-١٨٣، ابن القلاسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٢١-٢٢.
- ٨- المقريزي: اتعاظ الحنف، جـ١، ص ٢٤٥، وكتابه: المقفي الكبير، جـ٣، ص ٦٢.
- ٩- ابن ميسر: المشقي، ص ١٧٣، التبرري: نهاية الأربع، جـ٢٨، ص ١٦٣.
- ١٠- كانت من العادات المتبعه في هذه المصور بعد القبض على الناشر أن يُشهد على جمل وبطاف به، وكانت القاهرة تزين بأحسن زينة، وكان بها شيخ يقال له الأبازارى إذا خرج ثانى- بعد القبض عليه- يضع له طرطور فيه ألوان كثيرة مصبرغة، وقد يجعل في يده دره ويعلمه أن يضرب بما الناشر ويعطى على ذلك مائة دينار وعشرون قطع قماش. ابن تفري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص ٢١٦.
- ١١- ابن أبيك الدوادارى: الدرة المضيّة، جـ٦، ص ٢٣٦.
- ١٢- ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق ١، ص ١٩٦.
- ١٣- الأدفري: الطالع السعيد، ص ٣٨.
- ١٤- اختلفت المصادر التاريخية في كتابة هذا الاسم هكذا: الفتكين، ابن القلاسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ١٠، ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص ٣٥٥، عرب بن سعيد: صلة تاريخ الطيري، ص ٢٩٨، وبعضهم يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي، ص ١٧٢، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص ٣٥٩.
- ١٥- ذكره: هفتكن، ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة ص ٨٨، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ٩، ص ٢٦١-٢٦٨، سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص ٣٠٧، العبر، جـ٢، ص ٣٤٩، ابن أبيك، الدرة المضيّة، جـ٦، ص ١٧٨، ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٣، ص ٦٧-٦٨، ابن تفري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص ١٣٣، المقريзи: المقفي الكبير، جـ٣، ص ٠٩.
- ١٦- وبعضهم ذكره: هفتكن، ابن خلkan: وفيات الأعيان، جـ٥، ص ٣٧٤-٣٧١، أبي القدا: المختصر في أخبار

- البشر، جـ٢، ص١٥٥، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، جـ١، ص٤١٥، التوبيري: نهاية الأرب، جـ٢٨، ص١٥٤، ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص٥٢، القلقشندي: ماتر الإناثة، جـ٢، ص٧١٠، المقرizi: اتعاظ الخنف، جـ١، ص٩٣٩. وبعضاهم ذكره: باتنك التركي، ابن حداد: ملوكبني عبيد، ص٩٣. وال الصحيح هو (أب تكين) أبي عبد جلد ويجوز القول (ألف) بدلًا من (أب) فالباء والفاء سواء في الأسماء العربية عن التركية، د/ محمد على عتاقى: العلاقات الخارجية للقططمين في مصر (٣٨٥-٤٨٧هـ) رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، تحت رقم (٢٢٩٧)، ص٢٦.
- ١٥- ابن خلkan: وفيات الأعيان، جـ٥، ص٢٤٧-٢٢٧، ابن خلدون: العبر وديوان المياد، جـ٤، ص٥١-٥٠.
- ١٦- ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٣، ص٥٢-٥٣، ابن أبيك: الدرة المضيئة، جـ٦، ص١٧٣.
- ١٧- التوبيري: نهاية الأرب، جـ٢٥، ص٢١٥، جـ٢٨، ص١٥٥.
- ١٨- ابن الصيرفي: الإشارة، ص٢١، ابن خلkan: وفيات الأعيان، جـ٧، ص٢٧.
- ١٩- اتعاظ الخنف، جـ١، ص٢٣٩.
- ٢٠- الشمامسة: منسوبة إلى بعض شamas النصاري وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بفسداد، كانت فيها دار معز الدولة أبي الحسين أهند بن بوية، وهي محلة بدمشق. ياقوت: معجم البلدان، جـ٣، ص٢٦١.
- ٢١- عن تفصيل هذه الحرب انظر: عريب بن سعيد: صلة تاريخ الطبرى، ص٤٤٨-٤٤٧، يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي، ص١٨١-١٨٢، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص١٥-١٦، ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٣٥٦-٣٥٨.
- ٢٢- التوبيري: نهاية الأرب، جـ٢٨، ص١٥٨.
- ٢٣- ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٣٥٨، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص٣٦١.
- ٢٤- الروذراوري: ذيل مخابر الأمم، جـ٣، ص٢١١، أبي الفدا: المختصر، جـ٢، ص١٢٢، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، جـ١، ص٤٢٠-٤٢١، ابن أبيك: الدرة المضيئة، جـ١، ص١٩٥-١٩٦، ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص٥٣.
- ٢٥- ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص٣٧٤.
- ٢٦- ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧.
- ٢٧- ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٣٧٤، المقرizi: اتعاظ الخنف، جـ١، ص٢٥٤.
- ٢٨- اختلفت المصادر التاريخية في كتابة هذا الاسم هكذا: بتكتين، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٦، ابن أبيك: الدرة المضيئة، جـ٦، ص٢٠٥، ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص٥٣، المقرizi: اتعاظ الخنف، جـ١، ص٥٦. وبعضاهم ذكره: بكتكتين، أبي الفدا: المختصر، جـ٢، ص١٢٢، ابن ثورات المصريين

- الوردي: تاريخ ابن الوردي، جـ١، ص٤٢٧، القلقشندى: مأثور الإنابة، جـ٢، ص١٠٧.
- وبعضهم ذكره: تكين، ابن تفري بردى: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص١١٤.
- ٢٩ من هذه الثورات: ثورة بن الجراح بقيادة المفرج بن دغفل الطانى ٥٣٦هـ / ٩٧٨م. انظر التفاصيل في: ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي جـ١، ص٤٢٤ - ٤٢٧، المقرىزى: اتعاظ الخفا، جـ١، ص٢٥٢ - ٢٥٤.
- ٣٠ ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٥.
- ٣١ المقرىزى: اتعاظ الخفا، جـ١، ص٢٥٨.
- ٣٢ يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي ، ص٢٠١، ويقول أنه دخل بغير أمان، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، جـ١، ص٤٢٤، ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٣، ٨٧.
- ٣٣ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص٣٧٤.
- ٣٤ ابن تفري بردى: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص١٢٥، ابن إياس: بـداع الزهور، جـ١، قـ١، ص١٩٦.
- ٣٥ المقرىزى: اتعاظ الخفا، جـ١، ٢٥٤.
- ٣٦ ابن ميسر : المنشقى من أخبار مصر، ص١٧١.
- ٣٧ الكامل، جـ٧، ص٣٩٥.
- ٣٨ في سنة ٣٥٢هـ خطب للمطيع لل الخليفة العباسي في مكة، وفي سنة ٣٥٦هـ خطب فيها = ليختار بن معز الدولة بعد موت أبيه. وفي سنة ٣٦٠هـ جهز المعز القاطبى جيشاً من الإفريقية لإقامة الخطة له بمكة، فبادر الحسن بن جعفر بن الحسين بن سليمان من طاعة العباسيين. انظر دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ص١٦، القلقشندى: مأثور الإنابة جـ٢، ص١٠٤.
- ٣٩ ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٣٨٠.
- ٤٠ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١، ص٣٧٢.
- ٤١ ابن أبيك: الدرة المضيئة، جـ٢، ص١١٩.
- ٤٢ وهو الحسن بن موسى بن جعفر الحسيفي. د/ محمد علي عتاقى: العلاقات الخارجية للفاطميين، ص٧٦.
- ٤٣ ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٣٦٢، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص٣٦٢.
- ٤٤ المقرىزى : اتعاظ الخفا، جـ١، ص٢٨١.
- ٤٥ د/ محمد كامل حسين : في أدب مصر القاطمية، ص١٥٣ - ١٥٥، أحمد أمين، ظهر الإسلام، مطبعة خلف، القاهرة، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، جـ١، ص٢٠٥ - ٢٠٨.

- ٤٦ - ابن ظافر الأزدي : أخبار الدول المنقطعة، ص ٩٣-٨٩، ١١٢.
- ٤٧ - اليافعي : مرآة الجنان، ج ٢، ص ٤٣١.
- ٤٨ - ابن العماد الحنفي : شهارات الذهب، ج ٢، ص ١٢١.
- ٤٩ - ابن تغري بردي : التسجوم الراهن، ج ٤، ص ١١٦.
- ٥٠ - ابن خلkan: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٨٣-٨١، ج ٥، ص ٣٧٣.
- ٥١ - التوبيري : نهاية الأربع، ج ٥٥، ص ٢٢٨، ج ٢٨ ، ص ٦٤.
- ٥٢ - ابن خلدون: المقدمة، ص ١٥.
- ٥٣ - المقريزي : انتهاط الحنف، ج ١، ص ٥٢، الخطط، ج ٢، ص ١٥٩، المقني الكبير، ج ٤، ص ٥٢٥
- ٥٤ - السخاري : الإعلان بالتوبير، ص ١١٤-١١٥.
- ٥٥ - القلقشندي : نهاية الأربع في معرفة أنساب العرب، ص ١٤٥.
- ٥٦ - د/ عبد الحليم عويس : قضية نسب الفاطميين أمام منهج القد التارخي، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٨-٢٠.
- ٥٧ - د/ إبراهيم شعوط : أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص ٣٢٦.
- ٥٨ - د/ محمد على عتاقى : الحياة العلمية بمصر في عهد العبيدين (الفاطميين) الأول (٤٨٧-٣٥٨)، ص ٥١.
- ٥٩ - ذكرت المصادر التاريخية هذه الآيات مع اختلاف بسيط بينها، ابن خلkan: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٧٣، الذهبي : تاريخ الإسلام، ج ١٠، ص ١٢١، اليافعي : مرآة الجنان، ج ٢، ص ٤٣١، ابن تغري بردي : التسجوم الراهن، ج ٤، ص ١١٦ وورد للطافة، ج ١، ص ٢٦٩، السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص ٤.
- ٦٠ - المقريزي : الخطط، ج ٢، ص ٣٩٢، ج ٤ ، ص ٦٢-٦١ .
- ٦١ - ابن أبي دينار : المؤنس في أشعار أفريقيا، ص ٨٥ .
- ٦٢ - الملكانية: إحدى مذاهب الصارى، وهم الذين قالوا : إن الكلمة انحدرت بجسد المسيح وأن الله تعالى ثلاثة أشياء: أب وابن وروح القدس، وأن عيسى عليه السلام إله تام كله وإنسان تام كلّه . ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٢، ص ٤٨، الشهروستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٢٢٢.
- ٦٣ - يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٠٣ .
- ٦٤ - ابن الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٢١-٢٤، الذهبي : سير أعلام البلاء، ج ١٦، ص ٤٤٤-٤٤٢ .
- ٦٥ - المقريزي : انتهاط الحنف، ج ١، ص ٢٦٩، ابن تغري بردي : التسجوم الراهن، ج ٤، ص ١٥٨.

- ٦٦- أبي شجاع : ذيل تمارب الأمم، جـ٣، ص ١٨٦ .
- ٦٧- ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٢ .
- ٦٨- ابن خلدون : العبر وديوان المبدأ، جـ٤، ص ٥٣ ، المقريزي : الخطط، جـ٢، ص ١٥ .
- ٦٩- هو: أبو نصر عبد الله بن الحسين القررواني كاتب الإنشاء في عهد العزيز بالله . المقريзи : اتعاظ الخنفأ، جـ١، ص ٢٩٨ .
- ٧٠- ابن الأثير : الكامل، جـ٧، ص ٤٧٨ ، ابن العبري: تاريخ مخنصر الدول، ص ١٧٨ .
- ٧١- د/محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية، ص ٣١٢-٣٠٩ ، أحد أمن: ظهر الإسلام، جـ١، ص ٢١٥ .
- ٧٢- د/أحمد سيد محمد : الشخصية المصرية، ص ٣٤ .
- ٧٣- نص علماء الشريعة الإسلامية على أنه لا يجوز استعمال أهل الذمة في شيء من ولايات المسلمين وأمرهم إلا في حالة الضرورة وأن الأولى استعمال المسلمين . ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة، جـ١، ص ٢٠٨ ، الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٥٠ .
- ٧٤- المقريزي: اتعاظ الخنفأ، جـ١، ص ٢٨٣ .
- ٧٥- ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٣ .

Mann: the Jews in Egypt, 19.

- ٧٦- د/ سمير عبد الله سليمان: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي(٣٥٨—٥٦٧)، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية بالقاهرة، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، ١٩٩٦، رقم (١١٧١٩)، ص ٢٥ .
- ٧٧- إن أمر صلب عيسى بن نسطورس، لا يعني موته، حيث عهد إليه العزيز بالله بالوزارة مرة أخرى واشترط عليه أن يستخدم المسلمين في الدواوين وسائر الأعمال، ولعل أمر الصلب هذا قدنه للرأي العام المصري، وخوفاً من إثارة حفيظة المسلمين. د/حسن إبراهيم : الدولة الفاطمية، ص ٢٠٣ .
- ٧٨- المقريزي: الخطط، جـ١، ص ٨٠-٧٨ .
- ٧٩- المقريزي : اتعاظ الخنفأ، جـ١، ص ٢٩٦ .
- ٨٠- ابن تفري بريدي: التجوم الزاهرة، جـ٤، ص ١٢٥ .
- ٨١- الأدفري: الطالع السعيد، ص ٣٤ .
- ٨٢- المقريزي : اتعاظ الخنفأ، جـ١، ص ٢٧٣ .
- ٨٣- المقريزي : المقنلي الكبير، جـ٧، ص ٣٤٩ .
- ٨٤- يحيى بن سعيد : تاريخ الأنطاكي، ص ٢٠٢ .
- ٨٥- المقريزي : اتعاظ الخنفأ، جـ١، ص ٢٤٢ ، الخطط، جـ٢، ص ٢٦ .
- ٨٦- د/ سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام، ص ٩٠ .

- ٨٧ - د/ سعاد ماهر : البحريبة في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، دار الكاتب العربي، القاهرة، ص ٣١٢ .
- ٨٨ - المقريزي : الخطط، جـ ٢، ص ٣٠٩ .
- ٨٩ - د/ سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام، ص ٩٠ .
- ٩٠ - المقريзи : نفس المصدر، ونفس الجزء، ص ٣٠٩ .
- ٩١ - ابن زولاق : فضائل مصر، ص ٦٤ .
- ٩٢ - د/ سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام، ص ٩٢، جزءان: أوراق البردي العربية في دار الكتب المصرية، جـ ٣، ص ٢٧-٢٤ .
- ٩٣ - المقريзи: الخطط ، جـ ٢، ص ٣١٩ .
- ٩٤ - ابن إياس: بدانع النهور، جـ ١، قـ ١، ص ٤٠ .
- ٩٥ - د/ سعاد ماهر : البحريبة في مصر الإسلامية، ص ١٦٨-١٦٩ .
- ٩٦ - د/ سيدة كاشف: مصر في عصر الأخشيديين ، ص ٢٤٩-٢٥٠ .
- ٩٧ - الخطط، جـ ٣، ص ٣٢٠ .
- ٩٨ - د/ ماجد: ظهور خلافة الفاطميين، ص ٢٨٤ ، وكتابه: نظم الفاطميين، جـ ٢، ص ٢١٩ .
- ٩٩ - د/ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، جـ ٣، ص ٢٩٦ .
- ١٠٠ - المقريзи: الخطط، جـ ٣، ص ٣١٣ .
- ١٠١ - المقص: ضيعة تعرف باسم "أم دين" تقع على ساحل النيل وجعلها المعر الفاطمي مرفاً صناعياً، وعرفت باسم "المكس" نسبة للدراجم ثم قيل المقص، ياقوت: معجم البلدان: جـ ٣ ، ص ١٢٢ .
- ١٠٢ - المقريзи: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣١٧ .
- ١٠٣ - د / صابر دياب: سياسة الدولة الإسلامية، ص ١٧٣ .
- ١٠٤ - الخطط، جـ ٣، ص ٣١٣ .
- ١٠٥ - التويري : نهاية الأربع، جـ ٢٥، ص ٣٠٥ ، وجـ ٢٨، ص ١٤٥ .
- ١٠٦ - د/ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، جـ ٣، ص ٣٧٤ .
- ١٠٧ - ابن زولاق: فضائل مصر، ص ٦٤-٦٥ .
- ١٠٨ - د/ سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية، ص ١٩٣ - ١٩٤ .
- ١٠٩ - المقريзи: اتعاظ الخلفاء، جـ ١، ص ٢٩٠ .
- ١١٠ - د/ العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص ٣٢٩ .
- ١١١ - ابن تغري بردي: التحوم الزاهرة، جـ ٤، ص ١٥٢ .
- ١١٢ - الخطط، جـ ٤، ص ٣١٧ .
- ١١٣ - المقريзи : نفس المصدر، جـ ٣، ص ٣١٧ - ٣١٨ .
- ١١٤ - المقريзи : نفس المصدر، جـ ٣، ص ٣١٨ .

- ١١٥- المقريزي: نفس المصدر، نفس الجزء، ص ٣١٨.
- ١١٦- المقريзи: اهتمام الحفاظ، جـ ١، ص ٢٩١.
- ١١٧- ابن الأثير: الكامل، جـ ٧، ص ٤٧٩، ابن أبيك: الدرة المصيحة، جـ ٦، ص ٢٣٩.
- ١١٨- د/ أمينة الشوربجي: رؤية الرحالة المسلمين، ص ٤٦٣.
- ١١٩- المقريзи: الخطط، جـ ٣ ، ص ٣١٣، ٣١٤، ٣١٨.
- ١٢٠- د/ ماجد: نظم الفاطميين، جـ ١، ص ٢٢٢.
- ١٢١- د/ سعاد ماهر: البحريبة في مصر الإسلامية، ص ٢٣٥.
- ١٢٢- المقريзи: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ١٩٢، د/ ماجد: المرجع السابق، نفس الجزء، ص ٢٢٢.
- ١٢٣- د/ سعاد ماهر: نفس المرجع، ص ٣٥٤، د/ ماجد: نفس المرجع، نفس الجزء، ص ٣٢٣.
- ١٢٤- د/ صابر دياب: سياسة الدولة الإسلامية، ص ١٠٩.
- ١٢٥- د/ سعاد ماهر: نفس المرجع، ص ٣٥٢، د/ ماجد: نفس المرجع، نفس الجزء، ص ٢٢٣.
- ١٢٦- د/ سعاد ماهر: نفس المرجع، ص ٣٥٩، د/ ماجد: نفس المرجع، ص ٢٢٤.
- ١٢٧- المقريзи: الخطط، جـ ٣ من ٣١٨، د/ سعاد ماهر: نفس المرجع، ص ٣٥٦.
- ١٢٨- المقريзи: نفس المصدر، نفس الجزء، ص ٢١٨، د/ ماجد: المرجع السابق، ص ٢٢٤.
- ١٢٩- المقريзи: نفس المصدر، نفس الصفحة، د/ سعاد ماهر: نفس المرجع، ص ٣٤٢.
- ١٣٠- ابن تفرى بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ١٢٥، وكتابه: مورد اللطافة، جـ ١، ص ٢٧٢.
- ١٣١- د/ فاطمة مصطفى: تاريخ أهل الديمة، جـ ٢، ص ١٢٦.
- ١٣٢- يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٠٣.
- ١٣٣- النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن الخليفة المأمون وتصرف في الأنجل برأية وقال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم والحياة. ابن حزم: الفصل في الملل، جـ ٢، ص ٤٩، الشهرستاني: الملل والنحل، جـ ١، ص ٢٤.

الفصل الثالث

"الثورات في عهد الحاكم بأمر الله"

(م ۱۰۲۰ - ۹۹۶ / ۹۴۱۱ - ۳۸۶)

مقدمة *

إذا انتقلنا إلى عصر الحكم بأمر الله نجد هناك ميزات عامة امتاز بها هذا العصر، وسمات شخصية امتاز بها الحكم بأمر الله، فقد شهدت فترة حكمه كثيراً من الاضطرابات والثورات. فهناك الثورات: السياسية، والاقتصادية والطائفية، والدينية. وقد يكون هذا أمراً طبيعياً، بعد فترة المدوء - النسي - التي سادت عصر العزيز بالله (٣٥٦ - ٩٧٥ هـ / ١٩٩٦ م)، وذلك لما اشتهر عنه من حب العفو والعدل بين الرعية.

الحاكم بأمر الله:

أبو على منصور بن العزيز بالله أبي المنصور نزار بن المعز ل الدين الله أبي عتيم
معد. تجمع المصادر التاريخية^(١). على أنه ولد في عام (٩٨٥-٣٧٥هـ) بالقاهرة
المغzie، وتربى بين ربوعها، وقد عنى العزيز بالله بتعليمه وتربيته، يصف المؤرخون
الحاكم بأمر الله بأنه كان شخصية مؤثرة، جهور الصوت^(٢). فارع الجسم ذو عيون
زرقاء مخيفة، يشير الرهبة والخوف في نفوس أعدائه. ولـي الخلافة الفاطمية بعهد من أبيه
(٩٩٦-٣٦٨هـ)، وجعل برجوان، والحسن بن عمار، وصياً عليه؛ وكان عمر
الحاكم بأمر الله حيثـ أحد عشر عاماً. ونستطيع القول: إنـ الحاكمـ بأمرـ اللهـ قدـ
اتصفـ بـ صـفاتـ لمـ نـعـثـرـ عـلـيـهـ فـيـ غـيرـهـ: وـمـنـهـ الشـجـاعـةـ، وـالـإـقـادـ وـالـعـفـوـ، وـسـفـكـ
الـدـمـاءـ، وـاضـطـهـادـ جـمـيعـ طـوـافـنـ الشـعـبـ مـنـ أـهـلـ السـنـةـ، وـأـهـلـ الـذـمـةـ وـالـشـيـعـةـ. فـهـوـ

شخصية يكتنفها الغموض، فالحكم عليه وعلى عصره كان - وما زال - موضع خلاف بين المؤرخين.

وكمما حير الحكم بأمر الله المؤرخين في حياته فقد حيرهم - كذلك - في سبب موته. فقد ذكر بعض المؤرخين الشيعة^(٣)؛ إن وفاة الحكم كانت طبيعية، وذلك بعد أن سلم الخلافة لولده الظاهر. بينما اختلف مؤرخو السنة في سبب وفاة الحكم، على أقوال وروايات كثيرة؛ والمهم - لدينا - الرواية التي ذكرها ابن تغري بردي، وهي: إن أخته السيدة ست الملك. قد قامت بتدبير قتلها، بسبب خوفها من "أن يثور المسلمون عليه فيقتلوه ويقتلونا معه، - على حد قوله - وتنقضي هذه الدولة (الفاطمية) أقبح انقضاء"^(٤). فهل الخوف من ثورة المصريين هو الذي دفع ست الملك إلى قتل أخيها؟؟ هذا ما نحاول التعرف عليه.

المبحث الأول

(الثورات السياسية)

تنقسم الثورات السياسية في عهد الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠ م) إلى ثورات داخلية - وهي قليلة - وخارجية؛ وشلت أماكن كثيرة ومترفرقة في أنحاء الخلافة الفاطمية. ولنببدأ بالثورات الداخلية:

(أ) الثورات الداخلية:

لم يخل عصر الحاكم بأمر الله من ثورات داخلية؛ كانت تحاول قلب نظام الحكم وخلع الحاكم من الخلافة الفاطمية. وإن كانت هذه الثورة قليلة، ولكنها ثبتت أن الشعب المصري ، وأمراء البيت الفاطمي كانوا يثرون في وجه الخليفة، ويحاولون التخلص منه بسبب ظلمه لهم. يحدثنا المقرizi^(٥). إنه في عام (٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م) خرج "عبد الأعلى بن الأمير هاشم بن المنصور". مع جماعة من أمراء الفاطميين وبعض المصريين إلى ضيعة خارج القاهرة للتزهّة، وجرى بينهم حديث طويل عن ظلم الحاكم، وعسفه فقال أحدهم للأمير عبد الأعلى: "لا بد لك من الخلافة (الفاطمية)" فانت إمام العصر "ويبدو أن هذه الكلمات قد لعبت برأس الأمير، وصادفت هو في نفسه، حتى إنه أخذ يوزع ولاية الأعمال على خاصته، ورجاله من شباب كتامة، وكان منهم: ابن غرة الكتامي، وعباس بن زيري الكتامي، والمقداد بن جعفر الكتامي، وعلي بن سليمان الكتامي، وابن حور الكتامي، وغيرهم.

ولعل الحاكم بأمر الله كان يحس بخطر هؤلاء على الخلافة، خاصة وأن اجتماعهم كان - دائماً - يعقد خارج القاهرة. فبعث عيوناً له، كانوا في خدمة الأمير "عبد الأعلى" وأخبروه بما دار في مجلسه. ثم بعث الحاكم إلى أمير يدعوه إلى قصره ، ودار بينهم حديث طويل عن أمر المجلس الذي عقده الأمير لطلب الخلافة،

واعتذر للحاكم الذي لم يقبل عنده، وأمر بضرره بالسيف. ثم جُمل الأمير إلى منزله.
والحاكم يظن أنه قتله.

وبعد أيام قليلة كتب الأمير "عبد الأعلى" إلى الحاكم يعتذر إليه، ويخبره بأن الضربة كانت سالمة، ويسأله أن يبعث إليه بطبيب، واستجابت الحاكم لطلبه وبعث إليه بطبيبه الخاص، الذي عالج الأمير حتى برأ من مرضه.

ويبدو - لي - أن الأمير بعد أن سلم من هذه الضربة القاتلة، لم يترك أمر الخلافة. حيث اجتمع مع بعض شباب كتابة - مرة ثانية - بعيداً عن القاهرة، وأخذوا يخططون خلع الحاكم من الخلافة الفاطمية، وتسليمها إلى الأمير "عبد الأعلى بن هاشم". وعندما علم الحاكم بهذا الاجتماع قرر التخلص من المتأمرين، بعث إلى الأمير من قام بقتله في الحمام. كما أمر بقتل كل من اشترك معه في هذه المؤامرة ونذكر منهم^(٤): ابن المغازي المنجم، وأبو غالب أخوه فهد بن إبراهيم، وأبو إبراهيم سهل بن كلس أخوه يعقوب الوزير، وإسماعيل بن سوار صاحب برجوان، ويجي بن سليمان الكتامي، وابن قنطريه الكتامي، بالإضافة لبعض المصريين.

وهكذا استطاع الحاكم أن يقضي على هذا الانقلاب المدبر ضده ولو قدر لهذا الانقلاب أن ينجح لتغيير تاريخ الخلافة الفاطمية. وأستطيع القول: إنه بعد القضاء على الأمير "عبد الأعلى" ومن اشترك معه، لم يشهد عصر الحاكم أية محاولة أخرى خلعة من الخلافة.

(ب) الثورات الخارجية:

شهد عصر الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٥٤١١ / ٩٩٦ - ١٠٢٠ م) كثيرة من الثورات الخارجية في بلاد الشام، ومكة، وبرقة. وكان هذه الثورات أثر كبير على الحياة الاقتصادية، والسياسية.

(١) ثورة بنى الجراح ٩٨٨هـ/٣٨٨م:

قامت سياسة الفاطميين في بلاد الشام على توطيد النفوذ الفاطمي هناك، فقد استطاع كل من المعز والعزيز أن يقضى على الثورات التي ظهرت في بلاد الشام، ومع ذلك فإن عرب الشام كانوا في عداء مستمر مع الفاطميين. ففي أوائل خلافة الحاكم حاول بنو طيء بفلسطين تكوين إمارة مستقلة لهم، وذلك بقيادة الشائر المفرج بن دغفل، والذي استغل حروب الفاطميين مع الروم، وصغر سن الحاكم، فأعلن الاستقلال بمدينة الرملة.

كان برجوان هو الوصي على الحاكم في ذلك الوقت، وعندما علم بشورة المفرج أرسل جيشاً ضخماً بقيادة "جيش بن الصمصامة" الذي أسرع بالخروج حتى وصل إلى مدينة الرملة، وحاصرها، حتى سقطت في يديه. وفر الشائر المفرج بن دغفل، ولم يعلم مصيره، حتى بعث في طلب الأمان^(٧) من الحاكم، فعفا عنه وأمنه، وعاد الاستقرار إلى بلاد الشام.

ولكن هذا المدوء لم يستمر طويلاً، إذ تجددت الثورة مرة ثانية عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) بزعامة "حسان بن مفرج بن دغفل" الذي استطاع الاستيلاء على جنوب الشام ووصلت قواته حتى مدينة الفرما المصرية، وقاموا بهاجمة السواحل الفاطمية وعم السلب والنهب والقتل في المدينة. واستدعى حسان بن مفرج، أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحسني أمير مكة، وبابعه بالخلافة، وزاد خطراً الثوار.

*القضاء على الثورة:

أحسن الحاكم بالخطر الذي يهدد الخلافة الفاطمية خاصة بعد تحالف عرب الحجاز وعرب الشام. واستغل الروم هذه الأوضاع فقاموا بهاجمة السواحل الفاطمية، كما استغل العباسيون هذه الأحداث، فأعلنوا تأييدهم للثوار.

حاول الحاكم القضاء على هذه الثورة، بالمكر والخدعية، فعمل على تفرقه الثوار واستمالتهم بمال. ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل. فأرسل إليهم جيشاً فاطمياً قوياً، وصل قوامه عشرين ألف جندي، وأعطي القيادة إلى "على بن جعفر بن فلاح" وأمر الجيش الفاطمي الموجود في دمشق والسواحل بالانضمام إلى القائد على. تحرك الجيش الفاطمي من القاهرة في ٧ شوال ٤٤٠ هـ - ١٣٢ م ووصل إلى مدينة الرملة مركز الثورة. ودارت المعركة بين الجيش الفاطمي والثوار، انتهت بانتصار الفاطميين وفرار حسان بن مفرج. واستيلاء الفاطميين على أمواله وذخائره^(٨). ثم سار الجيش الفاطمي إلى دمشق، وأعلن سيطرته عليها. وبقي حسان شريداً طريداً فترة من الزمن، حتى جاء إلى القاهرة في ثياب كان الحاكم أهداناها لأمة، وطلب العفو والصفح، فعفا الحاكم عنه وأمنه.

وهكذا استطاع الحاكم أن يقضي على أكبر ثورة قام بها عرب الشام والجزائر، واستطاع أن يعيد النفوذ الفاطمي إلى بلاد الشام، ونستطيع أن نوجز أسباب انتصار الفاطميين على أعدائهم (الثوار) لعدة عوامل منها:

(١) قوة الجيش الفاطمي الذي وصل إلى عشرين ألف جندي، وحسن إعداده.

(٢) ضعف الروح المعنوية للثوار، بعد مقتل زعيمهم "المفرج بن دغفل" الذي مات على أثر السم الذي وضعه له كاتبه ابن المدبر في طعامه بتوصية من الحاكم بأمر الله.

(٣) تفرقة كلمة الثوار بعد فرار زعيمهم حسان بن مفرج، فقرروا تسليم المدينة للقائد على بن جعفر بن فلاح.

*أثر الثورة على الحياة السياسية:

استطيع القول: إنه كان لثورةبني الجراح أثر كبير على سياسة الفاطميين الخارجية. فإذا عرفنا أن الثورة استمرت منذ عام (٩٩٨هـ/٣٨٨م) وحتى عام (٤٠١هـ/١٣٢م) علمتنا خططها، حيث أدت إلى: ضعف النفوذ الفاطمي في بلاد الشام، وإغارة الروم على هذه البلدان، وقتل كثير من أهلها. بالإضافة إلى انتشار النهب والذعر بين السكان، مما اضطرهم إلى الهجرة وترك ديارهم. وأخيراً، أدت إلى ضعف شأن بنى الجراح في فلسطين، وتشديد قبضة الحاكم على بلاد الشام خوفاً من تجدد الثورة.

(٣) ثورة علاقة الملاح ٩٩٨هـ/٣٨٨م:

دائماً في كل عصر يظهر بعض الأشخاص ضعاف النفوس، يحاولون الوصول إلى الحكم بأية وسيلة، وفي مقابل السلطة يضعون بكل غال، ولو لزم الأمر فياهم يتحالرون مع أعداء الإسلام. المهم عندهم هو الوصول إلى السلطة. وهذا ما ينطبق على علاقة صاحب الثورة. فمن علاقة؟ وما أسباب ثورته؟؟

لم تقدنا المصادر التاريخية^(٤) بالكثير عن حياة علاقة، ولكن نستطيع القول: إنه كان يعمل ملاحاً في مدينة صور، وكان يتقرّب إلى أهالي المدينة. وعظم أمره عندهم فدعاهم إلى الثورة، وكان يطعمهم في خيرات الشام، فاستجابوا له، وبایعوه بالزعامة. ويعكّرنا أن نرجع ثورة علاقة إلى عدة أسباب:

أولاً: اضطراب العلاقة بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية، مما أن يتم التوصل إلى عقد صلح بين الطرفين حتى يتفضي. فكانت العلاقة بين الدولتين - دائماً - يشوهها التوتر، واستغلال الفرص، فانتهز علاقة هذا الوضع، وانضم إلى البيزنطيين.

ثانياً: اضطراب السياسة الفاطمية في بلاد الشام بسبب قيام ثورة بنى جراح الذين أعلنتوا تبردهم وثورتهم ضد الخلافة الفاطمية.

ثالثاً: الخلاف القائم بين برجوان، والحسن بن عمار، وقد أثر هذا على سياسة الفاطميين في بلاد الشام، فانقسم الجند بين مؤيد ومعارض لكل من الحسن بن عمار أو برجوان.

رابعاً: الطموح الشخصي عند علاقه، والذي كان حسن السيرة، عادلاً، محبوأً بين أهل صور.

*أحداث الثورة والقضاء عليها:

بدأت ثورة علاقه بقتله لجماعة من المغاربة، وفرار الباقى من مدينة صور، ثم قام بسلوك عملية تحمل اسمه ؛ كتب عليها "عز بعد فاقه للأمير علاقه" ثم أرسلى إلى الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني الذى تسمية المصادر العربية الدوقة يطلب مساعدته للوقوف ضد الفاطميين، وعرض على الإمبراطور تسليم مدينة صور على أن يظل حاكماً عليها، ورأى الإمبراطور أن الفرصة أصبحت مواتية له لفرض سيطرته على بلاد الشام، وخاصة مدينة صور، تلك المدينة التي كانت تخراج منها المراكب الفاطمية لغزو بلاده، فاستجاب لدعوة علاقه، وأرسل إليه أسطولاً حربياً للدفاع عن مدینته، ولتقديم المساعدة للثوار.

رأى برجوان - الذي تخلص من الحسن بن عمار، وتولى الوساطة والوصاية على الحاكم - أن الأمر في بلاد الشام ينذر بالخطر، فجهز جيشاً فاطمياً بلغ قوامه ألف رجل أعطى القيادة العامة إلى "جيشه بن محمد بن الصمامة" الخبرير بأمور الشام، وزوده بالأموال، وجعل الجيش الفاطمي في بلاد الشام تحت إمرته، كما أمر الأسطول الفاطمي المرابط في سواحل البحر المتوسط ليكون في خدمته.

تحرك الجيش الفاطمي من القاهرة، حتى وصل إلى الرملة، وهناك قسم القائد "جيش بن الصمصامة" الجيش إلى فرقين الأولى: تسلك الطريق البري، وتقوم بفتح مدينة صور والقضاء على ثورقا، وكان قائداً هذه الفرقة "أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حدان" يساعدته القائد "ياقوت الخادم". أما الفرقة الثانية: فكانت بحرية ، وعهد إليها بمحاصرة المدينة من جهة البحر المتوسط، ومنع وصول الإمدادات البحرية للثوار من البيزنطيين، وكان قائداً هذه الفرقة "علي بن حيدرة. وهكذا رأينا حسن استعداد وتنظيم الجيش الفاطمي. وعندما وصلت القوات الفاطمية إلى مدينة صور كان الثوار في انتظارهم، فدارت المعركة وكان النصر في جانب الفاطميين. فاستتجد "علاقة الملاح" بالإمبراطور البيزنطي وطلب منه تزويده بالمال والرجال، وبالفعل بعث إليه الإمبراطورية بالمدد ولكن الأسطول الفاطمي نجح في القضاء على هذه المحاولة، وقتل من الروم أكثر من مائة وخمسين رجلاً وفر باقي الجنود. وعندما رأى أهل صور هذه الهزيمة، مع شدة الحصار المفروض عليهم، طلبوا الأمان، فنادى القائد أبو عبد الله بن الحسين "أن" من أراد الأمان من أهل الستر والسلامة فليلزم منزله"^(١) فهدأت نفوس الناس وفتحت أبواب المدينة، وتم القبض على علاقة، وجماعة من الثوار، وحملوا إلى القاهرة، فركب علاقه جلاً، وأليس طرطوراً، وطيف به في شوارع المدينة، ثم قتل وجماعة من أنصاره، وانتهت الثورة بذلك.

*أثر الثورة على الحياة السياسية والاقتصادية في بلاد الشام:

ترتب على ثورة علاقه اضطراب الأمن في بلاد الشام، ونزول الروم إلى مدينة صور. وما هو جدير بالذكر؛ إنه على الرغم من الانتصار الذي حققه الفاطميون على البيزنطيين، فإن برجوان رأى أن من الحكمة عقد الصلح مع الروم، فأرسل إلى الإمبراطور "باسيل الثاني" يخبره بالموافقة على الصلح^(٢) وترتب عليه أن ظلت السواحل الشامية بعدها وموانيها تحت سيطرة الفاطميين، ومن جهة أخرى، تولى "أبو

"عبد الله الحسين" حكم مدينة صور، وذلك مكافأة له، فأقام بها وفرض سيطرته عليها، فقويت بذلك شوكت الحمدانيين في الشام. يضاف لذلك: ارتفاع شأن برجوان وعلو نفوذه في مصر، حيث كان هذا الانتصار "أول فتح على يديه"^(١) مما سمح له بفرض المزيد من السيطرة على الحاكم. وأخيراً يمكن القول: إن ثورة علاقة قد أثرت على الحياة الاقتصادية في الشام، حيث غلت الأسعار، ومات كثير من الناس من شدة الجوع، وبعضهم هاجر إلى دمشق، وترك دياره، بسبب اعتداء المغاربة عليهم.

(٣) ثورة الوليد بن هشام بن عبد الملك ٥٣٩ـ ٤٠٠ م:

تعد ثورة الوليد بن هشام من أخطر الثورات التي هزت كيان الدولة الفاطمية، ولا نتجاوز الحقيقة إن قلنا إنما كانت تعصف بالخلافة الفاطمية، فمن هو الوليد بن هشام؟ وما هي أسباب ثورته؟ وما موقف الحاكم بأمر الله منها؟ وما موقف الشعب المصري؟

هذه الأسئلة تراوحت في ما يلي:

تكاد تجمع المصادر التاريخية^(٤) على أن صاحب الثورة هو الوليد بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، يتسبّب إلى بني أمية من بني مروان، ويجتمع في النسب مع المؤيد بالله هشام بن الحكم صاحب الأندلس، وقد عرف بأبي ركوة لأنّه كان يظهر النسك، ويحفظ بركوة^(٥) يحملها معه في أسفاره، وقيل سمي بذلك لأنّه أهل مصر لقبوه بذلك سخرية منه، إذ جرى أهل مصر على عادة السخرية من أعدائهم. يصف المؤرخون^(٦) الوليد "بأنه كان شاباً أسمى تعلوه حمّره، طويلة الجبهة أشهل العينين بزرقه، أقنى الأنف، صغير اللحية، أصهب الشعر إلى الشقرة، ظاهر القطوب، يتبين فيه الجد".

أما سبب خروجه من الأندلس فيرجع إلى اضطهاد الوزير المصور بن أبي عامر - وصي الخليفة هشام بن الحكم الذي كان يقتل الأمويين، خاصة من يصلح

منهم للخلافة، فهرب كثير منهم خوفاً من بطش الوزير المنصور، وكان من بين هؤلاء "الوليد بن هشام" الذي خرج من الأندلس ثم توجه إلى مصر، واشتغل بطلب العلم، وسمع الحديث، ثم ذهب إلى مكة، ومنها إلى اليمن ثم عاد مرة ثانية إلى مصر، وظل بها فترة تعرف خلالها على أحوال مصر، ثم ارتحل إلى الإسكندرية ومنها القبروان ثم استقر في برقة.

وهكذا هرب الوليد من وجه الوزير المنصور، ولم يعد يمثل خطراً على سلطته، وزار كثيراً من البلاد الخاضعة للخلافة (مصر، مكة، اليمن، برقة) وتعرف على أحوال هذه البلاد، ومدى كراهيتهم للحاكم بسبب ظلمه واستبداده، خاصة أهل برقة الذين خلعوا طاعته^(١٦)، وطردوا قائده "صندل الأسود" عام ٤٠٠ هـ/٩٣٩ م وطلبو المساعدة من باديس بن يوسف بن زيري.

وعلى ذلك يمكننا تلخيص أسباب ثورة "الوليد" فيما يلي:

(١) الطموح الشخصي عند الوليد بن هشام، فقد كان يطمع في أن يكون خليفة في منطقة الشمال الأفريقي (بلاد المغرب)، وذلك تقليداً للخلافة الأموية في الأندلس والخلافة الفاطمية في مصر، والخلافة العباسية في بغداد. والدليل على ذلك إن الوليد عندما سُنحت له فرصة الخروج لم يدع إلى الخلافة الأموية أو العباسية، بل ضرب السكة باسمه، واتخذ لقب أمير المؤمنين^(١٧).

(٢) رأى الوليد من خلال رحلته في بلدان الخلافة الفاطمية، كراهية أهلها للحاكم بأمر الله، بسبب ظلمه لهم، فإذا علمتنا أن الحاكم كان خلال تلك الفترة يشدد قبضته على جميع طوائف الشعب، علمنا مساندة الرعية للوليد في ثورته.

(٣) زيادة كراهية أهل برقة للحاكم بسبب قتله لزعمائهم بعد أن أعطاهم

الأمان. يقول المقرizi: "بعث لهم أي (أهل برقة) بالأمان، فقدم وفدهم إلى الإسكندرية، فقتلهم عن آخرهم"^(١٨).

وصفة القول: إن الطموح الشخصي للوليد، وكراهيته الرعية خاصة أهل برقة للحاكم، كان من أهم أسباب ثورة الوليد بن هشام.

*أحداث الثورة:

استطاع الوليد أن يستغل كراهية أهل برقة للحاكم بأمر الله، فجمع حوله العناصر المناهضة لسياسته. خاصة، أن الوليد كان يعمل معلمًا لأولادهم، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويؤم الناس في الصلاة، حتى أصبح محمود السيرة لديهم، مطاع الرأي فيهم، وحرض الناس على الثورة، وأظهر لهم أن غرضه ليس إلا نصرة الإسلام، والثار للمذهب السنى. فإذا عرفنا أن الوليد كان جهوري الصوت، بل يبلغ الخطبة، يستولي على قلوب وعقول مستمعيه، علمنا أن القبائل العربية قد استجابت لدعوته بسهولة ويسر.

ولأن أحداث ثورة الوليد بن هشام طويلة جداً، فيمكننا قسيماها إلى ثلاثة مراحل، لكل مرحلة نتائج هامة:

*المراحل الأولى: (بداية الثورة):

تبدأ ثورة الوليد بمحاولة فرض سيطرته على برقة، ويبدو أن أهل هذه المدينة على الرغم من كراهيتهم للحاكم، إلا أنهم كرهوه أن يصبح الوليد بن هشام حاكماً عليهم.

بعث الوليد جيشه ليستولي على المدينة، ولكن حاميتها الفاطمية استطاعت الدفاع عنها، ففرض حصاره على المدينة. وعندما علم الحاكم بهذا الحصار، حاول أن يستميل الوليد، فأمر بعض المغاربة بالكتابة إليه يخبرونه بأنه أميرهم ويطلبون منه الحضور إلى القاهرة لمبايعته بالخلافة، ويبدو أن الوليد قد فطن لهذه الخطة، وعلم أن

هذه الرسائل مجرد خدعة من الحاكم، فلم يستجيب لهم، وتأكد الحاكم بأن هذا الأسلوب لن يجدي مع الوليد. فجهز جيشاً من المغاربة بلغ قوامه خمسة آلاف مقاتل، وعهد بالقيادة إلى القائد التركي "ينال الطويل" وذلك في (٣٩٥-٤٠٠م). وعندما وصل خبر تحرك الجيش الفاطمي للوليد، رفع حصاره عن مدينة برقة، وبعث بسرية من جيش تكون من ألف فارس، وأمرها بردم آبار الماء التي على طول الطريق؛ وذلك ليحرم الجيش الفاطمي من الحصول على الماء. نجحت خطة الوليد، فوصل جيش "ينال الطويل" إلى برقة وهو منهك القوى. وعندما وقعت المعركة مع الثوار، كانت النتيجة انتصار الثوار، ووقوع القائد التركي "ينال" في الأسر. وتذكر الروايات التاريخية أن "ينال" أُهين في أسره وكان يظهر الشجاعة. فحينما أمره الوليد بلعن الحاكم على أن يفك أسره، بصر "ينال" في وجهه، فأمر الوليد بقتله. واستولى على مائة ألف دينار كانت معه^(١)؛ بالإضافة إلى المئات والأسلحة؛ التي ساعدته على مواصلة القتال ضد الفاطميين.

وعندما وصل خبر الهزيمة إلى الحاكم لم يعبأ بها، وأمر بتجهيز جيش آخر من المشارقة، وأعطي القيادة إلى "فاتك التركي" الذي خرج مسرعاً للقضاء على ثورة الوليد. ولكنه لقي مصيره الختوم حيث انتهت المعركة بانتصار الثوار، واستيلاء الوليد على مدينة برقة، التي فتحت أبوابها له.

ومن خلال تحليل الأحداث، يمكننا استنتاج أسباب انتصار الثوار، وهي

كالتالي:

- (١) أن جيش الثوار قد نجح في اختيار زمان ومكان المعركة، حيث حرم الجيش الفاطمي من الماء طول الطريق. بالإضافة لذلك كان الجيش الفاطمي يتحرك بين التلال والهضاب، حيث لم يكن على معرفة تامة بطبيعة الأرض التي يحارب عليها، مما سهل للثوار الانتصار عليهم.

(٢) سوء اختيار القائد الفاطمي، حيث عهد الحكم إلى "بنال" التركي بقيادة جيش معظم من المغاربة، فإذا عرفا الصراع الدائر بين طوائف الجيش - المشارقة والمغاربة - علموا قلة حماس المغاربة في القتال تحت قيادة "بنال" التركي.

(٣) قلة حماس أهل كنامة (المغاربة) للمعركة، وذلك بسبب كراهيتهم للحاكم بأمر الله بسبب قتله لكثير من رجالهم، وميله إلى المشارقة، وتفضيلهم على جميع طوائف الجيش.

*نتائج المرحلة الأولى:

وهكذا انتهت المرحلة الأولى من الثورة بانتصار الوليد، واستيلائه على برقة، وطرد وليها الفاطمي "عندل الأسود" ومعظم وجوه برقة، الذين توجهوا إلى القاهرة، وأعلموا الحاكم بخطورة الوضع في برقة. أما بالنسبة للوليد والشوار فقد انتقموا من الشيعة، فقتلوا بعضهم، ونفيت دورهم، واستولى الثوار على ما يقرب من مائتي ألف دينار، وأبطل المذهب الشيعي، وأعلن العمل بالمذهب السنّي، وبابع الناس الوليد بالإمامية، وتلقب "بأمير المؤمنين الناصر لدين الله"^(٢٠) وقيل تلقب "بالثائر بأمر الله المتصر من أعداء الله"^(٢١) وضرب السكّة باسمه، وذاع صيته في المدينة، واستقام الأمر له.

*المرحلة الثانية (انتشار الثورة):

بعد استيلاء الوليد على برقة تطلعت نفسه إلى توسيع خلافته، فجهز جيشاً كبيراً للاستيلاء على مصر، وتحركت هذه الجموع الجائعة التي أجتذبها خيرات مصر في رمضان ٣٩٦هـ / يونيو ١٠٠٦م، حتى وصلت إلى الإسكندرية، وحاصرت المدينة، وبعد قليل سقطت في أيديهم؛ وانتشر الثوار في المدينة ينهبونها ويستولون على أموالها. وانضمت للوليد بعض القبائل العربية مثل بني قرة وبني هلال وبني

سليم. فأمر الوليد بتوزيع الإقطاعيات والضياع عليهم، وذلك طبقاً للمعاهدة التي وقعت بينهم على حد قول ابن الأثير^(٢٣). وخلاصة هذه المعاهدة: أن يأخذ الوليد مصر، والقبائل العربية تأخذ الشام.

و قبل أن نواصل الحديث عن الثوار علينا أن نجيب على السؤال الذي طرحتناه سلفاً، وهو موقف الشعب المصري من ثورة الوليد بن هشام؟؟

يذكر ابن الأثير^(٢٤) أن جند مصر وأعيانها فرحاً شديداً عندما وصل إليهم خبر انتصار الثوار، وأفم بعثوا بالرسائل إلى الوليد يستدعونه للحضور إلى القاهرة، ليصبح خليفة عليهم. وكان على رأس هؤلاء القائد حسين بن جوهر قائد القواد، وعندما علم الحاكم بذلك، أظهر الاعتزاز، واشتد قلقه وخوفه. بينما يذكر المقريزي: إن الشعب المصري كان يقف إلى جانب الحاكم، وأفم كانوا يقفون "على أبواب الدور ليلهم كله يبتهلون بالدعاء والنصر (للحاكم)"^(٢٥) وجيشه، كما قاموا بوضع أموالهم تحت تصرفه.

وأميل إلى رأي المقريзи؛ وأرى أن أهل مصر (السنة والشيعة) على الرغم من كراهيتهم للحاكم - لم يقفوا إلى جانب الثوار، وذلك لأنهم كانوا مقدرين خطورة الثورة، خاصة بعد أن علموا ما قام به الثوار من هب لمدينتي برقة والإسكندرية، ومن قتل وتدمير ونهب للأموال. أما ما ذكره ابن الأثير من تأييد الحسين بن جوهر للثوار، فلعلها خطة ذكرية من الحاكم لإيهام الوليد بن هشام بأن الشعب والجيش معه. وأخيراً، بقى أن نقول: إن معظم المصادر التاريخية لم تذكر مطلقاً انضمام القائد حسين بن جوهر أو أحد من المصريين للثوار، ومن تبع الأحداث يتضح لنا أن المصريين كانوا يقفون إلى جانب الخليفة الحاكم بأمر الله.

بعد أن أوضحنا موقف أهل مصر من الثورة، يجب علينا أن نوضح موقف

الحاكم بأمر الله؟؟

تذكر بعض الروايات التاريخية: إن الحاكم عندما علم بانتصار الشوار، واستيلائهم على الإسكندرية، اشتد خوفه "وبلغ الأمر به كل مبلغ"^(٢٥) حتى أنه هم بالفرار إلى الشام وقام بنقل خزانته إلى مدينة بلبيس تمهيداً لخروجها من مصر. غير أن المخلصين له نصحوه بالعودة إلى القاهرة، فاستجاب لهم^(٢٦); وعاد إلى مقر خلافته. وعلى النقيض من ذلك تذكر رواية^(٢٧) ثانية: إن الحاكم كان يمتاز - أثناه الثورة - بالثبات والشجاعة، وكان يدعو الناس للجهاد، ويحثهم على المقاومة ويدعوهم إلى الصبر والثبات، كما كان يدعهم بالفوز على الأعداء.

وأنا أميل إلى الرواية الثانية التي ترى ثبات الحاكم، وقوته، وناسكه في مواجهة الثوار، لسببين:

أوهما: أن الحاكم بأمر الله كان يتصف بالقوة والشجاعة، فقد ذكر المؤرخون أنه هو الخليفة الوحيد الذي كان يسير منفرداً في القرى بالليل يراقب الحسبة ويدهب إلى الفلوات^(٢٨). وهذا يدل على فرط شجاعته، فكيف يترك الميدان بهذه السهولة ويفر.

ثانيهما: أن شخصية الحاكم كانت تتسم بالصرامة والقوة والعنف، فلم يكن بالشخصية الضعيفة التي ترك خلافة آبائه وأجداده من أجل ثورة قامت ضده، بل كان شخصية عنيدة، تقف أمام الثوار، وتحارب من أجلبقاء الخلافة الفاطمية.

نعود إلى جيش الثوار الذي استولى على الإسكندرية، وكان يستعد للزحف على القاهرة، وعندما علم الحاكم بهذا الأمر، استدعي جيشه من بلاد الشام، وفرق عليهم الأموال والسلاح، والدواب، وقسمه إلى فرقتين: الأولى: بقيادة "على بن فلاح" وكان مقرها الجيزه. والثانية: بقيادة "فضل بن عبد الله بن صالح"^(٢٩) وكان مقرها الفيوم. تحركت الفرقة الأولى من القاهرة حتى وصلت إلى بركة الجيش^(٣٠)، ومنها إلى الجيزه، التي عسكر فيها. وهناك وصلت إليه الإمدادات من طريق البر

(الصحراء) وطريق البحر (نهر النيل) بقيادة "على بن دغفل بن الجراح"—الذى حضر من الشام— وأخذت جميع القوات الفاطمية تنظم صفوفها لمواجهة الثوار. وفي نفس الوقت كان أبو رکوة يستعد، للمعركة الفاصلة ضد الفاطميين. وفي صباح يوم الجمعة ١٨ ذي القعدة ٣٩٦هـ/١٠٥١م دارت المعركة في الجيزة، وانتهت بانتصار الثوار، وقتل الكثير من الجيش الفاطمي. وعظم بكاء الناس عليهم، فأمر القائد "على بن فلاخ" بمنع دفن الموتى في القاهرة، لئلا يحزن الناس. يقول المقريزى: "وافتقد كثير من العسكر فلم يعلم لهم خبر، ولم يسلم من العسكر إلا القليل"^(٣١) وتقدم الثوار إلى مدينة القاهرة، وقاموا بمحاصرتها، حتى كادت المدينة أن تسقط في أيديهم، لو لا أن الحاكم أمر بغلق أبوابها، وأمر بتشديد الحراسة عليها^(٣٢). أما الثوار بعد انتصارهم في الجيزة، توجهوا إلى الفيوم في ١٣ ذي الحجة ٣٩٦هـ/١٠٥٥م وكان هناك "الفضل بن صالح" الذي استطاع أن يستميل إليه بعض القبائل العربية مثل بنى قرة، وبنى كلاب ويشجعهم على مقاومة الثورة، كما نجح في إقناع بعض رجال الثورة بالانضمام إليه. بالإضافة لذلك وصول الإمدادات إليه، و التي كانت نحو أربعة آلاف فارس. فارتقت بذلك روح جنوده المعنوية.

بعد قليل، وقعت المعركة بين الثوار والجيش الفاطمي، واستطاع "الفضل بن صالح" أن يتزعزع النصر من الثوار. و تقهقر "الوليد بن هشام" إلى الجيزة، فتبعد الفضل وانضم إليه علي بن فلاخ. ثم دارت المعركة بالقرب من أهرامات الجيزة؛ وانتهت بانتصار الفاطميين^(٣٣). وفرار الوليد إلى الصعيد ، والقبض على ستة آلاف أسير من جيشه، أخذوا إلى القاهرة، وطيف بهم في شوارعها – تسكيناً للرعية – . ثم أمر الحاكم بقتلهم، وأنعم على القائد "على بن فلاخ" ، وظل الفضل يتبع فلول الثوار في الصعيد.

*نتائج المرحلة الثانية:

باتهاء معركة الفيوم تنتهي المرحلة الثانية من ثورة الوليد بن هشام، واستطاع القول: إن هذه المرحلة قد شهدت الصراع الحقيقي، والصدام المسلح بين الفاطميين والثوار. و يتضح لنا من الجولة الأولى " معركة الجيزة" أن الثوار قد استطاعوا الانتصار على الفاطميين، ولكن الغرور كان يسيطر عليهم، وبوصول الإمدادات للفضل بن صالح من الفيوم تبدأ الجولة الثانية ، والتي تنتهي بانتصار الفاطميين وفرار الوليد إلى الصعيد.

*المرحلة الثالثة: نهاية الثورة:

على أثر هزيمة الوليد في معركة الجيزة الثانية فر إلى بلاد النوبة، في صعيد مصر. وقد اختلفت الروايات التاريخية حول مصيره، فبعض المؤرخين^(٣٤): ذكر أن أبا ركوة قد فر إلى النوبة للاتفاق الذي عقده مع الملك " جورج الثاني" ملك الحبشة، وكان ينص على أن الأخير يمد الوليد بالمال للوقوف ضد الحاكم. ولكن لسوء حظ الوليد كان الملك جورج قد توفي، وخلفه ابنه " روافائيل" الذي سلم الوليد للقائد فضل ، وذلك خوفاً من بطش الحاكم.

على حين تذكر بعض الروايات الأخرى^(٣٥). إن الوليد قد اختفى بدير أبي شنودة. وظل فيه أكثر من أربعة عشر يوماً، حتى دلهم الشيخ " أبو المكارم هبة الله " عليه فكافأه الحاكم بلقب " كتر الدولة"^(٣٦). وتواترت أبناءه هذا اللقب وعرفوا به على مر التاريخ.

بعد القبض على الوليد أو هه القائد فضل أن الحاكم قد عفا عنه، وأنه يريده مقابلته في القاهرة لينعم عليه، ويبدو أن الوليد قد صدق كلام فضل، فذهب معه، وكان الفضل طول الطريق، يقبل يد الوليد وبعظامه حتى وصل إلى القاهرة، في يوم الجمعة ١٥ جمادي الآخر ٣٩٧هـ / ١٠٠٦ م. وهناك حل على جمل، وأليس ثوب

قديم، وفرق رأسه طر طور طوبل متعدد الألوان، وخلفه رجل معه قرد^(٣٧). يصفه على قفاه، وهو في مذلة، ومهانة شديدة، وعامة الشعب يرجونه بالحجارة، حتى أوشك على الموت أكثر من مرة. وكان - حينئذ - يظهر صبراً عظيماً، حتى وصل إلى قصر الحكم، وهناك دار هذا الحوار.

الحاكم: ما حملك على هذا؟

الوليد: سو هتي لو ساعدتنى الأقدار.

الحاكم: لو ساعدتك ما كنت تفعل.

الوليد: كنت أجعلك موضعى الآن.

ثم أمر الحكم بحبسه، فكتب الوليد رسالة اعتذار للحاكم جاء فيها: "يا أمير المؤمنين إن الذنب عظيمة، والدماء حرام، ما لم يحلها سخطك، وقد أحسنت واسات، وما ظلمت إلا نفسي، وسوء علمي أويقني"^(٣٨) فأمر الحكم بقتله وصلبه خارج القاهرة. على حين ذكرت بعض الروايات^(٣٩): إن القائد فضل قتل الوليد في التوبة، وجاء برأسه للحاكم في القاهرة، فأنعم عليه، وعهد إليه بالنظر في أمور الدولة.

*نتائج المرحلة الثالثة:

وهكذا انتهت ثورة الوليد بن هشام بهذا المصير المخزن، فقد قتل من رجاله أكثر من ثلاثين^(٤٠) ألفاً، وقيل سبعين ألفاً^(٤١). واستطاع الحكم أن يقضي على الثورة التي كادت أن تعصف بملكه، وتطيح بالخلافة الفاطمية.

ويمكننا من خلال تحليل الأحداث أن نجمل أسباب هزيمة الوليد بن هشام فيما

يلي:

(١) قوة شخصية الحكم بأمر الله، وثباته أمام الثوار، فقد كان يشرف على تجهيز الجيش بنفسه، كما كان يحيث الجنود على الجهاد، وبذل مزيد من الجهد للدفاع عن أرض مصر، بالإضافة إلى أنه كان ينفق الأموال

بسخاء على رجال جيشه.

(٢) مساعدة المصريين للفاطميين أثناء الثورة، فقد قام المصريون بوضع أموالهم تحت تصرف الحاكم، وتحملوا غلاء الأسعار، وكانوا يتهلون إلى الله تعالى أن ينصر الفاطميين على أعدائهم.

(٣) تخلي الخليفة الأموية في الأندلس عن تقديم المساعدة للوليد بن هشام في ثورته وذلك لفقد وكراهة الوزير المنصور بن أبي عامر_ المسيطر على الخليفة هشام المؤيد بالله_ للوليد بن هشام، وذلك خوفاً من أن يطيح به، وينفرد بالخلافة الأموية.

(٤) تخلي القبائل العربية_ بني هلال، وبني سلم، وبني قرة، وبني كلاب_ عن مساعدة الوليد والثوار، بسبب الرشوة التي قدمها لهم القائد فضل بن صالح، وخوفهم من بطش الحاكم بأمر الله.

* أثر ثورة الوليد بن هشام على الحياة السياسية والاقتصادية:
كان لثورة الوليد أثر كبير على كافة نواحي الحياة خلال عصر الحاكم بأمر الله يمكننا إيجادها فيما يلي:

(أ) على الأسعار: أدت الثورة إلى ارتفاع الأسعار، حيث عم السلب والنهب ريف مصر، وأغلقت الأسواق، وارتفع سعر الدقيق والخبز، وازدحم الناس على شرائه، ولم يوجد حتى بيع الثلاثة أرطال بدرهم^(٤٢).

(ب) على مصروفات الدولة: تأثرت مصروفات الدولة الفاطمية خلال الثورة، فمما لا شك فيه أن تحرك الجيوش الفاطمية إلى برقة، والجизية، والفيوم والصعيد، إلى جانب استدعاء القوات من الشام. كل ذلك يحتاج إلى أموال كبيرة، حتى قبل أن جملة ما انفق على الثورة وصل ألف ألف دينار^(٤٣).

(ج) على طبقات الجيش: كان المغاربة قد تفزوا بتفوز كبير في بداية خلافة الحاكم لأن الحسن بن عمار كان يتولى الوساطة، وعندما قامت ثورة الوليد بن هشام استغل المشارقة هذه الثورة، واضطربت الحالة الأمنية في البلاد، فأطاحوا بالحسن بن عمار، ووسعوا اختصاصهم، حتى أنه عهد للقائد "الفضل بن صالح" - الذي قضى على الشورة - بالنظر في أمور الدولة، ومنحة كثير من الإقطاعيات^(٤) والأموال، وعندما مرض زاره الحاكم، وأمر طبيبة الخاص بمعالجه.

(د) على السياسة الخارجية وحدود الخلافة: تأثرت حدود الخلافة بثورة الوليد بن هشام فقد خرجت برقة من سيادة الفاطميين، وأعلن الوليد سيطرته عليها، وأصبحت مقرًا لخلافته. كذلك اضطربت حدود الخلافة في الشام، حيث أعلن بنو الجراح ثورتهم على الحاكم، وانتهز الأعراب هذه الثورة فقاموا بالإغارة على القاهرة والقسطاط، حتى كان الحاكم يغلق أبواب المدينة ليلاً ويشدد الحراسة عليها.

ثورة الحسن بن جعفر الحسني في (مكة) ٤٠٠هـ / م ١٠٠٩:

لا يخفى علينا أهمية الحجاز بالنسبة للعالم الإسلامي، وذلك لأنه مقر الحرمين الشريفين وقد ظهرت في هذا الوقت نظرية مؤذها أن الخليفة الحقيقي هو المسيطر والمدافع عن الحرمين الشريفين. لذلك حرص الخلفاء العباسيون والفاطميين على بسط نفوذهم على منطقة الحرمين الشريفين، وتوفير الأمن والهدوء فيها. وقد رأينا في الفصل السابق، كيف نجح العزيز بالله في أن يقضي على ثورة أبي حازم ٣٧٧هـ / ٩٨٧م، وثورة على الرسي ٣٨٤هـ / ٩٩٤م، وأن يعيد الهدوء والاستقرار لمنطقة الحجاز.

وفي خلافة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ / ٩٦٦-١٠٢٠م) قامت ثورة جديدة على يد أبي الفتوح الحسن بن جعفر أمير مكة، فما هي أسباب ثورته؟ وما أحداثها؟ وكيف نجح الحاكم في القضاء عليها؟

يمكن بنا أن نذكر إن الأمير الحسن بن جعفر كان في بداية حكمه عام ٩٩٤هـ مخلصاً للخلافة الفاطمية، حتى إن الخليفة العباسى القادر بالله عندما عرض عليه الدخول في طاعته، وأغراه بالمال، رفض الحسن ذلك. وظلت الخطبة تقام في مكة باسم الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى؛ بل إن الحسن عندما علم أن بني مهنا - أمراء المدينة المنورة - قد خلعوا طاعة الحاكم، ودعوا للقادر بالله العباسى. جرد إليهم جيشاً كبيراً، وطردهم من المدينة المنورة، وجعل الخطبة فيها للفاطميين عام (٩٩٩هـ / ١٣٩٠م). ولكن - هذا الأمر - لم يستمر طويلاً، حيث عاد بني مهنا إلى المدينة المنورة، وأعلنوا ولائهم للفاطميين، وأقيمت الخطبة للحاكم بأمر الله.

*أسباب الثورة:

لقد أشرنا إلى أن العلاقة بين الحسن بن جعفر والحاكم بأمر الله كانت قوية لدرجة جعلت الحسن يدخل في حرب لصالح الفاطميين، فما هي إذا أسباب ثورته؟؟ ترجع معظم الروايات التاريخية^(٤٤) سبب ثورة الحسن بن جعفر إلى إغراء الوزير حسين بن علي المغربي الذي ذهب إلى مكة، وحسن لأبي الفتوح الحسن بن جعفر خلع طاعة الحاكم بأمر الله. ويبدو أن الأمر قد صادف هوى في نفس الحسن فاستجاب لدعوة الوزير، ونزع ما كان بالكعبة من ذهب وفضة، وسار به إلى الرملة، ليضم لأنصاره من بني الجراح، وهو في طريقه انضمت إليه قبائل بني سليم، وبني هلال. وعندما وصل الركب إلى الرملة تلقاه "حسان بن مفرج بن الجراح" بالترحاب، وبايعه بالخلافة؛ واتخذ لقب "الراشد بالله أمير المؤمنين"^(٤٥) ثم ضرب

النقد باسمه، وكان متقلداً سيفاً زعم أنه ذو الفقار، وفي يده قضيب زعم أنه قضيب النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان حوله جماعة من العلوين، نزلوا في ضيافة حسان بن الجراح، ونادى في الحسن الناس بالأمان، وأقيمت الجمعة، ودعا الخطيب للحسن، وسلم الناس عليه بالخلافة، وعظم أمره، واشتدى عليه، فأعلن الثورة ضد الحكم بأمر الله.

* أحداث الثورة والقضاء عليها:

عندما علم الحكم بهذه الثورة، أحس بخطرة التحالف الذي تم بين بني الجراح وبني الحسن فحاول أن يقضي على هذه الثورة قبل استفحال خطورها، فعمل من خلال الجهات التالية:

أولاً: استغل الحكم الزراع الذي ساد بين بني الحسن على إمارة مكة، فأرسل إلى أبي الطيب - ابن عم الحسن بن جعفر - يوليه إمارة مكة، وأرسل حسين ألف دينار^(٤٧) لكل فرد من أسرته، هذا بخلاف المهدايا والثياب، ووعده بالدفاع عن المدينة أمام الحسن بن جعفر وأنصاره.

ثانياً: في نفس الوقت عمل الحكم على استئصاله "حسان بن مفرج" فبعث إليه بالأموال والمهدايا وزين له خلع طاعة الحسن، فاستجاب له حسان. وفر الوزير أبو القاسم المغربي إلى العراق ودخل في طاعة العباسين، ولما أحسن الحسن بن جعفر بخطورة موقفه ذهب إلى حسان وقال له: "أريد أن تبعث معه من يوصلني إلى مكة ولا تخربني"^(٤٨) وبعدها وصل الحسن إلى مكة (٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) وكتب إلى الحكم رسالة يعتذر إليه عما حدث فقال:

لساناً أمّا أمّا أمّا الجدّ يبني ويهدّم	وأنت حسيبي أنت تعلم أنّ لي
ففيروضي ولكن من تعصّ في حلم	وليس حليماً من تباش يمينه

ففقا عنه الحاكم ، وأعاده إلى إمارة مكة. وما هو جدير بالذكر: إن الحسن بن جعفر قد ظل على ولاته للحاكم والفااطميين ، حتى توفي عام ٤٣٥ هـ / ١٠٣٥ م.

*أثر الثورة:

هكذا استطاع الحاكم أن يقضى على ثورة الحسن بن جعفر، بسلاح لم يكلفه شئ، هو سلح المكر والخدع، واستطاع أن يعيد سيطرته على الحرمين الشريفين، ولكن من جهة أخرى كانت قوافله الحج قد تعطلت أثناء الثورة^(٥٠)، وانتشر الخوف والذعر والقتل ببني الحجاج؛ بسبب غارات الأعراب عليهم. كما امتنع الحاكم عن إرسال الكسوة إلى الحرمين الشريفين، مما جعل المؤرخين السينين يصفونه بالخروج عن الدين^(٥١) ويلصقون به التهم المختلفة.

المبحث الثاني.

الثورات الاقتصادية (المجاعات والأوبئة)

شهد عصر الحكم بأمر الله (٤١١-٣٨٦هـ / ١٠٢٠-٩٩٦م) سلسلة من المجاعات، والكوارث وضعته في موقف لا يحسد عليه؛ فعندما توقف النيل عن الزيادة. قيل له: إن ملك الجبعة قد غير مجاري النيل، فأمر بترك النصارى أن يتوجهوا إليه، ويعرض عليه ما وقع بالبلاد من ضرر ، فزاد النيل زيادة عظيمة^(٥٢). ولكن يبدو أن الحكم لم يرض عن هذا الوضع الذي يضعه تحت رحمة ملك الجبعة، حتى سمع عن أبي الحسن علي بن الهيثم الذي قال: لو كنت في مصر لعملت في نيلها عملاً يحصل به النفع في كل حال من حالاته من زيادة ونقص. فأرسل إليه الحكم وأكرم نزله، وسیر معه جماعة من الصناع إلى جنوب مصر حتى وصلوا إلى أسوان لعمل سد بها. ولكن ابن الهيثم أظهر عجزه عن القيام بذلك، وقيل: إنه عندما رأى آثار الفراعنة وقدرهم العجيبة على بناء أثارهم أحسن بالعجز^(٥٣). ويبدو أن طبيعة أرض أسوان الجبلية^(٥٤) صعبة التكسير هي التي قصرت همه.

على كل حال؛ لم يأس الحكم من فشل ابن الهيثم في بناء السد ، فللجأ إلى الإجراءات الوقائية ، ليستعيد بها هيبة الخلاف. فكان كثيراً ما يمنع بعض المأكولات التي قد تسبب الأمراض حتى أهمل السنة بالجنون^(٥٥).

بدأت مجاعات عصر الحكم عام (٣٨٧-٩٩٧م)، وكان القائم بالأمر الحسن بن عمار، ويعزو المؤرخون - سبب هذه المجاعة إلى نقص منسوب النيل الذي وصل إلى ١٦ ذراعاً و ٧ أصابع^(٥٦)، فازدادت الأسعار ، و اشتدى خوف الناس ، وانتشرت السرقة حتى أخذت النساء من الطرق ، وطلب القمح فلم يوجد ، وبيع الخبز كل أربعة أرطال بدرهم^(٥٧). و يبدو لي إن نقص النيل ليس هو المسئول عن هذه المجاعة - حيث بلغت الزيادة ١٦ ذراعاً و ٧ أصابع و هي زيادة لا تعنى

القطط - لكن السبب هو حالة الفوضى والاضطراب التي كانت تعم البلاد بسبب الصراع بين المغاربة، والمشاركة على السلطة. على كل حال لم يقف المصريون صامتون أمام هذه الأحداث ، بل ذهبوا إلى قصر الحكم ، واستغاثوا به في أن ينظر في أحوالهم ، وأن يخفف عنهم ما هم فيه. ورق لهم الحكم ، وقرر سعراً لكل صنف من الغلال بشمن معين لا يزيد عليه. فسكنت ثورة الوعية، وعم الرخاء البلاد.

لم تمر سوى سنوات قليلة حتى وقعت مجاعة أخرى عام (١٠٠٤هـ/١٣٩٥) فقد بلغ منسوب النيل ١٥ ذراعاً و ٧ أصابع^(٥٨). هذه الزيادة القليلة - تعنى عدم زراعة بعض الأراضي ، و بلا شك وقعت المجاعة ، وانتشر الوباء ، فمنع الحكم بعض المأكولات ، وأمر بإصلاح المكاييل و الموازين ليضمن عدم الغش وشدد العقوبة على من خالف أوامرها. حتى أنه أمر بعمل شونة تحت الجبل ملئت بالسنط والحلفا و البوص ، فتخوف الناس - لاسيما التجار - وكثير الاضطراب. فاجتمع المسلمون و النصارى عند قصر الحكم ، وأخذوا يدعون ، ويضرعون إليه ، ويسألونه أن يغفو عنهم ، وكتبوا رقعة وسلموها إلى القائد حسين بن جوهر الذي سلمها للحاكم ، فعفا عنهم ، و أمر الجميع بالانصراف. وفي صباح اليوم الثاني أمر بقراءة سجل أمان للجميع جاء فيه: "... وأمان أمير المؤمنين على النفس والأهل و الدم والمال لا خوف عليكم ولا قديد بسوء إليكم ، إلا في حد يقام بواجهه"^(٥٩).

فإذا انتقلنا إلى عام (١٠٠٦هـ/١٣٩٧) نجد البلاد تشهد مجاعة عظيمة، حيث بلغ منسوب النيل ١٣ ذراعاً و أصابع^(٦٠) فأمر الحكم بكسر الخليج، وصلى الناس الاستسقاء مرتين فزاد النيل حتى وصل إلى ١٥ ذراعاً^(٦١). ثم نقص فجأة حتى وصل إلى ١٤ ذراعاً و ١٦ إصبعاً^(٦٢) وذلك يعني حدوث مجاعة ، فاشتد الأمر بالناس ، حتى بيع القمح كل تلیس بأربعة دنانير ، والأرز كل وبيه بدينار ، واللحوم رطل ونصف بدرهم ، و زيت الوقود رطل بدرهم^(٦٣)، فأمر الحكم مسعود

الصقلبي - مولى الستر - بتدبير هذا الأمر ، فجمع مسعود الطحانين و الخبازين ، وقبض على ما بالساحل من الغلال ، وأمر ألا تباع إلا للطحانين، وسُرِّق القمح وسائر الحبوب ، وهاجم عدة مخازن و فرق ما بها على الطحانين ، و ضرب جماعة بالسوط و شهراهم ، فتوفّر الخبز في الأسواق وهدأت ثورة الرعية. وما هو جدّير بالذكر: إن الحاكم حاول - في هذه الثورة - أن يعالج أزمة النقد عن طريق تحسين الدرارهم الريدية ، فأمر بسحب الدرارهم القديمة ، وأنزل من القصر عشرين صندوقاً فيها الدرارهم الجديدة لتفرق على الصيارة ، و قرئ سجل يمنع المعاملة بالدرارهم القديمة. وأمهلهم ثلاثة أيام ليوردوا القديم منها إلى دار الضرب. (ثم أصدر الحاكم أوامره بأن يكون سعر صرف الدرارهم الجديدة ١٨ درهماً بدينار، وبذلك تحولت مصر إلى قاعدة المعدنين الذهب والفضة.

ويبدو لي؛ إن هذه الإجراءات قد أضرت بمصالح الرعية، خاصة الصيارة الذين "أتلفت أموالهم"^(٦٤) فهاجت الأسواق، وعمت الثورة البلاد، فأمر الحاكم بضرب جماعة من الخبازين و الطحانين والصيارة و شهرهم، وأمر بتسمير الأشياء، فعاد الهدوء إلى الأسواق، وأمن الناس، وانتهت ثورتكم^(٦٥) :

وبحلول عام(٣٩٨هـ/١٠٠٧م) وصل منسوب مياه النيل ١٤ ذراعاً وأصابع^(٦٦) ثم فتح الخليج فبلغ الماء ١٥ ذراعاً^(٦٧) وهذا يعني حدوث مجاعة، وبالفعل وقع الغلاء، حتى بيع الخبز مبلولاً ثلاثة أرطال بدرهم، وبيع التلiss من القمح بثلاثة دنانير. و أمر الحاكم بضرب جماعة من الخبازين و الطحانين و شهرهم، ومنع أهل الذمة من الاحتفال بأعيادهم، ومنع الناس من التظاهر بالغناء، ومن ركوب النيل، ومن جميع المسكرات، وفرض على الرعية ما يشبه حظر التجول ليلاً^(٦٨).

وكانت هذه الإجراءات -التعسفية من الحاكم- بثابة إذن للمصريين للقيام بالثورة، فاجتمعت جميع طرائف الشعب، عند قصر الحاكم، وضجوا من قلة الخبز وعدم جودته، وكتبوا رقعة إلى الحاكم و رفعوها إليه مع رغيف خبز قديم، وكافأها

إشارة لطيفة منهم إلى سبب ثورتهم، واستغاثوا بالحاكم، أن ينظروا في أحوالهم، وألا يهمل أمرهم، وأن يخفف عنهم ما حل بهم من مجازات، وأن يوفر لهم الخبز.

وأمام هذه الثورة الجامحة، وخوفاً من خطرها، بحث الحاكم في أسباب المجاعة. فعلم أن السبب ليس انخفاض منسوب النيل فقط، وإنما يرجع كذلك إلى الاحتكار التجاري الذي فرضه التجار على الأسواق، وزيادة تخزين الناس للقمح و الشعير.

فاستخدم الحاكم وسائله الخاصة في منع الناس من تخزين الأقوات، فضرب جماعة بالسوط وشهرهم، وأمر ألا يباع القمح إلا للطحانين، وأمر بكبس الحواصل و البيوت للبحث عن القمح، وركب حماره وخرج من باب البحر^(٦٩) ووقف أمام الناس وقال لهم: "أنا ماضي إلى جامع راشدة"^(٧٠) فاقسم بالله لن عدت فوجدت في الطريق موضعًا يطويه حماري مكشوفاً من الغلة لأضربين رقة كل من يقال لي أن عنده شيئاً منها، ولآخر قن داره"^(٧١) ثم توجه إلى هناك، وتاخر حتى آخر النهار ليعطى فرصة كافية يحمل الناس خلالها غلامهم إلى الطريق، ولشدة حركة النقل على الدواب بلغت أجرة الحمار في حمل النقلة الواحدة ديناراً كاملاً، وما بقي من أهل مصر والقاهرة وعنه غلة حتى جملها من بيته وشونها في الطرقات، وعندما رجع الحاكم من جامعه وجد الغلال قد امتلأت بما الطرقات، فامتلأت أعين الناس، وشاعت نفوسهم. فأصدر الحاكم أوامره للتجار أن يبيعوا غلامهم بالسعر المحدد، إلا فإنه سيختتم على غلامهم، ولا يمكنهم من بيع شيء منها إلى حين دخول الغلة الجديدة. فاستجابوا له، وأطاعوا أمره. فانخفضت الأسعار، وارتفع الضرر عن الناس، وهدأت الرعية، وعم الرخاء البلاد، وانتهت الثورة.

ولم تكن هذه المجاعة آخر المجاعات التي شهدتها البلاد خلال عصر الحاكم، فقد وقعت مجاعة في أعوام (١٠١٥هـ / ١٤٠٣م، ١٠١٦هـ / ١٤٠٦م، ١٠١٩هـ / ١٤١٩م)^(٧٢) ولكن الشعب المصري لم يقم بثورة خلالها، لأنها كانت قليلة، ولم تؤثر

على اقتصاد الدولة، وكانت الخلافة الفاطمية سرعان ما توفر للرعاية الأقوات الالزمة
لهم.

بقي لنا سؤال آخر، هو لماذا لم يقم الشعب المصري بثورة عامة يحاول فيها
قلب نظام الحكم ويخلص من هذه الأوضاع المتردية التي نزلت به؟؟؟
إن ذلك – في ظني – يرجع لعدة أسباب:

أولاً: إن نظام الحكم في ذلك الوقت كان يشبه الاسترفاق، فالخليفة كان يعتبر
نفسه ظل الله في الأرض، ولا يجوز خلعه من منصبه بأي حال من
الأحوال.

ثانياً: الرعب الذي وقع في نفوس الرعية بسبب استبداد الحكم وظلمه، حيث
كان يفتک بالمقربين به. فما حال المعارضين له خاصة ونحن نعلم أن
الشعب المصري كان يفقد السلاح اللازم للمقاومة.

ثالثاً: إن الشعب المصري كان يقدر حالة السلطة الحاكمة وأنها لا تستطيع
تقديم شيء لهم خاصة وأن الحكم قد أبطل المكروس والمزنون التي كانت
تؤخذ من المسافرين، وحدد الأسعار ومعن تخزين ما يزيد على الحاجة
من الغلال، كما قام بصادرة أموال أهله وسائر إقطاعهم وأموالهم التي
بعصر. يضاف لذلك؛ أن الحكم أنشأ ديوان جديد سماه "الديوان
المفرد"^(٧٣) تودع فيه – حساب الشعب – الأموال المصادر من
تراثات الذين قتلهم بسبب جشعهم أو طمعهم في السلطان والنفوذ.
ومن الجدير بالذكر؛ إن هذه الأموال كانت لا تذهب إلى حسابه الخاص
– كما كان يفعل باقي الخلفاء – بل كانت تذهب للرعاية. فقدر
المصريون له ذلك. وكانت ثورتهم نوعاً من المعارضة التي تعبر عن

غضبهم ومطالبتهم بتحسين أحوالهم المعيشية وتوفير الخبز اللازم لهم فقط.

*أثر الثورات الاقتصادية على الحياة:

لا يخفى علينا أنه كان لظهور الجماعات، وقيام الثورات أثر كبير على نواحي الحياة المختلفة خلال عصر الحكم بأمر الله، ولنا أن نجملها فيما يلي:

أ) على السياسة الخارجية: تأثرت سياسة البلاد الخارجية بقيام الثورات الاقتصادية المتعددة فقد استغل الثوار ما وقع بالبلاد من جماعات فحاول كل واحد منهم أن يفرد يامارته. فقامت ثورة أبي ركوة في برقة، والمفرج بن دغفل بن الجراح في الرملة، وعلاقة الملاح في صور، وأبو الفتوح الحسن بن جعفر في مكة. بالإضافة إلى غارات قبائل بني هلال، وبني سليم على الدلتا.

ب) على الأسعار: ارتفعت الأسعار بشكل ملحوظ خلال تلك الجماعات، لاسيما سعر الخبز، ففي عام (٩٩٧هـ/١٣٨٧م) بيع الخبز أربعة أرطال بدرهم وفي مجاعة (١٠٠٦هـ/١٣٩٧م) بيع الخبز ستة أرطال بدرهم، وهذا بالإضافة إلى غلاء المأكولات، فمثلاً بيع القمح كل تلיס بأربعة دنانير، والأرز كل ويبة بدينار، ولحm البقر الرطل والنصف بدرهم، ولحm الضأن الرطل بدرهم، والبصل عشرة أرطال بدرهم، والجبن ثمانين أواق بدرهم، وزيت الأكل ثمانين أواق بدرهم، وزيت الوقود رطل بدرهم^(٧٤).

ج) على العملة: نجد أن مصر تحولت إلى قاعدة المعدنين - الذهب والفضة - ففي (١٠٠٦هـ/١٣٩٥م) أصبح صرف الدينار الجديد بستة وعشرين درهماً. وأصبح في عام (١٠٠٦هـ / ١٣٩٧م) باربعية وثلاثين درهماً. وهذه الزيادة كان لها أثر كبير على حياة الناس، وخاصة التجار والصيارة.

د) على تعداد السكان: كان هذه الجماعات - والثورات - أثراً كبيراً على تعداد سكان مصر، فقد مات كثيرون منهم، وإن كانوا لا يستطيع تحديد عدد الموتى خلال تلك الفترة بالضبط ولكن يبدو لنا أنه كان كثير جداً لدرجة جعلت المقريزي يردد عبارة "وكثير الموت بين الناس"^(٧٥) في أعقاب كل جماعة.

المبحث الثالث

الثورات الطائفية (طبقات المجتمع)

كان الشعب المصري - في عهد الفاطميين - يتكون من عدة عناصر أولاً أهل السنة؛ وهؤلاء تحول بعضهم إلى المذهب الشيعي. وثانيها: المغاربة الذين قاموا بتأسيس الدولة الفاطمية على أكتافهم. والطبقة الثالثة: كانت من أهل الذمة، وكانوا يحظون بالعطف والرعاية من جانب الخلفاء الفاطميين. وأما الطبقة الرابعة: فهم الأتراك؛ الذين زاد عددهم في مصر منذ أيام العزيز بالله. والطبقة الخامسة والأخيرة: كانت السودانيون؛ الذين زاد عددهم - أيضاً - أيام الحاكم بأمر الله. ونظراً لعدد طوائف الشعب المصري فقد وقع كثير من التناقض بين طبقاته المختلفة. ويوضح ذلك فيما يلي:

أ) العناصر الأجنبية وأثر التناقض بينها في حالة مصر الداخلية:

لما اتخذ الفاطميون مصر لتكون مقراً لخلافتهم اعتمدوا على غير أبناء جنسهم حتى صار جيشهم يتالف من قبائل كتامة، و زويلة، والبربر، والصقالبة. وفي عهد العزيز بالله استخدم الديلم والأتراك وجعلهم خاصة. وقد أدت هذه السياسة إلى قيام التناقض بين المغاربة والأتراك. وقد ظل الحال على ذلك إلى أن ول الحاكم الخلافة الفاطمية فقرب إليه الكتاميين في بداية عهده. ثم اعتمد في جيشه على الأتراك والسودانيين. وكان لهذه السياسة أثر كبير في حالة مصر خلال تلك الفترة؛ فالمغاربة الذين قاموا على أكتافهم الدولة الفاطمية في بلاد المغرب وفتحوا مصر على أيديهم، وكانوا يمثلون عصب الدولة الفاطمية وقوها. كان من أبرز زعمائهم الحسن بن عمار الذي تولى الوساطة واتخذ لقب أمين الدولة (٣٨٦-٩٩٦م) فكان أول من لقب به من رجال الدولة الفاطمية كما أمر أن ينقش اسمه ولقبه على الملابس^(٧٦) الرسمية في الدولة، وقام بتوزيع الأموال على طائفة المغاربة وقرىهم، وعزل المصريين من

الدواوين، وأساء معاملة المشارقة، حتى فرَّ كثيرون منهم إلى الشام. واستبد ابن عمار بالخلافة حتى أنه كان يجلس في القصر ويعين الناس من الدخول عليه إلا في ساعات معيته بالنهار. وكان يأمرهم بتعذيب الأرض له. وإذا هذه الإجراءات استبد المغاربة بحكم مصر وعاثوا فيها فساداً وامتدت أيديهم إلى حرمات الناس، وأخذَ أمواهم بالباطل. فضح الناس بالشكوى، واستغاثوا بالحسن بن عمار. الذي لم يتخذ إزاءهم إجراءاً حاسماً، فزاد استبدادهم، وكثُر النهب والسرقة، وعم الظلم البلاد. وما هو جدير بالذكر: إنه كان يبيع الجنواري بثمن بخس، وكان لا يظهر اهتماماً بالحاكم. فكان في أحيان كثيرة يدخل القصر راكباً دابته في وجه الحاكم. بل إنه هم بقتله ولكن بعض خواصه نصوحه بعدم فعل ذلك احتقاراً لشأنه^(٧٧).

*احتجاج برجوان وتوليه الوساطة:

في الوقت الذي استبد فيه الحسن بن عمار بالسلطة، ظهرت شخصية أخرى لعبت دوراً هاماً في هذه الفترة، ألا وهي شخصية برجوان أو أرجوان^(٧٨) الذي اشتهر بالدهاء والسياسة، وقد استطاع أن يستفيد من العداء القائم بين طوائف الجيش (المغاربة، و المشارقة). فقرب إليه طائفة المشارقة؛ الذين رأوا فيه التموج، فللجاؤوا إليه ليخلصهم من ظلم المغاربة. وجاءت الفرصة لبرجوان؛ فعندما قتل أحد الأتراك شخصاً من المغاربة، ثار أهل كتامة وقاموا بقتل المغربي ووقعت الفتنة بين الطرفين، وزاد النهب والسلب، وعم الخراب البلاد، وقتل كثير من الطرفين خلال هذه الاشتباكات. فانتهز برجوان هذه الأحداث، وقرر التخلص من الحسن بن عمار. وأتته الفرصة عندما خرج معظم الجيش الفاطمي (كتامة) إلى الشام للقضاء على ثوري المفرج بن دغفل، وعلاقة الملاح. جهز برجوان جيشاً من الأتراك، استطاع الانتصار به على الحسن بن عمار في شعبان (٩٩٧هـ/١٣٨٧م) فقرر الحسن أن يعتزل الحياة السياسية علي إثر هذه المفاجئة.

على كل حال، تولى برجوان الوساطة، وأجلس الحكم بأمر الله على كرسى الخلافة الفاطمية من جديد، وأخذ البيعة له من الجناد، وكتب الأمانات لرجال كتامة، فأقسموا له على السمع والطاعة. وفي نفس الوقت كان يتقرب إلى المصريين؛ فخفف الظلم الواقع عليهم وأعاد الأقباط إلى عملهم في الدواوين وكان على رأسهم فهد بن إبراهيم الذي كان يوقع على المظالم.

غير أن هذا الأمر لم يستمر طويلاً، فقد لعبت السلطة برأس برجوان، وحدثته نفسه بالطغيان، فأساء الأدب مع الحكم، حتى إنه كان يدخل عليه، وقد ثنى رجله على عنق فرسه، وصار باطن قدمه وفيه الحرف أمام وجه الحكم، واستبد برجوان؛ فقام بهب الأموال، وقدر ثروته بأكثر من مائة مليون دينار ذهب، وغير ذلك من الجواهر والأملاك والضياع والخدم^(٧٩). كما كان يشغل - معظم الوقت - باللهو والغناء، فعطلت أعمال الدولة، وفسدت أحوال الرعية.

* مقتل برجوان وثورة الشعب المصري:

أثارت تصريحات برجوان - حفيظة الحكم - الذي ترك فترة الصبا وبدأ في مرحلة الشباب - فكانت نفسه تتوجه إلى التخلص من الحجر السلطاني من برجوان، فعهد إلى ريدان الصقلي - خادم القصر - بتدبير هذا الأمر، فشجعه عليه وقال له: "إن برجوان يريد أن يجري نفسه مجرى كافور الإخشيدى، ويجريك مجرى ولد الإخشيد فى الحجر عليك، والأخذ على يدك، والصواب أن تقتله، وتدبر أمرك منفرداً به"^(٨٠). فقويت نفس الحكم بسماع هذا الكلام، فعندما جاء برجوان إلى البستان يوماً ألقى ريدان الصقلي القبض عليه، وتولت حاشية الحكم قتله، في ربيع الآخر (٤٣٩هـ / ١٠٠٠م). وإن كان أبو شجاع الروذراورى قد حمل الحكم مسؤولية قتل برجوان لأنه "قد نصح له"^(٨١).

آثار مقتل برجوان خوف الشعب المصري، وتجييع طوائف الجيش. وخرج الجميع في ثورة عارمة إلى قصر الحكم. يقول المقريزي: "فاضطراب الناس وبادروا إلى باب القصر الكبير فورققا عنده"^(٨٢) شهر جنود القصر سيفهم، وأحاطوا للدفاع عنه، وكاد الأمر أن يندحر بثورة عظيمة، وفتنة كبيرة، وأمام هيج التوار، نزل الحكم من قصره، ووقف في وسط هذه الحشود الهائلة، وأخذ يخاطب الجميع، فقال للشعب المصري: إن برجوان عبدي استخدمته فلصح فاحسنت إليه، ثم أساء في أشياء عمله فقتلته. ثم نظر إلى المغاربة، وقال لهم: أنتم شيوخ دولتكم، وأنتم الآن عندي أفضل مما كنتم فيه مما تقدم. ثم التفت إلى المشارقة، وقال لهم: أنتم تربية العزيز بالله، ومقام الأولاد، وما لكل أحد منكم عندي إلا ما يؤثره ويحييه، فكونوا على رسومكم، وأمضوا إلى منازلكم.

وبعد هذا الحوار، وهذه المواجهة "دعا الجميع للحاكم، وقبلوا الأرض وانصروا"^(٨٣). وفي اليوم الثاني استدعى الحكم الحسين بن جوهر، وفهد بن إبراهيم. وأمرهم بكتابه أمان لأهل مصر، وسائر أعمالها، "فسكن الناس وأمن ما خيف من الفتنة"^(٨٤) على حد قول المقريзи.

وهكذا تخلص الحكم من عدوه الذي نازعه عرشه واستطاع أن يقضي على الثورة، ويعيد المدوى والاستقرار للجيش، ولكن يبدو أن الحكم قد تخلص من عدو واحد فقط، وما زال هناك آخر يكرهه ولا يستطيع أن ينسى مافعله به، وهذا الشخص هو "الحسن بن عمار" بعث إليه يستدعيه إلى قصره ليلاً، وعهد إلى مجموعة من خاصته من الأتراب فقتلواه، وأمر الحكم بذبحه، في عام (٣٩٠هـ/١٠٠٠م)، ثم زيادة في الخطة أمر الحكم بقتل مجموعة من شيوخ كتابة، من يظن فيهم المعارضة فوق الرعب والخوف بين أهل كتابة حتى جاءوا إلى قصر الحكم كاشفين رؤوسهم، طالبين العفو والأمان، فغدا الحاكم عنهم، وكتب لهم سجلاً بالأمان

*أثر الثورة على الحياة في مصر:

كان لهذه الأحداث أثر كبير على السياسة الداخلية والخارجية، يمكننا ذكرها

فيما يلي:

أ- على السياسة الداخلية:

استطاع الحاكم أن يتخلص من أعدائه، و أن يسترد سلطانه المسلوب، ويقبض بيد من حديد على مقاليد الأمور. ومن ثم خضعت له جميع طوائف الجيش والشعب. هذا من جهة. ومن جهة أخرى؛ انتهز الحاكم هذه الأحداث وحد من سلطة قائد القواد، حيث أمر إلا يلقى القائد أحداً من الناس على الطريق، ولا يركب إليه إلى داره لقضاء حق له، أو مصلحة ما، ومن كان به حاجة يلقاء في قصر الخلافة. وفي نفس الوقت، فهى الناس عن مخاطبته بـ"سیدنا أو مولانا" بل بــ"القائد" فقط. وكذلك كان من أثر هذه الأحداث؛ أن عم النهب و انتشرت السرقات في جميع أنحاء البلاد؛ وارتقت الأسعار، حتى بيع الخبز كل أربعة أرطال بدرهم.

ب- على السياسة الخارجية:

كان لهذه الاضطرابات أثر كبير على السياسة الخارجية؛ فقد ضعف الحكم الفاطمي في بلاد الشام. لذا فقد حاول كثير من الثوار الاستقلال ببلادهم، ومن هؤلاء: المفرج بن دغفل (٥٣٨هـ/٩٩٨م)، وعلاقة الملاح في صور (٥٣٨هـ/٩٩٨م). كما طمع الروم في بلاد الشام، خاصة بعد تحالفهم مع علاقة الملاح، مما اضطر برجوان - الذي قبض على الحكم خلال تلك الفترة - إلى عقد صلح معهم استمر عشر سنوات. وذلك كي يتفرغ للصراع الدائر بينه وبين ابن عمار، وإن كان من النتائج الإيجابية لهذا الصلح أن ظلت السواحل الشامية - بعدها وموانيها - تحت يد الفاطميين.

جــ المقاومة القولية للمصريين (الثورة البيضاء):

تعددت أساليب مقاومة المصريين؛ فظهرت الثورات المسلحة، وظهرت كذلك المقاومة اللسانية، وهو ما يعرف في مصطلح السياسة الحديثة – بالمقاومة القولية – ويبدو لي أن الذي دفع المصريين إلى استخدام هذا الأسلوب – في المعارضة – هو تشدد الحكم ضد الشعب المصري، ومصادرته للحرفيات. ففي أوقات كثيرة كان يصدر أوامره للشعب: "ترك الخوض فيما لا يعنيه، واحتلال كل فرد بمعيشته عن الخوض في أعمال أمير المؤمنين وأوامره"^(٨٥) لذلك جاؤ المصريون إلى هذا اللون من المعارضة تعبيراً عن سخطهم. والمصريون قد برعوا في اللون حتى صاروا فيه مضرب المشل بين الأمم.

ورد في المصادر التاريخية^(٨٦) صورة رائعة لمعارضة المصريين للحكم بأمر الله حيث كتبوا شكوى وجعلوها في يد صورة امرأة^(٨٧) صنعواها من الورق والجريدة، ووضعوا هذه الرقة بيدها كأنما مظلمة تقدم إليه، جاء فيها سب وقدف صريح له. وأقعدوا تلك الصورة على طريق الحكم، فلما رآها أخذ الورقة، وقرأ ما فيها. فامر بإحضار المرأة فوجدها من فراتطيس، فعلم ما أريد بذلك. وهو الاستهزاء به، فاشتد غضبه، وأمر جنده بحرق الفسطاط. ولم تكدر ثلثة أيام حتى كادت الفسطاط أن تنتهي من شدة الحريق، وفي اليوم الرابع اجتمع أهل مصر – بداية الثورة – في الجامع العتيق ورفعوا المصاحف وأخذوا يبتهلون إلى الله – تعالى – أن يخلصهم من هذه الفتنة، واشتد بكاءهم على موت الأهل، وهلاك المئات. وما هو جدير بالذكر؛ إن الحكم كان يخرج كل يوم إلى جبل المقطم، ويشاهد حريق المدينة، ويسمع صياح المصريين، فيسأل عن ذلك، فيقال له: العبيد يحرقون القاهرة، فيظهر التوجع، وهو يقول: لعنهم الله من أمرهم بهذا^(٨٨).

وعندما رأى الأتراك و المغاربة ما وقع بالمصريين من قتل، وحرق، وفب، وقفوا إلى جانبهم، وقاتلوا العبيد. فأدى ذلك إلى اشتعال الثورة؛ فكثر القتل، وعم النهب وزادت السرقات. مما اضطر المصريين إلى الخروج إلى قصر الحكم، في غضب شديد، معلنين عن ثورتهم، وتجرواً عليه. حتى قال أحدهم له: "أراك الله في أهلك وولدك مثل ما رأينا في أهلانا وأولادنا"^(٨٩) ولم يفعل الحكم شيئاً، بل اعتذر إليهم، واقسم أنه برع بما فعله العبيد. ولكنه كان — في الباطن — يرسل إلى العبيد المال والسلاح ليقضي على ثورة المصريين.

عندما علم المصريون بذلك، اشتعلت ثورتهم أكثر، ووقعت المصادرات بينهم وبين العبيد، ومات كثير من الطرفين. وعندما أحسن الحكم بخطورة الموقف، وعلم باشتغال الثورة، ركب حماره، وخرج بين الصفوف، وأمر بوقف القتال. ثم أذن للعبيد بالانصراف، واعتذر للمصريين عما حدث، وكتب لهم أماناً قرئ على المنبر، ووعدهم بصرف التعويضات اللازمة لهم. فسكت ثورة الشعب، وفتحت الأسواق، وعاد المدوع إلى الحياة من جديد.

ويمكن بنا أن نناقش قضية اشتراك الحكم في حريق الفسطاط، هل كان هذا الحريق ياذنه؟ أم بفعل العبيد؟ أم من نسج خيال الكتاب والمؤرخين الذين يكرهون الحكم بأمر الله؟؟

أشار أستاذنا الدكتور عبد المنعم ماجد إلى قضية حريق الفسطاط، ودرسهـها جيداً، وخرج بنتيجة خلاصتها: إن الحكم بأمر الله برع من هذه التهمة وأن القصة كلها من نسج خيال الكتاب أعداء الفاطميين. ودليله — يرجـه الله تعالى — "أن المقريزي — العارف بأحوال مصر والقاهرة معرفة تامة — لم يذكر شيئاً عن حرق القاهرة زمن الحكم بأمر الله"^(٩٠).

ولكنني أميل إلى أن الحاكم قد أمر بحريق القاهرة، أو بعبارة أخرى كان على علم بالحريق، وذلك لعدة أسباب:

أولاً: رغبة الحاكم بأمر الله في أن يتخلص من طائفة العبيد الذين كثروا فسادهم في مصر، وقاموا بأعمال سلب ونهب، وضفت الحاكم - أكثر من مرة - في موقف لا يحسد عليه أمام جهور المصريين. ومن جهة أخرى أراد أن يتخلص من المغاربة والأتراك - الذين كثروا استبدادهم في مصر - بسلاح لم يكلفه شيء، سلاح الفتنة والوقعية، ليبقى هيئات الخليفة الفاطمية، وهيئات الحاكم بأمر الله، ماثلة في الأذهان.

ثانياً: إن لم يشر المقرizi إلى هذه القصة، فقد أشار إليها كثير من المؤرخين^(٩١) مثل: ابن الجوزي، وابن الأثير، والنويري، والذهبي، وابن كثير، وابن تغري بردى. والأخير؛ على معرفة تامة بأحوال مصر والقاهرة، معرفة لا تقل عن المقرizi، أن لم تزد عليه.

ثالثاً: هذا فضلاً عن أن المقرizi نفسه أشار إلى حريق الفسطاط فقال ما نصه: "إن أهل مصر أوقفوا امرأة من جريدة مؤتررة بيدها ورقة فيها سب الخليفة الحاكم بأمر الله ولعنه، عندما بنع النساء من الخروج في الطرقات، فعندما مر من هنا حسبها امرأة تسأل حاجة فامر باخذ الورقة منها، فإذا فيها من السب من أغضبه، فأمر بها أن تؤخذ، فإذا هي من جريدة قد أليس ثياباً، وعمل كهيئة امرأة، فاشتد عند ذلك غضبه، وأمر العبيد بحرائق مدينة مصر، فأضرموا فيها النار"^(٩٢)

ويعزّو المقرizi هذه الأحداث للمؤرخ عز الملك المسبحي (٤٢٠ـ ٢٩١م) الذي كان معاصرًا للحاكم بأمر الله، ودون ما وقع في عهده من أحداث. كذلك لا نستبعد أن يكون الحاكم بأمر الله - على أقل تقدير - على

علم بحرق الفسطاط، إن لم يكن قد أمر به، خاصة؛ وأن الحاكم كان يتصف بالذكاء والشجاعة والإقدام فإذا هم بشئ فعله كما يقول المؤرخون^(٩٣).

*أثر الثورة على الحياة في مصر:

كان لهذه الثورة — التي بدأت قولية وانتهت بالصدام المسلح بين العبيد والمصريين — أثر كبير على اقتصاد مصر؛ فقد احترق من "مدينة الفسطاط" ثلاثة، ونُفِّي ما يقرب من نصفها^(٩٤)، كما أخذت كثيرون من النساء أسرى ووُقعت الفاحشة بهن من العبيد، ومنهن من قتلت نفسها خوفاً من العار والفضيحة. وما هو جدير بالذكر؛ إن المصريين ذهبوا إلى قصر الحاكم، وطلبو منه أن يخلص النساء من يد العبيد، ولما لم يستجيب لهم، قام الناس بسبه وتخربوا عليه، حتى قال بعضهم له: "أراك الله في أهلك وولدك مثل ما رأينا في أهلانا وأولادنا"^(٩٥) وهذا يدل على جرأة المصريين ويدل على عدم خوفهم من الحاكم.

كذلك كان من أثر هذه الثورة: كثرة القتل من المصريين والعبيد، واستبداد طائفة العبيد على باقي طوائف الجيش. وإن لم تظهر نتائج ذلك في خلافة الحاكم، ولكنه ظهر بوضوح في خلافة ولده الظاهر لإعزاز دين الله.

ومن صور المقاومة القرولية — أيضًا — طعن المصريين في نسب الحاكم بأمر الله ويدو أن الخلفاء الفاطميين قد قاسوا كثيراً من هذه القضية. فقد استغل المصريون محضر الطعن الذي أصدره الخليفة العباسي القادر بالله في شهر ربيع الآخر (٤٠٢هـ/١١١٠م) ضد الحاكم، حيث تناول المحضر الطعن في نسبه، وأتهم الخلفاء الفاطميين بالكفر والزندة، وتعطيل حدود الإسلام، وأتهم الحاكم بأنه يدعى الإلهية^(٩٦). ورغبة من الخليفة القادر بالله في أن يكون لهذا المحضر أثره ولا يتسرّب الشك إليه. وقع عليه كبار العلوين والقضاة والفقهاء^(٩٧) وأرسلت نسخ منه إلى معظم الآفاق، ومنها مصر. فتأثير المصريون بهذا المحضر لدرجة جعلت الحاكم يردد في

كل يوم جمعة من على منبره: "نحن أفضل من خلفاء بني العباس؛ لأننا من ولد فاطمة بنت الرسول _ صلى الله عليه وسلم" ^(٩٨)

فكتب المصريون إليه رقعة علقت على المبر — من شعر ابن يزيد — جاء

فيها:

يتلى على المبر في الجامع	إن سمعنا نسباً منكراً
فاذكر أباً بعد الأب الرابع	إن كنت فيما تدعى صادقاً
فانسب لنا نفسك كالطانع	إن ترد تحقيق ما قلته
يقصر عنها طمع الطامع ^(٩٩)	أو فدع الأنساب مستورة

وبعد هذه الأبيات انتهى الحكم من ذكر نسبة وشرفه. ولم يكتف المصريون بالأبيات السابقة؛ فعندما كثر قتل الحكم، وزاد عسفه وظلمه قام المصريون بتعليق ورقة على منبره في يوم الجمعة، جاء فيها:

ليس بالكفر والحمامة	بالظلم والجور قد رضينا
فقل لنا كاتب البطاقة ^(١٠٠)	إن كنت أعطيت علم غيب

فأبطل الحكم ادعاء الغيب. وهذه الأبيات تدل على جرأة المصريين في هجاء الحكم. وهكذا نجح المصريون في استخدام سلاح الشعر — الهجاء — في السخرية من الحكم، وفي التخفيف من الظلم الواقع بهم.

كذلك يدخل في باب المقاومة القولية، النصح للخلفية، وتقديم المشورة له. فقد ذكر المؤرخون^(١٠١): إن الحكم بأمر الله كان جالساً في قصره، وحوله أعيان، دولته. فقرأ عليه بعض الحاضرين قوله تعالى: "فلا وربك لا يؤمرون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً"^(١٠٢). وكان القارئ يشير إلى الحكم بأمر الله. وعندما فرع من القراءة، قام رجل من أهل السنة يعرف بابن المشجر فقرأ قوله تعالى: "يا أيها الناس ضرب مثل

فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوه ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنفذوه منه ضعف الطالب والمطالب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز^(١٠٣).

فلما انتهي الرجل من قراءته تغير وجه الحكم. ثم أمر لابن المشجر بمائة دينار، ولم يأمر الآخرين بشيء. وإن كان بعض رجال القصر قد نصحوا ابن المشجر بالسفر خوفاً من بطش الحكم. واستجاب الرجل وخرج للحج، ومات في الطريق.

وهكذا رأينا أن أساليب مقاومة المصريين القولية قد تعددت أشكالها من عمل امرأة من القراطيس استهزاء بالحاكم، إلى تعليق الأبيات على منبره يوم الجمعة، إلى النصح له في مجلسه. وهذا النوع من المقاومة يدل على ذكاء المصريين الذين، "لهم خبرة بالكيد والمكر، وفيهم بالفطرة قرة عاليه وتلطف فيه.. حتى صاروا مضرب المثل فيه بين الأمم"^(١٠٤)

المبحث الرابع

(الثورات الدينية)

تعددت ثورات المصريين في عصر الحكم بأمر الله (٣٨٦ - ٩٩٦هـ / ١٠٢٠م) فهناك الثورات السياسية، والاقتصادية، والطائفية، والدينية. ونقصد بها تلك الاحتجاجات التي قام بها أهل السنة، أو أهل الذمة، ضد أوامر الحكم. كما تشمل الاشتباكات التي كانت تحدث بين الشيعة والسنة، خاصة ونحن نعلم أن الدين كان له أكبر الأثر في نفوس الناس في ذلك الوقت، فسرعان ما تثور ثائرة الناس إذا مس عقيدتهم أو شعائرهم الدينية شيء.

(أ) ثورات أهل السنة:

قامت سياسة الحكم في بداية خلافته على اضطهاد أهل السنة، والتشدد ضدهم في إصدار الأحكام، فتجده بعد أن آل إليه زمام الحكم، بعد أن تخلص من برجوان عام (٩٩٩هـ / ٣٩٠م) يصدر أحكاماً كثيرة، تدل على تعصبه للمذهب الشيعي؛ ومنها: أنه أعاد صلاة القنوت، وأمر بقطع صلاة التراويح، والضحى، وأضاف إلى الآذان عبارة "محمد وعلياً خير البشر" ^(١٠٥) كما أمر بالتشويب في الدعاء. وبدأت سياسة التشدد ضد أهل السنة منذ عام (١٠٠٠هـ / ٣٩١م) عندما قبض على رجل من الشام قال: لا أعرف علي بن أبي طالب، والتي - صلي الله عليه وسلم - نبي مرسى، فحبس ثلاثة أيام، ثم قتل بعدها ^(١٠٦) وصلب. وفي (٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) قبض على رجل من أهل السنة في دمشق فضرب ضرباً شديداً، وطيف به على حمار، وكان ينادي خلفه "هذا جزاء من يحب أبي بكر وعمر" ^(١٠٧) ثم قتل بعدها. وفي عام (٣٩٤هـ - ١٠٠٣م) قبض على ثلاثة عشر رجلاً، وضرروا، وشهروا على الجمال، ثم صلبوا ثلاثة أيام لأنهم أدوا صلاة الضحى في المسجد. وفي عام (٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) بلغ التشدد أقصاه، حيث أمر بسب أبي بكر وعمر -

رضي الله عنهم - وبعض الصحابة كطلحه، والزبير، وام المؤمنين عائشة، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص - رضي الله عنهم أجمعين - . وأمر بكتابة ذلك على أبواب المساجد والجوامع، وفي الشوارع والطرقات والأسواق الحوانيت، وعلى المقابر، ولو نه بالأصباغ والذهب^(١٠٨). ثم كتب إلى العمال سجلاً بذلك، ثم أبطل العمل بالذهب الشافعي، السائد في مصر، وأمر بالعمل بالذهب المالكي، وقرب منه علماء المالكية، ولكنه ما لبث أن انقلب عليهم، فقتل كثيراً منهم^(١٠٩) بدون ذنب. وبلغ الشدد أقصاه، حين أمر الحكم بعدم خروج الناس بعد العشاء، وأن تتوقف حركة البيع والشراء. وتشدد مع النساء فمنعهن من الخروج إلى الأسواق، ومن خرجت منهن كان جزاءها القتل. وبالفعل؛ عم الفزع والخوف البلاد، ولم يسلم منه أحد، وبات كل إنسان خائفاً على نفسه. مما جعل المؤرخين يصفون الحكم بأنه كان: "سفاكاً للدماء، قيل كثيراً من كبار دولته صبراً"^(١١٠).

وأمام هذا الاضطهاد الديني، انقسم الشعب المصري إلى فترين:
الأولي: قامت باعتناق المذهب الشيعي، خوفاً من ظلم الحكم وبطشه، حتى تسارع الناس إلى اعتناق المذهب الشيعي، فعم البلاد، وكان القاضي عبد العزيز بن محمد بن النعمان يجلس لشرح الدعوة الفاطمية، ولشدة الزحام خصص يوم الأحد للرجال، ويوم الأربعاء للنساء، ويوم الثلاثاء للأشراف والساسة. وكثيراً ما كان الناس يموتون من شدة الزحام^(١١١) أثناء حضور المجلس.

أما الفتنة الثانية: فلم توافق على تصرفات الحكم، وكانت ساخطة عليه وقامت بالثورة كبيرة ضده في مدينة الفسطاط^(١١٢). وأمام خوف الحكم وخشيته من تفاقم الثورة، أظهر ميله إلى أهل السنة، وترك لهم حرية أداء شعائرهم.

*أثر الثورة على الحياة الدينية:

كان لثورة أهل السنة في الفسطاط أثر كبير على الحياة الدينية، فقد أمر الحاكم في عام (٣٩٦ هـ / ١٠٠٥ م) بعدم سب أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وأمر بضرب عنق من يقوم بذلك، ومنع الناس من الحضور إلى القصر لسماع مجالس الدعوة الفاطمية . وفي عام (٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ م) أمر بمحو السب من أبواب المساجد، وأمر صاحب الشرطة أن يلزم كل صاحب دار بمحو ما كتب على جدرانه، كما أمر بضرب وتشهير من سب الصحابة. وبالفعل، ضرب رجل وشهر ونودي عليه: (هذا جزاء من سب أبي بكر وعمر). وفي عام (٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) كان الحاكم يفقد بعض الأماكن فإذا وجد شيئاً مكتوباً بسب الصحابة أنكره؛ ووقف حتى قلع. وأمر بتبعي الألواح التي فيها شيء من ذلك فقلت كلها ومحيت^(١١٣).

وبخلول عام (٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م) خفف الحاكم من الإجراءات التي اتخذها ضد أهل السنة فترك لهم الحرية الدينية في أداء شعائرهم؛ فقام الناس على رؤية الحلال، وكبروا على الجنائز أربع تكبيرات، ثم قام بتعيين القاضي السنوي أحمد بن أبي العوام الحنبلي قاضياً على مصر، وسائر الولايات الفاطمية.

وهكذا يتضح لنا أن تشدد الحاكم ضد أهل السنة بلغ أقصاه عام (٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م)، وبقيام ثورة أهل السنة في الفسطاط في عام (٣٩٦ هـ / ١٠٠٥ م) نجد الحاكم ينهى عن سب الصحابة، ويتشدد في ذلك، بل ويامر بعقاب من اترف شيء من هذا. وهكذا؛ احتفظ المذهب السنوي بسيادته في أرض مصر.

(ب) مسألة الوهية الحاكم بأمر الله وموقف المصريين منها:

من القضايا الهامة في التاريخ الفاطمي مسألة تأليه الحاكم بأمر الله. ويبدو أن هذه القضية قد مرت بعدة مراحل، أولها: إن الحاكم كان يرسل الجواسيس والعيون

من الرجال والنساء في كل مكان، ويدخلون دور كبار رجال الدولة، يراقبون حركاتهم، ثم يخبرهم بما في اليوم التالي ليعلمهم أنه واقف علي تصرفاتهم^(١٤). مدعياً علم الغيب. و في المرحلة الثانية: تطورت هذه المسألة وبدأت في الظهور منذ عام (٣٩٦هـ / ١٠٠٥م) حيث أمر الناس إذا ذكر اسمه أن يقف الجميع على الأقدام صفوياً تعظيماً لذكره واحتراماً لاسمها. وأمر أهل مصر علي وجه الخصوص إذا قاموا خروا ساجدين، حتى إنه كان يسجد بسجودهم من في الأسواق. المرحلة الثالثة: هي ادعاء الحاكم الألوهية صراحة. فقد حضر إلى مصر بعض دعاة الشيعة من بلاد الفرس، واختلف هؤلاء إلى مجالس الدعوة الفاطمية، وما لبثوا أن اعتنقاً المذهب الشيعي، وخرجوا علي تعاليم المعتدلين من الإسماعيلية. وكان أعظم هؤلاء الدعاة تأثيراً في عصر الحاكم: حمزة بن علي الروزني، وحسن بن حيدرة الفرغاني (الأخرم)، ومحمد بن إسماعيل البخاري (الدرزي).

كان حمزة بن علي في بادئ الأمر عاملاً يشتغل بصنع اللباد^(١٥) في فارس، وقدم إلى مصر سنة (١٠١٤هـ / ٤٠٥م) ثم انضم إلى الدعاة الذين كانوا يتواجدون علي دار الحكمة التي أنشأها الحاكم في عام (٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) وأخذ ينشر سرّاً الدعوة إلى تالية الحاكم. ثم جهر بالدعوة عام (٤٠٨هـ / ١٠١٧م) فاجتمع إليه طائفة من متطرفي الشيعة الإسماعيلية. وأولاد الحاكم رعايته حتى إنه كان كثيراً ما يلتقي به في القرافة، يرحب به ويانصاره أحسن ترحيب^(١٦).

ثم ظهر الحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف (بالآخرم) وكان من أعون حمزة بن علي، وظهرت دعوته (٤٠٩هـ / ١٠١٨م) وكان يري حلول الإله في الحاكم، ويتكلّم في إبطال النبوة، فأسقط اسم الله - عز وجل - واسم النبي - صلى الله عليه وسلم - واعتبر التزيل والتأويل والتشريع خرافات وقشور. وللأسف بدأت هذه الدعوة - الفاسدة - تجد لها أتباعاً من عوام الناس، حتى كان الواحد فيهم يلقي

الحاكم فيقول له: "السلام عليك يا واحد، يا أحد، يا محي ما ميت". ثم زاد الأمر سوءاً، فأصبح للأخرم دعاء يعملون علي نشر مذهبه بين الناس. وما هو جدير بالذكر، إن أهل الدمة قد استغلوا هذه الدعوة - وكان الحكم قد شدد قبضته عليهم - فكان الواحد فيهم إذا لقي الحكم قال له: إلهي قد رغبت في شريعتي الأولى، فيقول له الحكم: "أفعل ما بدارك" فيرتد عن الإسلام. ثم استدعي الحكم الأخرم إلى قصره، وخلع عليه خلعاً سنية، وجعل له خدماء يسيرون في ركبته، واكتسب عطف الحكم ورعايته. وذهب الأخرم إلى جامع عمرو بن العاص، وأعلن دعوته بتالية الحكم. فأثار حديثه غضب السنين، فرفعوا شكوكاً لهم إلى القاضي أحمد بن محمد بن العوام إمام المسجد.

ثار القاضي في وجه أتباع الأخرم وتبعه في ذلك الحاضرون، فانقضوا عليهم ثم استقر رأيهم على التخلص من الأخرم. لكنه عُذِن من النجاة بنفسه، فظلووا يتعقبونه حتى قام أحد السنين بقتله^(١١٧). وذهب أهل السنة إلى دار الأخرم فهبوه وأخذوا جميع ما كان به.

لم تنته الدعوة بقتل الأخرم، حيث ظهر داعي جديد يسمى "محمد بن إسماعيل البخاري" المعروف بالدرزي، وسي نفسه "سند الهدىين وحياة المستحبين"، وحظي بعطف الحكم ورعايته حتى عُرف بعلام الحكم، ورتفع مرکزه حتى إن القواد وكبار رجال الدولة كان يقفون على بابه. ثم وضع لأتباعه كتاباً أسماه "الدستور" وبررور الوقت زاد أتباعه حتى بلغ عددهم ستة عشر ألفاً، وارتکبوا ما يسيء إلى الإسلام، بل ما يخرج عن الإسلام - أصلاً - مثل: تلطيخ القبلة، والبول على المصحف، وكانتوا يبيحون البنات والأمهات والأخوات، ويرتكبون الفواحش ما ظهر منها وما بطن. وبعث الدرزي رجالاً من أتباعه قاموا بضرب الحجر الأسود في الكعبة، ودخل الدرزي الجامع الأزهر وقرأ على أتباعه كتاب "الدستور" ثم ذهب إلى المسجد العتيق، وقدم للقاضي أحمد بن العوام رسالة جاء فيها: "باسم الحكم الرحمن

الرحيم^(١١٨)" فلما قرأها القاضي ثار في وجهه، وسخط المصريون السنيون من الشيعة، وعمت الثورة البلاد، وذهب الثوار إلى منزل الدرزي، فقاموا بنهبه، وقتلوا أربعين رجلاً من أتباعه.

أما الدرزي فقد اختلف المؤرخون في مصيره. فالبعض^(١١٩) يذكر أن الدرزي فر إلى قصر الحاكم، الذي دبر له سبيل الفرار بعد أن أمدته بالأموال، وقال له: أخرج بي الشام وانشر الدعوة في الجبال، فإن أهلها سريعاً الانقياد. وسرعان ما رحل الدرزي عن مصر، ونزل بجبال لبنان، وهناك أخذ ينشر دعوته إلى تالية الحاكم. ونكن بفضل حجته أن يستميل إلى جانبه كثيراً من الأنصار الذين عرفوا فيما بعد باسم الدرزية^(١٢٠). بينما يذكر البعض الآخر^(١٢١): إن أهل مصر قتلوا الدرزي في أثناء الثورة. فقام الحاكم بقتل سبعين رجلاً منهم. وهناك رواية^(١٢٢) ثالثة تقول: إن الدرزي قُتل في إحدى المعارك عام (٤١٠ هـ / ١٠١٩ م).

وما هو جدير بالذكر، أن جل المصريين — جمِيعاً — عارضوا هذه الدعوة بما فيهم الشيعة أنفسهم؛ حتى إن أحمد بن حميد الدين الكرماني وضع رسالة بعنوان "الرسالة الوعاظة في الرد على الأخرم الفرغاني" يدحض فيها فكرة تالية الحاكم ويفندها، يثبت عقيدة الإمامية في الله الذي لا إله إلا هو.

ولنا سؤال آخر: هل أدعى الحاكم بأمر الله الألوهية فعلاً؟ أم إن هذه الدعوى كانت من أعدائه السنيين؟

يظهر لي أن الحاكم على الرغم من تطرفه في بعض الأحكام التي أصدرها ضد أهل السنة لم يدع الألوهية، وذلك لعدة أسباب:

أولاً: أن الحاكم — في قرارة نفسه — كان يعلم أن هذه المسألة ستقابل من المسلمين بالثورة الجامحة، فمن المؤكد أن الشعب — عادة — قد تغاضى عن هفوات الملوك، وتصرفاً قسم الإدارية والسياسية، ولكنها لا تتغاضى

— مطلقاً — عن العبث بالعقائد التي هي أصول الدين. والشعب المصري سفي شديد التمسك بعقيده. يقول بن خلدون: " ولا يقوها (اللهوية) ذو عقل، ولو صد من الحكم بعض ذلك لقتل لوقيه" ^(١٢٣). ثانياً: لم يصلنا من — مصدر تاريخي — نص واحد يشير إلى أن الحكم نفسه قال: إنه هو الإله، وإنما قالها غيره من الأفاقين الذين وفدوا إلى مصر. وما ذكره جل المؤرخون في هذا قولهم: " يقال إنه (الحاكم) أراد أن يدعى اللهوية كفرعون وشرع في ذلك فخوفه خواصه بخروج الناس عليه وزوال دولته فانتهي عن ذلك" ^(١٢٤).

ثالثاً: ذكر كثير من المؤرخين ما يدل على ثبات عقيدة الحكم في الإيمان بالله تعالى وحده، وينفي عنه دعوى اللهوية. ففي سنة (٤٠٢ هـ / ١٠١١ م) في الناس عن تقبيل الأرض بين يديه، ومنع من تقبيل ركباه " ويديه عند السلام عليه، كما منع من مخاطبته في المكابات بلفظ " سيدنا وموانا " ولا يخاطب إلا بأمير المؤمنين فقط. كما كان يصلى في كل جمعة على النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا غرابة في ذلك فهو القائل: أصبحت لا أرجو ولا أنتقي " إلا إلهي وله الفضل. المال مال الله عز وجل، والخلق عباد الله، ونحن أمناؤه في الأرض" ^(١٢٥). وهذا الكلام لا يصدر من مدع اللهوية، إنما يصدر من هو أقرب إلى الزهد والورع.

*أثر الثورة:

أولاً: كان لثورة المصريين السينين أثر كبير على الحياة الدينية: أثبتت أن الشعب المصري لم يقبل هذه الدعوة الباطلة، بل قاومها بكل الوسائل، ونجحت ثورته

في طرد أذيالها من مصر، وبقي المذهب السني نظيفاً نقياً يشهد على إيمان المصريين الشديد بالله تعالى.

ثانياً: أن المصريين كانوا ينظرون إلى الحاكم نظرة ازدراء، حتى إن بعضهم تجرأ عليه بالسب واللعن الذي وصل إلى أعماق الريف المصري^(١٢٦).

(ج) ثورات أهل الذمة:

كان أهل الذمة طبقة من طبقات المجتمع المصري، وقد تعموا بنفوذ كبير في زمن الخليفة العزيز بالله (٣٦٥-٩٧٥هـ / ٩٩٦-١٠٢٠م) مما أثار حفيظة المسلمين فشاروا ضدهم. وبعد تولي الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ / ١٠٢٠م) الخليفة الفاطمية، أهمله كثير من المؤرخين بالتعصب للمذهب الشيعي، واضطهاده لأهل الذمة^(١٢٧) حتى كان يتشدد معهم في المأكل والملبس والركوب.

ويقتضينا الإنصاف أن نوضح حقيقة هامة تتعلق بالحاكم بأمر الله، ألا وهي: إنه لم يتشدد مع أهل الذمة فقط، بل كانت أحكامه تصدر لجميع فئات المجتمع المصري سواء المسلمين أو الذميين. بالإضافة لذلك، كان لأهل الذمة دور بارز في إدارة البلاد في خلافة الحاكم، حيث كان منهم الوزراء، والكتاب وعمال الخراج، وغيرهم. ونذكر من هؤلاء: عيسى بن نسطورس، وأبا العلاء فهد بن إبراهيم الذي لقب بالرئيس، ومنصور بن عبدون الذي لقب بالكافي، وزرعة بن نسطورس.

ولقب بالشافي، وصاعد بن عيسى بن نسطورس ولقب " بالأمير الظاهر شرف الملك تاج المعالي ذو اليدين".

كذلك عمل في بلاط الحاكم كثير من الأطباء الذميين، نذكر منهم: أبو الفتوح منصور بن سهلان بن مقشر الذي كانت له الحظوة عند الحاكم، حتى أنه لما مرض زاره. والطبيب المعروف بالخفير النافع^(١٢٨).

ويبدو لي: إن أهل الذمة قد استغلوا نفوذهم، وكثرت أموالهم، فتسلطوا على المسلمين، و"أصبحوا آفة عليهم، عدة للنصارى" ^(١٢٩) كما يقول المقريزى. وأخذوا يسيطرون للمسلمين، وكانوا يتظاهرون بشرب الخمر، ولعب الميسر، والفسق والفحور، ويقومون برفع الصليب، ويرفعون أصواتهم بالترليل والقراءات في الإنجيل. وقاموا ببناء الكنائس والأديرة بالقرب من المساجد، كما كان يجتمع اليهود في حارة الجودرية ^(١٣٠) ويفنون بالفاظ تسيء للإسلام والمسلمين. وكانوا يرددون.

وأمه قد ضلوا ودينهم معتل قال لهم نبيهم نعم الإدم اخل ^(١٣١)

ويسخرون من المسلمين. وما لا شكل فيه؛ أن هذه الأفعال كانت تثير حفيظة المسلمين. ففي عام (٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م) عندما شرع النصارى في بناء كنيسة لهم، ثار المسلمون عليهم وقاموا بهدمها ^(١٣٢)، وأمام ثورة المسلمين رأى الحاكم أن يقلل من نفوذ أهل الذمة. وقد مر ذلك بعدة مراحل، نجملها فيما يلى:

أولاً: منع احتفالات القبط ففي (٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م) منع الاحتفال بعيد الغطاس وأبطل ما كان يحدث فيه من فجور وعصيان، وفي عام (٤٠٢ هـ / ١٠١١ م) منع الاحتفال بعيد الصليب، وأبطل الرسوم التي كانت تقوم فيه.

ثانياً: أمر الحاكم بالتشدد مع أهل الذمة في الملبس والركوب للتمييز بينهم وبين المسلمين، ففي عام (٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) ألزم أهل الذمة بشد الزئار، وليس الغيار، والعمائم السود على رؤوسهم. وفي عام (٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) منعهم الحاكم من ركوب الخيل، وأن يقتصر ركوبهم على البغال والخيول بسرور وجلم غير محلاة بالذهب والفضة، وأمر النصارى أن يحملوا في أعناقهم صلياناً خشبية طوها شيئاً، ثم أمر أن تكون ذراعاً، وزنتها خمسة أرطال وتكون مختومة بخاتم رصاص ^(١٣٣)، وتعلق في رقبتهم بحبل من ليف، وأمر اليهود أن يحملوا خشبة على شكل رأس عجل، وجعل لهم حمام خاصة بهم.

ثالثاً: أمر الحكم بِهدم الكنائس والديارات، ففي عام (٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) كتب إلى جميع عمال الأقاليم بتمكين المسلمين من هدم الكنائس ونبْرَّ ما فيها، وقام المسلمون بالاستيلاء على أموال الكنائس، وهدمها، وإقامة المساجد مكانها.

ومن ذلك أنه عندما قام النصارى ببناء كنيسة لهم في مكان راشدة، ثار المسلمون في الفسطاط ووصلت أنباء الثورة إلى الحكم، فأمر القائد حسين بن جوهر بالنظر في الأمر، ومال إلى النصارى في حكمه. ولكن الحكم أمام ثورة المسلمين، أمر بِهدم الكنيسة وبناء مسجد مكانها سمي بمسجد راشدة، وظل هذا المسجد موضع اهتمام الحكم حتى توفي (٤١١ هـ / ١٠٢٠ م). ثم قدم الحكم على خطوة أكثر جرأة؛ وهي هدم كنيسة القيامة^(١٣٤) التي في بيت المقدس. وكانت هذه الكنيسة يعظمها الأقباط ويحجون إليها كل عام، وكان النصارى يقومون بأفعال غريبة لفتة المسلمين. وعندما علم الحكم بذلك أرسل إلى والي الرملة قائلاً له: "خرج أمر الإمامة إليك يهدم كنيسة القيامة فاجعل سماها أرضًا وطوها عرضًا"^(١٣٥) فلما علم القبط بذلك أخرجوا من الكنيسة ما كان فيها من ذهب وفضة وجواهر، ولم يستول رجال الحكم إلا على القليل، وهدمت أجزاء من الكنيسة.

وما هو جدير بالذكر؛ أن الحكم لم يقدم على هذه الخطوة، إلا بعد أن علم إن الإمبراطور البيزنطي قد هدم المسجد الجامع في القدسية، ومع ذلك فإن الحكم بأمر الله لم يهدم كل الكنائس التي في أرض الدولة الفاطمية. وإن كان ابن تغري بردي يقول: "لم يبق في ولايته ديراً ولا كنيسة إلا هدمها"^(١٣٦) فإنما مبالغة منه. وعلى العموم فقد بلغ ما هدم من الكنائس خلال تلك الفترة (٤٠٣ هـ - ١٠١٢ هـ / ٤٠٥ م) ما يقرب من "ثلاثين ألف بيعة"^(١٣٧).

وأمام إجراءات الحكم السابقة، وتشدده ضد أهل الديمة، انقسموا إلى فريقين؛ أولهما: تظاهرات بالدخول في الإسلام - خوفاً من بطش الحكم - وتضيق العامة عليهم في الطرقات. ثانيهما: لم تستسلم بل كانت تقاوم. وظهرت ثورتهم في شوارع القاهرة و الفسطاط حتى اجتمعوا تحت قصر الحكم، وارتقت أصواتهم بالشكوى، وكانوا يستغيثون به أن يخفف عنهم هذا العنا، فاستجاب لهم، وانتهت ثورتهم بذلك.

*أثر الثورة على الحياة الدينية:

كان هذه المقاومة القوية، والثورة الكلامية أثر كبير على حياة أهل الديمة. حيث أصدر الحكم في عام (٤١١هـ / ١٠٢٠م) سجلاً سمح فيه لأهل الديمة بعمارة كنائسهم، وإعفائهم من لبس الغيار وحمل الصليب. كما سمح لهم بضرب النواقيس في الكنائس، وأذن لمن أراد العودة منهم إلى دينه، وقال: "نره مساجدنا أن يدخلها من لا نية له، ولا يعرف باطنه" ^(١٣٨) ويقال: إنه ارتد أكثر من سبعة آلاف يهودي في يوم واحد. ورجع إلى مصر كثير من اليهود والنصارى الذين غادروا البلاد. وهذه الإجراءات جعلت مؤرخي أهل السنة يتهمون الحكم بالميل إلى النصارى والمرور عن الإسلام.

وأخيراً: يمكن القول؛ إن أهل الديمة قد عاشوا خلال العصر الفاطمي — وقبله — في هدوء وسلام وتمتعوا بحربيتهم الدينية والدينوية، وأن تشدد الحكم معهم كان في فترة وجيزة. ولم تكن هذه الإجراءات ضد أهل الديمة فقط، بل كان يتشدد مع كل طائف المجتمع المصري.

هوامش الفصل الثالث:

- ابن خلkan: وفيات الأعيان، جـ٥، ص٢٩٢، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ١، ص١٣١، مير أعلام البلااء، جـ١٥، ص١٧٣، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص٤٠٨، المقريزي: اتعاظ الخلفاء، جـ٢، ص٣، الخطط، جـ٤، ص٦٨، ابن تغري بردي: التحوم الراحلة، جـ٤، ص١٧٦.
- د/ عبد المنعم ماجد: الحكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م، ص١٠٨.
- د/ مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص٢٢٥.
- ٤- ابن تغري بردي: التحوم الراحلة، جـ٤، ص١٨٦.
- ٥- المقريزي: اتعاظ الخلفاء، جـ٢، ص٤٧-٥٩.
- ٦- المقريزي: نفس المصدر، نفس الجزء، ص٤٧.
- ٧- ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٤٨، ابن أبيك: الدرة المضيّة، جـ٦، ص٢٧١، ابن تغري بردي: التحوم الراحلة، جـ٤، ص٢٠٤.
- ٨- أبي شجاع: ذيل تحارب الأمم، جـ٣، ص٢٣٨، ابن القلائسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٦٢.
- ٩- التوري: نهاية الأربع، جـ٨، ص١٧٤، ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص٥٧.
- ١٠- ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٤٨، المقريزي: اتعاظ الخلفاء، جـ٢، ص١٩.
- ١١- د/ سورور: سياسة الفاطميين الخارجيين، ص٢٤٣.
- ١٢- ابن القلائسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٥١.
- ١٣- أبو الفدا: المختصر، جـ٢، ص١٣٨، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ١، ص٢٣٥، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ص٤٤٣، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص٤٣.
- ١٤- الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء، وكان من عادة الصوفية أن يحملوه معهم في أسفارهم. المعجم الوجيز، ص٢٧٧.
- ١٥- المقريزي: اتعاظ الخلفاء، جـ٢، ص٦٠، الخطط، جـ٤، ص٧٠.
- ١٦- ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص٤٢، المقريزي: اتعاظ الخلفاء، جـ٢، ص٦٠.
- ١٧- الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ١٠، ص٢٣٥، ابن تغري بردي: التحوم، جـ٤، ص٢١٥.
- ١٨- المقريزي: اتعاظ الخلفاء، جـ٢، ص٥١.
- ١٩- المقريزي: اتعاظ الخلفاء، جـ٢، ص٦١، ابن تغري بردي: التحوم الراحلة، جـ٤، ص٢١٦.
- ٢٠- المقريزي: اتعاظ الخلفاء، جـ٢، ص٦٠.
- ٢١- ابن الجوزي: المسنظم، جـ٧، ص٢٣٣.
- ٢٢- ابن الأثير: الكامل، جـ٨.
- ٢٣- ابن الأثير: نفس المصدر، نفس الجزء، ص٤٣.
- ٢٤- المقريزي: اتعاظ الخلفاء، جـ٢، ص٦٣.

- ٤٤- ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص٤٤.
- ٤٥- ابن تغري بردي: النجوم الراحلة، جـ٤، ص٢١٢.
- ٤٦- المقريزي: انتظام الخلفاء، جـ٢، ص٦١.
- ٤٧- ابن أبيك: الدرة المضيئة، جـ٦، ص٦٧، ابن إياس: بدانع الزهور، جـ١، ق١، ص٢٠٢.
- ٤٨- يذكر بعض المؤرخين: أن الفضل بن صالح كان في جيش التوار، وأن الحاكم بعث إليه بمدية مقدارها خمسة وألف دينار، جعلت الفضل يتضمن للحاكم. ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص٤٣١، الصندي: الوالي بالولايات، جـ٢٤، ص٤٩.
- ٤٩- بركة الجيش: هي في ظاهر مدينة الفسطاط فيما بين الجبل والنيل، كانت من أرض الموات، فأحياناً قرية بن شريك، فعرفت ياسطبل قرية، ثم عرفت ببركة الجيش، وكانت تعرف = ببركة المعافر، أو ببركة حمير.
- ٤٥٢- المقريزي: الخطوط، جـ٣، ص٢٤٧.
- ٤٥٣- المقريزي: انتظام الخلفاء، جـ٢، ص٦٣، الخطوط، جـ٤، ص٧٠.
- ٤٥٤- ابن تغري بردي: النجوم الراحلة، جـ٤، ص٢١٦.
- ٤٥٥- ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص٤٥، أبي القداء المختصر، جـ٢، ص١٣٨.
- ٤٥٦- ابن الجوزي: المنظم، جـ٧، ص٢٣٤، التوبيري: نهاية الأرب، جـ٢٨، ص١٨٣، الذهبي: دول الإسلام، ص٢١١، ابن الوردي: تاريخ بن الوردي، ص٤٣، بن خلدون: العبر، جـ٤، ص٥٨ - ٥٩.
- ٤٥٧- ابن ظافر: أخبار الدولة المقطعة، ص١٢١، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ١٠، ص٢٢٥، ابن أبيك: الدرة جـ٦، ص٢٧٦، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص٤٣١، المقريзи: انتظام الخلفاء، جـ٢، ص٦.
- ٤٥٨- بنو الكتر: بطن من ربعة بن نزار، كانوا ينزلون بالمامة، وقدموا مصر في خلافة الترك العباسى حوالى عام ٤٤٠ (٩٥٧هـ) في عدد كثیر، ونزلت طائفة منهم بهالى الصعيد. المقريзи: البيان والأغراض، ص٤٥. امتدت دولة بنو الكتر من أسوان إلى كورسوك في جنوب مصر، وظلت على ولائها للفاطميين. وبعد قيام الدولة الأيوبية وفي عام (٩٦٠هـ) جمع كفر الدولة أهل أسوان وقصدوا القاهرة، يريد إعادة الدولة الفاطمية، فأرسل إليه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب جيشاً كثيفاً بقيادة أخيه "العادل" فانتصر عليهم، فرحلوا إلى جنوب مصر واستقروا في وادي حلقة. ابن الأثير: الكامل جـ١١، ص١٥٦، المقريзи: المقتني الكبير: جـ٧، ص٥٢٨ - ٥٢٩. الفرضي: تاريخ دولة الكتر الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٨٩ وما بعدها.
- ٤٥٩- ابن تغري بردي: النجوم الراحلة، جـ٤، ص٢١٦.
- ٤٦٠- ابن الأزدي: أخبار الدول المقطعة، ص١٢٢، ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص٤٦.
- ٤٦١- أبو القداء المختصر، جـ٢، ص١٣٨، ابن أبيك: الدرة المضيئة، جـ٦، ص٢٧٦، المقريзи: انتظام الخلفاء، جـ٢، ص٦٥.
- ٤٦٢- ابن القلاني: ذيل تاريخ دمشق، ص٦٦.
- ٤٦٣- ابن تغري بردي: النجوم الراحلة، جـ٤، ص١٧٩.
- ٤٦٤- المقريзи: انتظام الخلفاء، جـ٢، ص٦٣.

- ٤٣- ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول، ص ١٢٣ ، التبريري: نهاية الأربع، جـ ٢٨ ، ص ١٨٤ .
- ٤٤- ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٦ .
- ٤٥- دحلان: خلاصة الكلام، ص ١٧ ، ابن الجوزي، المنظم ، جـ ٧ ، ص ٢٠٢ ، المقريزي: المقتني الكبير، جـ ٣ ، ص ٣٥٠-٣٥٢ .
- ٤٦- الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ ١١ ، ص ٨ ، ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ٤٣٩ .
- ٤٧- ابن الأثير: الكامل، جـ ٧ ، ص ٤٨٢ ، المقريزي: الخطط، جـ ٣ ، ص ٢٥٦ .
- ٤٨- ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٢٥ .
- ٤٩- ابن الأثير: الكامل ، جـ ٧ ، ص ٤٨٢ .
- ٥٠- ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ٤٣٩ .
- ٥١- د/ ماجد: الحكم بأمر الله، ص ١٥٣ .
- ٥٢- ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٠٤ .
- ٥٣- ابن أبي اصبعية: عيون الأنباء، ص ٥٥١ ، ابن العبرى: تاريخ مختصر، ص ١٨٢ .
- ٥٤- د/ محمد عوض: فهر النيل، ص ٥٣ ، أمل لودفيغ: النيل حياة نهر ، ص ٩٠-٨٩ .
- ٥٥- د/ عمود عبد الفتاح شرف: مصر في عصر الحكم بأمر الله الفاطمي - سياسياً - رسالة دكتوراه، غير منشورة ، كلية اللغة العربية ، قسم التاريخ والحضارة ، جامعة الأزهر ، عام ١٩٨٢ م ، تحت رقم (١٨١٧) ، ص ١١٧ .
- ٥٦- ابن أبيك: الدرة المضيئة ، جـ ٦ ، ص ٢٦١ ، ابن تفري بردى: الجوم ، جـ ٤ ، ص ٩٩ = بينما ذكر ابن إياس أن الزيادة ١٦ ذراغاً و ٣ أصابع ، بدائع الزهور، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٠٤ .
- ٥٧- المقريзи: اتعاظ الخلفاء ، جـ ٢ ، ص ٥٨ ، المقريزي: الخطط ، جـ ٤ ، ص ٦٨ .
- ٥٨- المقريзи: نفس المصدر، نفس الجزء، ص ٥٩ ، بينما يذكر ابن أبيك: الدرة المضيئة، جـ ٦ ، ص ٢٧٣ ، وابن تفري بردى: الجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ١٣ ، أن الزيادة بلغت ١٦ ذراغاً و ثلاثة أصابع.
- ٥٩- المقريзи: نفس المصدر، نفس الجزء، ص ٥٧-٥٨ .
- ٦٠- المقريзи: الخطط، جـ ٤ ، ص ٧١ .
- ٦١- ابن أبيك: الدرة المضيئة، جـ ٦ ، ص ٢٧٥ ، ابن تفري بردى: الجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ٢١٧ .
- ٦٢- المقريзи: إغاثة الأمة ، ص ٤٥ .
- ٦٣- المقريзи: نفس المصدر، نفس الصفحة .
- ٦٤- المقريзи: اتعاظ الخلفاء، جـ ٢ ، ص ٦٩ .
- ٦٥- المقريзи: الخطط، جـ ٤ ، ص ٧١ .
- ٦٦- ابن أبيك: الدرة المضيئة ، جـ ٦ ، ص ٢٧٧ ، ابن تفري بردى: الجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ٤٢٠ .
- ٦٧- المقريзи: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ٧١ ، وكتابه: إغاثة الأمة ، ٤٥ .
- ٦٨- ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٠٥ .

- ٦٩- باب البحر: أحد أبواب القصر الفاطمي أنشأه الحكم بأمر الله، وظل هذا الباب قائماً حتى هدمه الملك الظاهر بيبرس البندقداري عام ٦٧٢هـ. المقريزي: الخطط، جـ٤، ص٢٩٤، ابن تفري بردي: الجروم الظاهرة، جـ٤، ص١٩٠-١٩٢، د/عبد الرحمن زكي: بنياء القاهرة، ص٤٥، د/سعيد عاشر: الظاهر بيبرس، ص١٦٧.
- ٧٠- يقع جنوب الفسطاط، ويحمل اسم قبيلته واشدة التي نزلت في هذا المكان أيام الفتح الإسلامي لمصر وقد بناء الحكم (٥٣٩٣هـ/١٠٠٢م) وكان كثير النهاب إليه والاهتمام به. المقريزي: الخطط، جـ٤، ص٦٣، وقيل نسب إلى السيدة رشيدة بنت المuez عمدة الحكم، ابن تفري بردي: الجروم الظاهرة، جـ٤، ص١٩٢، السيوطي: حسن الماضرة، جـ٢، ص٢٢١.
- ٧١- المقريزي: إغاثة الأمة، ص٦، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، فـ١، ص٢٠٥.
- ٧٢- أنظر تفاصيل هذه المجاعات في المقريزي: العاظ الخفا، جـ٢، ص٩٣، ١١٢، ١١٥.
- ٧٣- كان هذا الديوان يدخل في اختصاص ديوان التحقيق، وكان يتناوله كاتب خير، وكانت له المطلع والمربطة والحادي و كان يفتقر إليه في أكثر الأوقات. المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٤٢، د/ماجد: نظم الفاطميين، جـ١، ص١١٢-١١٣، د/سمير عبد الله سليمان: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي (٨٣٥-٥٦٧هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، ص٩٨.
- ٧٤- المقريزي: إغاثة الأمة، ص٤٣-٤٥.
- ٧٥- المقريزي: الخطط، جـ٤، ص٧١.
- ٧٦- د/المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، ص٢٤٥.
- ٧٧- ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة، ص٢٨-٢٩، المقريزي: المفقى الكبير، جـ٣، ص٤٣٦-٤٤٠.
- ٧٨- ابن خلkan: وليات الأعيان، جـ١، ص٢٧٠-٢٧١، الصندي: الوالي بالولييات، جـ١٠، ص١١٠.
- ٧٩- اليافعي: مرآة الجنان، جـ٣، ص٢٥.
- ٨٠- ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص٥٥، ابن أبيك: الدرة المضيئة، جـ٦، ص٢٦٢.
- ٨١- ذيل تحارب الأمم، جـ٣، ص٢٣١، ويدرك أنه قتل في عام (٩٩٩هـ/٢٨٩م). وانظر: ابن خلkan، وفيات الأعيان، جـ١، ص٢٧١، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص٤١٨.
- ٨٢- الخطط: جـ٣، ص٥.
- ٨٣- ابن ميسر: المشقى، ص١٨٢.
- ٨٤- العاظ الخفا، جـ٢، ص٢٧٢-٢٨، الخطط، جـ٣، ص٣٢-٣٣.
- ٨٥- المقريزي: نفس المصدر، جـ٢، ص٦٩.
- ٨٦- ابن الجوزي: المنظم، جـ٧، ص٢٩٧-٢٩٨، الذهي: تاريخ الإسلام، جـ١١، ص٢٣٧-٢٣٨، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١، ص٤٦٦، المقريزي: الخطط، جـ٣، ص١٦٥، ابن تفري بردي: الجروم الظاهرة، جـ٤، ص١٨١-١٨٢، ومورد اللطافة، جـ١، ص٢٧٦، السيوطي: حسن الماضرة: جـ١، ص٥٢٢.

- ٨٧- استخدام المصريون لهذا اللون من المعاشرة لي خلافة العزيز بالله، ونجحوا في رفع الظلم الواقع عليهم من أهل الذمة. ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٣، ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ٤٧٧.
- ٨٨- ابن تغري بردى: التحريم الزاهرة، ج ٤، ص ١٨١، متنالى ليبول: سيرة القاهرة، ص ١٣٦.
- ٨٩- ابن تغري بردى: نفس المصدر، نفس الجزء، ص ١٨٣.
- ٩٠- د/ ماجد: الحكم بأمر الله ، ص ٤٩.
- ٩١- ابن الجوزى: المنظم ، ج ٧، ص ٢٩٧ - ٢٩٨، ابن الأثير: الكامل ، ج ٨، ص ١٢٨، التويرى: نهاية الأربع، ج ٢٨، ص ٢٨٣، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٢٣٨-٢٣٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٤٦٦، ابن تغري بردى: التحريم الزاهرة، ج ٤، ص ١٨١.
- ٩٢- المقريزى: الخفط، ج ٣، ص ١٥٦.
- ٩٣- ابن أبي دينار: المؤنس، ص ٨٦، الإسحاقى: لطائف أخبار الأول، ص ٢٥٤.
- ٩٤- ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٣١ ، السيوطي: حسن المخاضرة، ج ١، ص ٥٢٢.
- ٩٥- ابن تغري بردى: التحريم الزاهرة ، ج ٤، ص ١٨٣.
- ٩٦- ابن الجوزى: المنظم، ج ٧، ص ٢٢٥، الياقونى: مرأة الجنان، ج ٣، ص ٤، السيوطي: حسن المخاضرة، ج ٢، ص ٣٨٣-٣٨٢، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٣، ص ١٦٢.
- ٩٧- وقع على هذا الخضر من العلوين: الرضى والمرتضى، ومن النصابة: أبي محمد بن الأكفانى، وأبو محمد الكشفى، والإمام أبو حامد الأسفراينى، وأبو الحسن القدروى وغيرهم. ابن الأثير، الكامل ، ج ٨، ص ٤٧٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١، ص ٤٤١.
- ٩٨- ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٢٠٨.
- ٩٩- ذكرت المصادر هذه الآيات مع اختلاف بسيط في الألفاظ، ابن خلkan: وفيات الأعيان ، ج ٥، ص ٣٧٣، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٠، ص ١٣١، الياقونى: مرأة الجنان، ج ٢، ص ٤٣١، ابن تغري بردى: التحريم الزاهرة، ج ٤، ص ١١٦، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٤.
- ١٠٠- ابن إياس: بدائع الزهور ، ج ١، ق ١، ص ٢٠٨.
- ١٠١- ابن خلkan: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٩٥، ابن تغري بردى: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ١٨٠.
- ١٠٢- سورة النساء، آية ، ٦٥.
- ١٠٣- سورة الحج، آيات ٧٣ - ٧٤.
- ١٠٤- المقريزى: الخفط، ج ١، ص ٨٠ - ٨٧.
- ١٠٥- ابن أبيك: الدرة المضيئة، ج ٦، ص ٣٨٧.
- ١٠٦- المقريزى: العاظ الخفاف، ج ٢، ص ٣٩.
- ١٠٧- أبو الفدا: المختصر، ج ٢، ص ١٣٦، ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٤٠٠.
- ١٠٨- ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ١٢٩، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٣، ص ١٩٣.
- ١٠٩- ابن أبيك: الدرة المضيئة، ج ٦، ص ٢٧٩، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٤١٤.

- ١١٠- ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٥، ص ٢٩٤، ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٦٩.
- ١١١- المقريزي: اتعاظ الخلفاء، جـ ٢، ص ٥٤، الخطط، جـ ٤، ص ١٥٤.
- ١١٢- د/ علي الخبوبطي: مصر العربية الإسلامية، ص ٢٢١.
- ١١٣- ابن الأثير: الكامل، جـ ٨، ص ١٢٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٥، ص ٢٩٦.
- ١١٤- المقريزي: اتعاظ الخلفاء، جـ ٢، ص ٥٤، الخطط، جـ ٤، ص ١٥٤.
- ١١٥- البداد: صناعة الصوف والشعر، الرمذري: أساس البلاغة، جـ ٢، ص ٣٢٩.
- ١١٦- د/ سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية، ص ٤٦.
- ١١٧- ابن الجوزي: المنظم، جـ ٧، ص ٢٣٠-٢٣١، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١١، ص ٤٢٩.
- ١١٨- الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ ١١، ص ٢٣٧، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، جـ ١، ص ٤٦٧.
- ١١٩- ابن تفري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ١٨٤.
- ١٢٠- مازالت هذه الدعوة منتشرة في بلاد الشام، ويعرف أتباعها باسم (الدرزية) وقد اخندوا لنفسهم جديداً يبدأ من عام ٤٠٨هـ / ١٠١٧م)، وهي السنة التي ظهرت فيها دعوي تالية الحكم، وهذه الطائفة تقسم إلى الرورحانيين والجشانيين. د/ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، جـ ٣، ص ٢١٣، / مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسلامية، ص ٢٢٥.
- ١٢١- المقريزي: اتعاظ الخلفاء، جـ ٢، ص ١١٨.
- ١٢٢- د/ ماجد: الحكم بأمر الله، ص ١٠٨-١٠٩.
- ١٢٣- ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٧٢.
- ١٢٤- ابن تفري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ١٨٤.
- ١٢٥- المقريزي: اتعاظ الخلفاء، جـ ٢، ص ٩٧، الخطط، جـ ٢، ص ٣٨٨.
- ١٢٦- د/ ماجد: ظهور خلافة الفاطميين، ص ٢٤٩.
- ١٢٧- ترتوش: أهل اللمة في الإسلام، ص ١٥٢.
- ١٢٨- كان من أهل مصر، يهودي المذهب، طبيب جراح، عاج الحاكم فأمر له بتألف دينار، وخلع عليه، وجعله من أطباء الخاصة. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ١٨٢، ابن أبي اصيحة: عيون الأنباء، ص ٥٤٩، القبطي: إخبار العلماء، ص ١٢٢-١٢٣.
- ١٢٩- الخطط، جـ ٣، ص ٤٨.
- ١٣٠- حرارة الجبودرية: تسب إلى جماعة عرفوا بالجبودرية، أيام العزيز بالله، وقيل تسب لإحدى طوائف العسكر أيام الحاكم بأمر الله وهي تقع الآن في المنطقة التي يكتفى بها شارع الجبودرية وفروعه. ابن أبيك: الدرة الفاطمية، جـ ٦، ص ١٤١، المقريزي: الخطط، جـ ٣، ص ٦-٧، ابن تفري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ٤٢.
- ١٣١- ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ١٩٨.
- ١٣٢- المقريزي: الخطط، جـ ٤، ص ٦٤.

- ١٣٣ - ابن أبيك: الدرة المضيئة، جـ٦، ص ٢٨٦.
- ١٣٤ - قامت بناء هذه الكنيسة الإمبراطورة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين العظيم عندما زارت أورشليم سنة ٣٢٦ فحدثها المطران مكاريوس عن حالة أورشليم السيدة، فقررت الإمبراطور تأسيس كنيسة القيامة The church of the holy sepulchre في الأماكن التي ارتد بها المسيح عليه السلام، وأصبحت لها مكانة عظيمة عند المسيحيين، وقد زار بعض الرحالة المسلمين هذه الكنيسة ومنهم المسعودي سنة ٩٣٤م، وناصر خسرو سنة ٤٧١م، والشريف الإدريسي سنة ١١٥٤م، ويطلق عليها "القديمة" لأنها كان حولها كومة من الدفن يلقى فيه آثار الآخرين من اللصوص . النهي: تاريخ الإسلام، جـ١٠، ص ٢٢٨، السوطى: حسن المعاشرة، جـ١، ص ٥٢١، ابن العماد الذهب، جـ٣، ص ١٥٠، د/ عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، ص ١٥٨ - ١٦٣.
- ١٣٥ - ابن القلاتسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٧.
- ١٣٦ - الشعوم الزاهر، جـ٤، ص ٧٧.
- ١٣٧ - المقريزي: الخطط، جـ٤، ص ٣٩٩.
- ١٣٨ - ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص ٤٣٤.

الفصل الرابع

الثورات في عهد الظاهر لإعزاز دين الله

(٤١١-٤٢٧ هـ / ١٠٣٥-١٠٢٠ م)

* مقدمة:

إن عصر الخليفة الظاهر كان امتداداً لعصر الخليفة الحاكم بأمر الله فقد ظهرت في خلافته الثورات السياسية والاقتصادية والطائفية وغيرها.

التعريف بالظاهر:

هو أبو الحسن علي بن الحاكم بن العزيز بن المعز، الملقب بالظاهر لإعزاز دين الله، ولد بالقاهرة عام (٤٣٩ هـ / ١٠٠٤ م) وكانت ولادته بعد أبيه بستة، لأن أباه (الحاكم) فقد في السابع والعشرين من شوال عام (٤١١ هـ / ١٠٢٠ م) وكان الناس يرجون ظهوره، ويبغون آثاره إلى أن تتحققوا من موته، فأقاموا ولده الظاهر، فولى الخلافة الفاطمية في يوم عيد التحرير (٤١١ هـ / ١٠٢٠ م) ولد ست عشرة سنة، وملك سائر ممالك والده، وقادت عمه ست الملك (ت ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م) بتدبير مملكته، وبذلت العطاء للجند، حتى استقام الأمر للظاهر، الذي يصفه المؤرخون: بأنه كان عاقلاً، سمحاً، جواداً، يميل إلى دين وعفه وحلم مع تواضع ، محباً للرعاية، يميل إلى اللهو والغناء، ويحب الدعوة والراحة، توفي في شعبان (٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م) وعمره إحدى وثلاثين سنة، وكانت ولادته ست عشرة سنة وتسعين شهر.

الثورات في عهد الظاهر:

شهد عصر الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧هـ / ١٠٢٠-١٠٣٥م) كثيراً من الثورات منها السياسية، الاقتصادية ، الطائفية، الدينية. ولم تنعم البلاد في خلافته بالهدوء والرخاء والاستقرار ، بعد العناء الطويل الذي شهدته أيام الحاكم (٣٨٦-٤١١هـ / ٩٩٦-١٠٢٠م). وأستطيع القول: إن عصر الظاهر يعد فترة انتقالية بين عصر الخلفاء الأقرياء ، والخلفاء الضعفاء، بين عصر قوة وسيطرة الخلفاء، وبين عصر قوة وسيطرة الوزراء. ولا نتجاوز الحقيقة إن قلنا: إن ثورات المصريين، كان لها دور في تحول الخلافة الفاطمية من عصر النفوذ المطلق للخلفاء، إلى عصر السلطة المستبدة، وأعني بما سلطة الوزراء.

المبحث الأول

(الثورات السياسية)

شهد عصر الظاهر قيام الثورات السياسية، وهي تنقسم إلى ثورات داخلية وهي كثيرة — مقارنة بعصر الحاكم بأمر الله — وخارجية، وشملت أماكن كثيرة من أراضي الخلافة الفاطمية. ولنبدأ بالثورات الداخلية.

أولاً: الثورات الداخلية:

لم يخل عصر الظاهر من الثورات الداخلية، تلك الثورات التي كانت تحاول قلب نظام الحكم، وخلع الظاهر من عرش الخلافة الفاطمية، وكذلك ثورات المصريين احتجاجاً على مقتل الحاكم. فضلاً عن حركات التمرد والعصيان التي ظهرت في الصعيد. والآن نتحدث بالتفصيل عن هذه الثورات:

(أ) ثورة الشعب المصري لقتل الحاكم بأمر الله:

أثارت مسألة فقد الحاكم بأمر الله مشكلة كبيرة بين طوائف المجتمع المصري، وبين رجال الجيش الفاطمي، وبعد ثلاثة أيام من غياب الحاكم ، خرجت جموع المصريين إلى جبل المقطم يبحثون عن الحاكم لعلهم يعشرون عليه، ولكنهم لم يجدوا شيئاً، فارسلوا إلى السيدة ست الملك يسألوها عن خليفتهم، فأجابتهم بأنه قد ذكر لها أنه سوف يغيب سبعة أيام، وسوف يعود ، وطمأنـتـ الثـائـرـيـنـ فـانـصـرـفـ الجـمـيـعـ فيـ سـكـونـ وـطـمـانـيـةـ.

وبعد انقضاء السبعة أيام لم يظهر الحاكم ، فبدأ الخوف يدب في قلوب المصريين، ويدو أنفس لم يقتنعوا بمسألة غيبة الحاكم، وأشيع بين الرعية أنه قتل، فخاف الناس على أرواحهم وأموالهم، لأنهم توقعوا حدوث فتنة بين طوائف الجيش، ومن ثم فقد هاجت القاهرة بالثوار، وعمت الثورة شوارع المدينة، واشتراك رجال كتامة مع المصريين في الثورة؛ واشتد خطر الثوار، فأمرت السيدة ست الملك أبا عروس -

متولي أبواب القاهرة - بعدم فتح الأبواب خوفاً من الثوار^(١). وبدأت ست الملك في ترتيب أمور الخلافة الفاطمية، فأخذت العهد من الجنود بحفظ الأمن والنظام، وفرقت الأموال على الخاصة، وأخذت عليهم الميثاق بالوقف إلى جانبها حتى يستقيم الأمر لها.

وفي اليوم السابع من الثورة، ألبست أبي الحسن علي بن الحاكم أفسر الشياط، ووضعت تاج الخلافة على رأسه، واركب مركب الخليفة المعز الفاطمي وخرج بين يديه أرباب الدولة، حتى وصل إلى القصر الفاطمي فصاح أبي الحسن عمار بن محمد بأعلى صوته: يا عبيد الدولة مولاتنا السيدة ست الملك تقول لكم: هذا مولاكم أمير المؤمنين، فسلم الجميع عليه، وقبلوا الأرض وارتقت أصواتهم بالتكبير والتهليل، واتخذ أبو الحسن لقب الظاهر لاعتزاز دين الله.

وأقبلت جميع طوائف المصريين لمبايعته بالخلافة فأنعم عليهم بالهدايا والمنح والأموال، وأقيم العزاء على الحاكم ثلاثة أيام، وانتهت ثورة المصريين، وعاد المدوع إلى شوارع العاصمة الفاطمية (القاهرة). ولما هر جدير بالذكر أن هذه الثورة لم يقتل فيها أحد سوي غلام تركي - كان يحمل الرمح بين يدي الحاكم - صالح في الناس: لا أبيع حتى أعرف خبر مولانا الحاكم، ولكن صاحب الشرطة قبض عليه، وبعد يومين من محبسه وجدت جثته في النيل. ويبدو لنا أن السيدة ست الملك هي التي دبرت قتل هذا الغلام المعارض الشائر ليستقيم الأمر للخليفة الظاهر، وتقضى على بقايا المعارضة في القصر الفاطمي.

ويبدو أن مقتل هذا الغلام التركي لم يكن يعني انتهاء المعارضة، حيث كان هناك عدو يترصد بالظاهر، ويتوعده بالتابع، وهو الحسين بن دواس الكسامي - الذي دبر مع ست الملك قتل الحاكم - وأصبح خطراً على الخلافة الفاطمية، لذلك رأت السيدة ست الملك ضرورة التخلص منه ، فدبرت مع نسيم الصقلاني خادم

القصر خطوة للإطاحة بالحسين بن دواس. واستدعت السيدة سنت الملك الحسين بن دواس إلى القصر الفاطمي لتدبر شتون الخلافة، وعندما حضر إلى هناك ، أوقفه نسيم الصقلي بين الجنود وصاح فيهم: يا عبيد مولانا أمير المؤمنين يقول لكم هذا قاتل مولانا الحاكم بأمر الله ، وضربه نسيم بالسيف، واجتمع العبيد عليه وقتلوه، ورميت جثته من أعلى شرفات القصر إرهاياً لأنصاره، الذين حضروا خارج القصر، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً وانصرفوا ولم يعرضوا فيه معترض^(٤) علي حد تعبير المقرizi.

(ب) معارضة عبد الرحيم بن إلياس:

تعد الإمامة أصلاً من أصول المذهب الإسماعيلي، الذي نص على أن تكون الإمامة في نسل أبناء علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - دون غيرهم، وهي تنتقل بالوراثة من الأب إلى ابن، وذلك لأنهم اعتنقو أن للإمام صفات وعلوم خاصة تنتقل بالوراثة كما تنتقل الصفات الخلقية تماماً^(٥).

وقد التزم الخلفاء الفاطميون منذ إقامة دولتهم بهذا النظام فكان كل خليفة يعهد لابنه بالخلافة (الإمامية) ، ولكن الحاكم بأمر الله (٤١١هـ / ١٠٢٠م) حاول مخالفة هذا المبدأ ، فأوصي بولالية العهد لابن عميه عبد الرحيم بن إلياس^(٦) عام (٤٠١٣هـ / ١٠١٣م) م ، وأمر الناس بالسلام عليه وضرب اسمه على السكة، ونقش على الطراز والبند ، كما كان ينوب عن الحاكم في الخطبة والصلوة، والنظر في المظالم، وبعث سجلاً إلى سائر الأقاليم بأخذ ولالية العهد لعبد الرحيم بن إلياس.

ولا يخفى علينا أن في هذه المحاولة هدم لركن هام من أركان المذهب الشيعي، وحدوث انقسام خطير بين أبناء المذهب الإسماعيلي، حتى أنها مناد بن باديس حاكم القيروان غصب من ذلك. وقال: " لو لا أن الإمام لا يعرض عليه في تدبير لكتابه إلا يصيغ هذا الأمر عن ولده إلى ابن عمته "^(٧) وفي عام (٤٠٩هـ / ١٠١٨م) عهد الحاكم لعبد الرحيم بولابة دمشق، فقويت شوكته بها، ورخص للناس ما كان الحاكم

منعه عنهم من شرب الخمر ، واستماع للملائكة ، وكان يتقرب لأهل دمشق فأطاعوه ، واستمعوا لقوله . وعندما وصل عبد الرحيم خبر وفاة الحاكم (٤١١ هـ / ١٠٢٠ م) في القاهرة أعلن نفسه خليفة للمسلمين ، واتخذ من دمشق مقراً لخلافته .

عندما وصلت هذه الأنباء إلى السيدة ست الملك في القاهرة ، أحست بخطر هذا الانقسام وعلمت أن هذا الانشقاق ضعف للخلافة الفاطمية ، لذلك رأت ضرورة التخلص من عبد الرحيم بن إلیاس ، لتنتظر الخلافة الفاطمية للظاهر في القاهرة ، ومن ثم أمرت الوزير عمار بن محمد بمكاثبة عبد الرحيم في دمشق يطلب منه الحضور إلى القاهرة لمبايعته بالخلافة ، ويبدو أن الأمر قد صادف هوبي في نفس عبد الرحيم فاستجاب علي الفور ، وتحرك من دمشق حتى وصل إلى الفرما ، وهناك قبض عليه حاكمه (علي بن داود) ثم حل إلى تنس ومنها إلى القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية .

دخل القصر الفاطمي ، وهو مكبل بالأغلال ، وبابع الظاهر بالخلافة والسيف على رأسه ، ثم أمرت السيدة ست الملك بحبسه في سجن القصر .

وقد اختلفت آراء المؤرخين في مصيره ، فبعض الروايات ^(٦) ذكرت أن السيدة ست الملك كانت تلاحظه في سجنه ، ولكنها خافت على عرش الخلافة الفاطمية – حيث كان المرض قد اشتد بها – فأمرت معضاد الخادم بقتل عبد الرحيم وتخلص منه . وهناك رواية ثانية ^(٧) تذكر أن عبد الرحيم عندما يأس من فك أسره طعن نفسه بسکین كان معه ، وعندما بلغ الظاهر هذا الخبر ، أحضر القضاة والشهدود ، فاعترف عبد الرحيم أمامهم بأنه هو الذي فعل ذلك بنفسه ومات بعد قليل .

وأنا أميل إلى الرأي الأول ، وأكاد أجزم بأن السيدة ست الملك هي التي دبرت مقتل عبد الرحيم . وذلك لعدة أسباب أولها: أن هذه السيدة كانت تتصف بالقوة والشجاعة والإقدام والثبات ، وقد نجحت في قتل أخيها الحاكم خوفاً على عرش

الخلافة الفاطمية أفيستبعد عليها قتل من يهدد الخلافة الفاطمية، ويطلبها لنفسه ؟ ثانٍ، هذه الأسباب: أن السيدة عندما أحست بقرب أجلها، أرادت أن تقضي على الخلاف الذي قد ينشب بين أبناء المذهب الإسماعيلي، حول أحقيّة عبد الرحيم في الخلافة. خاصة وأن الظاهر كان صغير السن فلا يستطيع ذلك بنفسه، لذلك قررت السيدة التخلص من ولی العهد عبد الرحيم بن إلياس. ومن ثم استقام الأمر للظاهر لإعزاز دین الله، والذي أصبح رابع الخلفاء الفاطميين في مصر.

(جـ) ثورة أهل الصعيد:

بعد القضاء على معارضه عبد الرحيم بن إلياس لم يستقم الأمر للظاهر نهائياً، ففي عام (٤١٥هـ / ١٠٢٤م) ظهر ثائر من بني الحسين - لم تذكر المصادر التاريخية الكثير عنه - استطاع أن يجمع حوله كثيراً من الثوار المعارضين للخلافة الفاطمية، وتحالف مع قبائل بني هلال، وبني كلاب، وبني قوة، الذين خلعوا طاعة الظاهر وانضموا لهذا الثائر.

ويمكّنا إيجاز أسباب الثورة فيما يلي:

١- الطموح الشخصي ، عند هذا الثائر الذي طمع في الخلافة اعتماداً على نسبة الشريف وتحالف القبائل العربية- الناقمة على الخلافة الفاطمية- معه.

٢- اضطراب أحوال الدولة الفاطمية بسبب المخاعن التي اجتاحت أراضي الخلافة واضطراب الأمن وقيام العبيد بالثورات المستمرة، وفهم للسلطاط والقاهرة.

٣- خلو الصعيد من الجيش الفاطمي (الحامية) بسبب إرساله إلى الشام للقضاء على ثورة حسان بن الجراح ومن تحالف معه.

٤- بعد إقليم الصعيد عن مقر الخلافة الفاطمية في القاهرة، وصعوبة وصول

الجيش (الإمدادات) إلى هناك، وضعف شخصية الوالي "جدرة بن عقيaban".

على كل حال قامت الثورة، واتسع نفوذ الثوار، ولم يستطع والي الصعيد "جدرة" القضاء على الثورة لقلة جنده، لذا طلب الإمدادات من القاهرة، ولأن الخلافة الفاطمية أحسست بخطورة الثورة، أرسلت إليه القوات. ونجح جدرة في تنظيم صفوفه، وخاض المعركة ضد الثوار، واستطاع أن يقضي على الثورة، وأن يق猝 على ثائر بنى الحسين، الذي اعترف بأنه قتل الحكم بأمر الله غيره على الإسلام، ثم أخرج سكيناً وقتل نفسه، وكان يردد هكذا قتلت الحكم!! وقيل أنه شرب سما فمات على الفور^(٤). وبعث جدرة برأسه ومتاعه إلى الخليفة الظاهر في القاهرة، الذي فرح بالقضاء على الثورة وعوده الهدوء والاستقرار إلى الصعيد. وما هو جدير بالذكر أن الصعيد لم يشهد ثورة أخرى خلال خلافة الظاهر لإعزاز دين الله.

ثانياً: الثورات الخارجية:

كما شهد عصر الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧ هـ / ١٠٢٠-١٠٣٥ م) قيام الثورات الداخلية، فقد شهد - كذلك - ظهور الثورات الخارجية، التي هددت الظاهر، وكانت تطبع بخلافه الفاطمية. ويمكننا أن نجمل هذه الثورات فيما يلي:

(أ) ثورة أهل الشام:

ضعف شأن بنى الجرج بفلسطين بعد الهزيمة التي حلّت بهم في أواخر عهد الحكم بأمر الله على يد القائد "علي بن فلاح" واستعاد الفاطميون سيطرتهم على هذا الإقليم.

ظل الحال على ذلك حتى ولي الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧ هـ / ١٠٢٠-١٠٣٥ م) الخلافة الفاطمية، فحاول حسن بن مفرج بن

الجراح استرداد سلطانه علي الرملة فحشد الثوار، وهاجم المدينة، وقام بنهبها، ثم أعلن الاستقلال بفلسطين عام (١٤٥٩هـ / ١٩٤٧م).

جهز الخليفة الظاهر جيشاً فاطمياً ضخماً بقيادة "أنوشكين الدزيري" ^(١) الذي حاول القضاء علي ثورة حسان بن الجراح، ولكنه فشل في ذلك. وأغري هذا الانتصار حسان بن الجراح فقد تحالف مع عرب الشام لطرد الفاطميين من هناك وتقسيمها فيما بينهم علي النحو التالي:

١- أن يصبح حسان بن مفرج بن الجراح الأراضي الواقعة من الرملة حتى حدود مصر الشرقية.

٢- تصبح طبرية وما يتصل بها من الساحل محمود بن مفرج بن الجراح.

٣- تكون دمشق وأعمالها لستان بن عليان وعشيرته.

٤- يكون من حلب إلي نهر الفرات لصالح بن مرداش.

وما هو جدير بالذكر؛ أن هؤلاء الأمراء (الثوار) قد أطمعوا الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني علي هذه الاتفاقية، وطلبوها معونته، ولكنه لم يجب طلبهم لكثره مشاكله الداخلية.

وعلي ذلك يمكن القول: بأن الثورة في بلاد الشام مرت بمراحل ثلاثة:

الأولى: بقيادة حسان بن الجراح، وأخيه محمود في (الرملة) والثانية: بقيادة صالح بن مرداش في (حلب)، والثالثة: بقيادة سنان بن عليان في (دمشق)، وسوف نواصل السير مع الثوار الثلاث، لنصل في النهاية إلي أثر هذه الثورة علي حالة مصر الفاطمية.

بعد هزيمة الدزيري أمام حسان بن الجراح، وعلمه بالاتفاق الذي عقد بين الزعماء الثلاث (حسان ، صالح ، سنان)، أرسل في طلب التجدة من الخلافة الفاطمية في القاهرة.

أدرك الخليفة الظاهر خطورة الموقف في بلاد الشام فأرسل سرية حربية لمساعدة الدزيري، ولكن لسوء الحظ لم يخرج من عساكر هذه السرية سوى عدد بسيط وصل إلى مدينة العريش، ولم يتجاوزها، وأغلبظن أن قلة النفقـة - التي وصلت إلى أربعين ديناراً لكل فارس^(١٠) هي التي جعلتهم لا يخرجون للقضاء على ثورة الشام.

عندما علم الدزيري بعدم وصول الإمدادات من القاهرة اضطر للدخول في معركة غير متكافئة مع حسان بن الجراح، ومن الطبيعي أن تنتهي المعركة بهزيمة الدزيري واستيلاء الثوار على مدينة الرملة ، وأخذوا ما كان معه من أموال وسلاح وانتشرت أعمال السلب والنهب في المدينة.

أغري هذا الانتصار حسان بن الجراح فأراد أن يستولي على القاهرة، فجهز سرية قوامها خمسمائة فارس للاستيلاء على مدينة العريش، وعندما وصل خبر هذه السرية لأهل العريش اضطروا إلى الهجرة عن المدينة فبعضهم انتقل إلى الفسطاط، والبعض الآخر انتقل إلى بليس ، وعندما عملت الخلافة الفاطمية بذلك أرسلت مائة فارس للإقامة بالقرب من العريش للدفاع عنها^(١١) وحفظ الأمن فيها.

زاد خطر وصلف حسان بن الجراح فبعث إلى بني قرة بالبحيرة يدعوهـم للدخول في طاعته وأخذ يعدهـم وينيهـم بالغنائم والمكاسب التي سوف تعود عليهمـ. وبالفعل؛ استجابوا لدعـوتـهـ بالموافقةـ، ولكنـ لحسنـ حظـ الخلافـةـ الفاطـميةـ أنـ الدـزـيريـ قـبـضـ عـلـيـ هـذـاـ الرـسـولـ وـقـتـلـهـ وـباءـ التـحـالـفـ بالـفشلـ.

ومـاـ هوـ جـديـرـ بـالـذـكـرـ أـنـ حـسانـ بنـ الجـراحـ كـانـ خـلالـ هـذـهـ الأـحـدـاثـ يـعـثـ الرـسـائلـ إـلـيـ الـخـلـيفـةـ الـظـاهـرـ بـالـقـاهـرـ يـخـبـرـهـ بـأنـهـ مـازـالـ مـطـيـعاـ لـهـ، وـيـطـلـبـ مـنـهـ إـضـافـةـ الـقـدـسـ، وـنـابـلـسـ إـلـيـ إـقـطـاعـهـ. وـالـغـرـيبـ أـنـ الـخـلـيفـةـ الـظـاهـرـ أـرـسـلـ إـلـيـ بـالـمـوـافـقـةـ عـلـيـ إـعـطـانـهـ قـطـاعـ نـابـلـسـ فـقـطـ. وـكـانـ هـذـهـ الـمـوـافـقـةـ بـثـابـةـ اـعـتـرـفـ بـعـجزـ الـخـلـافـةـ الـفـاطـمـيـةـ

عن القضاء علي الثورة، وعلى إقرار وضع الشام علي ما هو عليه. وهذه المواقفة أغرت حسان بالإغارة علي حدود مصر للمرة الثانية، فأرسل سرية من ألفي فارس للاستيلاء علي مدينة الفرما المصرية، وكما حدث في المرة السابقة فقد هاجر سكان المدينة؛ فبعضهم هاجر إلى تونس، والبعض الآخر نزل القاهرة.

ومن جهة أخرى ظهر ثائر جديد يدعى صالح بن مرداش أمير بني كلاب، الذي نجح في احتلال مدينة حلب (٤١٤هـ / ١٠٢٣م) وفرض سيطرته عليها^(١٢). وفي نفس الوقت كان سنان بن عليان يتقدم للاستيلاء علي مدينة دمشق، ونجح في ذلك بفضل المساعدات التي قدمها له صالح بن مرداش، ودخلت جنود سنان المدينة وقاموا بقتل كثير من أهلها، ونهب أموالهم، وإعلان سيطرته علي المدينة. وهكذا أصبح الوضع في بلاد الشام ينذر بالخطر، حيث تم تقسيم البلاد بين الثوار الثلاث. ومن الغريب أن حسان بن الجراح بعث برسالة إلي الخليفة الظاهر في القاهرة يخبره بأن الوضع في بلاد الشام أصبح مستقرًا، وأنه ومن معه قد كفروا الخلافة الفاطمية أمر الشام كله. ولم يمتلك الظاهر فعل شيء غير طرد رسول حسان ، ولم يكتب له جواباً.

ولكن السؤال: ما هو موقف الجيش الفاطمي من ثوار الشام؟ وأين رجال كتامة الذين قامت الدولة الفاطمية علي أكتافهم؟ واستطاعوا تحقيق الانتصارات علي أعداء الدولة الفاطمية في خلافة المعز والعزيز والحاكم بأمر الله؟

في الحقيقة لم يتعاون رجال كتامة في القضاء علي الثوار ، فقد حضروا إلي القصر الفاطمي، وذكروا للخليفة الظاهر أنهم – وجميع طوائف الجيش – لديهم المقدرة للقضاء علي ثورة بلاد الشام، لو لا أنهم هلكوا من الفقر والجوع^(١٣). وهكذا بدأ الأمر علي حقيقته ، فإن الخلافة الفاطمية لا تستطيع القضاء علي الثورة نظراً لظروف الجماعة التي تمر بها البلاد.

*القضاء على الثورة:

بحلول عام (٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م) كانت البلاد قد فاقت من شيخ الجماعات التي هددت استقرارها وأمنها ، فرأى الخليفة الظاهر الفاطمي الخطر الذي يهدد سلطانه ببلاد الشام ، فأمر بتجهيز قواته، وأسند قيادة الجيش إلى القائد أبو شتيكين الدزيري، وأطلق عليه "أمير الأمراء" وزوده بالأموال والرجال ، و كان يحس بسرعة القضاء على الثورة.

رأى الدزيري أن يبدأ برأس الثورة ، فقام بمحاصرة حسان بن الجراح في عسقلان ، وقتل كثيراً من جنده، وأعلن سيطرته على المدينة والساحل، ولم يجد حسان وإخوته ملجاً غير الدخول في طاعة ملك الروم ليحتمي في بلاده، وبذلك استرد الفاطميون البقاع الجنوبي^(١٤) والوسطي من سوريا.

ثم توجه الدزيري للقضاء على صالح بن مرداش ، ودارت المعركة بالقرب من طبرية على نهر الأردن. وانتهت المعركة بقتل صالح بن مرداش وولد له صغير ، وحملت رأسها إلى القاهرة.

ثم صار الدزيري إلى دمشق وحاصرها، ففر سنان بن عليان من المدينة. فأعلن الدزيري السيادة الفاطمية على المدينة ، وبذلك استرد الفاطميون نفوذهم^(١٥) في بلاد الشام.

وامتدح الشعراء القائد الدزيري لتحقيق هذا الانتصار العظيم في بلاد الشام

فقال بعضهم:

لما أحاط بشرب الأحزاب	ولم يُصْطَفِيَ الْمَلِكُ ^(١٦) اعْتَرَامُ الْمُصْطَفَى
دين الإله وذلت الأعراب	يُومًا لِلإِسْلَامِ عَزَّ لِدِيهِمَا
فابتزهم دون العقاب عقابر ^(١٧)	طَلَبُوا عَقَابًا لِيُسْلِمُوا بِنَفْوِهِمْ

*أثر الثورة على الحياة في مصر:

كان ثورة الشام أثر كبير على الحياة خلال عصر الظاهر الفاطمي، يتضح ذلك فيما يلي:

(أ) على السياسة الداخلية:

تأثرت السياسة الداخلية في مصر بالثورة ، حيث كانت تمر بالبلاد مجاعة كبيرة ، فارتفعت الأسعار، حتى بيع الخبز رطلين ونصف بردهم، وبلغ تليس القمح دينارين وثلثين، وتليس الشعير ديناراً واحداً^(١٨) ثم ارتفع سعر الخبز فيبع كل رطلين بدرهم.

بالإضافة لذلك فقد انتشرت أعمال السلب والنهب فيسائر القطر المصري، وقام العبيد بالإغارة على الريف المصري، مما أدى إلى وقوع المصادرات بينهم، وبين أهالي البلاد، وقتل كثير من الطرفين.

ومن جهة أخرى فقد قتل الشيخ العميد محسن بن بدوس الذي أهتم بالوقوف إلى جانب الثائر حسان بن الجراح، فقد عشر على رسالة بعث بها الشيخ العميد إلى حسان جاء فيها: "إذا وفدت بالعساكر لم تجد أحداً يلقاءك ولا يمانعك"^(١٩). فقضى على الشيخ العميد، وقتل من ساعته. وقيل إنه ارتد إلى النصرانية قبل موته.

(ب) على السياسة الخارجية:

كما تأثرت السياسة الداخلية بالثورة، فقد تأثرت كذلك السياسة الخارجية، حيث تخلص الفوذ الفاطمي في بلاد الشام، فقد فقدت الخلافة الفاطمية مدينة (الرملة) التي وقعت تحت سيطرة حسان بن الجراح، و (حلب) التي أصبحت تحت يد صالح بن مرداش، و (دمشق) التي أعلن سنان بن عليان سيطرته عليها. ولا يخفي علينا أهمية هذه المدن الثلاثة للخلافة الفاطمية، فإذا عرفنا أن هذه الثورة استمرت

عدة سنوات (١٤٤٥هـ - ١٠٢٩ - ١٠٢٣م) علمنا حجم الخسارة التي لحقت ببلاد الشام من قتل ونهب علي يد الثوار، والأعراب الذين انتهزوا الفرصة وأغاروا علي بلاد الشام لار^(٢٠).

كذلك ترتب علي هذه الثورة اهتزاز هيبة الخلافة الفاطمية، وتجراً الثوار علي حدود مصر حيث أرسل حسان بن الجراح سريعة بقيادة عبد الله بن إدريس الجعفري للاستيلاء علي مدينة أبيلة المصرية، ولما فشلوا في احتلال المدينة قاموا بنهبها، وأخذوا ثلاثة آلاف دينار، بالإضافة إلي سبي كثير من النساء والأطفال^(٢١). كذلك هاجم الثوار مدينة العريش، واستولوا علي ما فيها من مال ومتاع، ثم أشعلوا فيها النيران، بالإضافة لذلك هجرة المصريين من العريش وأبىالة إلي القاهرة، وبلبسيس، وتبيس. ولا يخفي علينا أن هذا الأمر قد وضع الخلافة الفاطمية في موقف لا تخسد عليه أمام المصريين.

يضاف إلي ما سبق - وهو أهلهها - طمع ملك الروم في الاستيلاء علي بلاد الشام، حيث انتهز اشتعال الثورة، واضطرب الأمن، فقام بغارات متواتلة علي شمال الشام (١٤٤٨هـ / ١٠٢٧م). وعندما علم الظاهر بذلك أرسل سفاراة إلي الإمبراطور ، البيزنطي يعرض عليه عقد صلح بين الطرفين. وبعد عدة مباحثات تم الاتفاق علي إبرام معاهدة تضمنت شروطاً التزم بتنفيذها كل من الخليفة الفاطمي ، والإمبراطور البيزنطي. وفيما يلي هذه الشروط^(٢٢):

١- أن يسمح للإمبراطور البيزنطي بإعادة بناء كنيسة القيامة في بيت المقدس.

٢- أن يسمح لكافة المسيحيين بإعادة بناء الكنائس التي هدمها الحاكم عدا التي حولت إلي جوامع.

٣- أن يعين الإمبراطور البيزنطي بطريقاً في بيت المقدس.

٤- ألا يقوم الفاطميون بأي عمل عدائي نحو حلب.

٥- ألا تقد الدولة الفاطمية يد المساعدة لأي عدو من أعداء الدولة البيزنطية خاصة أهل صقلية.

وفي مقابل هذه الشروط يتتعهد الإمبراطور البيزنطي بما يأتي:

١- أن يعمل على ذكر اسم الخليفة الفاطمي في كل مساجد الدولة البيزنطية.

٢- أن يطلق سراح الأسرى المسلمين.

٣- ألا يقدم الإمبراطور أية مساعدة لحسان بن الجراح.

و مما هو جدير بالذكر إن هذه المعاهدة لم تستمر طويلاً، حيث لم يلتزم الإمبراطور البيزنطي بالشروط التي وردت بها، وتخالف مع حسان بن الجراح، الذي فر إلى الإمبراطور البيزنطي بعد هزيمته علي يد أنوشتكين الدزبري عام (٤٢٠م).

المبحث الثاني

(الثورات الاقتصادية)

شهدت البلاد المصرية في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١ - ٤٤٢ هـ / ١٠٢٠ - ١٠٣٥ م) مجاعة كبيرة ، امتدت لمدة عامين كاملين (٤١٤ - ٤١٥ هـ / ١٠٢٥ - ١٠٢٦ م) قاس الشعب فيها خطر الجوع والموت، وعمت الثورة البلاد طالب بتحقيق هذا الوضع المتردي الذي آلت إليه الأحوال.

بدأ أحداث هذه المجاعة في جمادي الآخرة (٤٠٤ هـ / ١٠٢٣ م) بنقصان ماء النيل فقد وصل إلى ١٤ ذراعاً و ١٤ إصبعاً، وهذا يعني المجاعة. حيث لم ترو الأرض الزراعية، فكثر ضجيج الناس، وخرج الرجال والأطفال ومعهم المصاحف إلى جبل المقطم يستغاثون بالله، فلم يغاثوا^(٢٣). ثم تعذر وجود الخبز في الأسواق، وازدحمر الناس على شرائه ، وأحجم التجار عن بيع الغلال، وارتفعت الأسعار ، فوصل سعر تلبيس القمح إلى دينار، وبعد قليل اختفى فنائياً من الأسواق، وكان يباع سراً، دينارين للتلبيس ، وحملة الدقيق بدینارين وربع، والخبز أربعة أرطال بدرهم وثمن.

وأمام ارتفاع الأسعار، أمر الخليفة الظاهر بعزل ابن عزة المحتسب وتعيين دواس بن يعقوب الكتامي محتسباً على الأسواق والسواحل. ونزل المحتسب الجديد إلى شوارع القاهرة، وأحضر الخبازين، وتجار الدقيق، وضرب بعضهم ، وشهر البعض الآخر. فخاف التجار، وانخفضت الأسعار قليلاً ، وبذات ظهر الفلال في الأسواق^(٢٤) ولكن بعد أيام قليلة تعذر وجود الخبز، وكثير ازدحام الناس عليه، ولم يتملك المحتسب دواس إلا أن يبيع الخبز المبلول بسعر ثلاثة أرطال بدرهم، وهذا يعني عدم تغير الأسعار، كما يعني - في نفس الوقت - تشجيع التجار على بيع الخبز لارتفاع أرباحهم، فظهر الخبز في الأسواق.

وأما هذه الأحداث أمر دواس بن يعقوب بفتح مخازن رجال الدولة ، وأطلق الناس — من السواحل — غلة كثيرة ، وضرب جماعة من الخبازين وشهرهم بسبب رفع الأسعار. كما ضيق علي الطحانين الذين باعوا الدقيق بسعر مرتفع، وألزمهم بترك عملهم في طحن الغلال، وختم علي مخازنهم فأفلست طواحينهم، وجعلتهم خبازين فقط.

وبخلول عام (٤١٥هـ / ١٠٢٥م) زادت الأمور سوءاً، فارتفع سعر القمح حتى بيع التيس بثلاثة دنانير، كما ارتفع سعر الشعير والخبز وكل ما يؤكل. وأغلب الظن أن ذلك يرجع إلى استيلاء الدولة علي كل ما ورد إلى المنس من غلال^(٢٥)، وتسليمها إلى القصر الفاطمي.

وإذا تأملنا عن مقدار فيضان النيل في هذا العام لنقف علي سبب المجاعة، فإننا نجد تضارب أقوال المؤرخين، فقد ذكر المقريزي: أن الزيادة كانت قليلة حيث " لم ير النيل فيما تقدم من السنين أقل نقصاناً منه في هذه السنة "(٢٦)" ولكن في نفس الوقت يحدد الزيادة بأنما بلغت ١٦ ذراعاً و ٨ أصابع. وهي نفس الزيادة التي ذكرها كل من ابن أبيك^(٢٧)، وابن تفري بردي^(٢٨). وهذه الزيادة لا تعني حدوث مجاعة ، فما هو سبب المجاعة إذا؟؟

يبدو لي إن السبب يرجع إلى مجاعة العام السابق (٤١٤هـ / ١٠٢٤م) فقد أثرت علي البلاد فواصلت الأسعار ارتفاعها، وبلغت درجة لا يمكن السكوت عليها، حتى إن الخليفة الظاهر بدأ يشكك في كفاءة وأمانة المحتسب (دواس بن يعقوب)، فقام بعزله وعين (بني الخادم الأسود) محتسباً، وتولى الشرطين (القاهرة والفسطاط) ليستطيع توفير الخبر ويقضي علي ارتفاع الأسعار. وبالفعل نزل المحتسب الجديد من أول يوم إلي الفسطاط، وأصدر أوامره بتخفيف الأسعار، فاضرب التجار وعمال الطواحين وامتنعوا عن فتح طواحينهم، وكان الناس يبحثون عن الخبر والدقيق فلما يوجد منه شيء ، فاستغاثوا بالظاهر ليخلصهم مما هم فيه. فاضطر الخليفة إلي عزل

(بقي الخادم) وولي دواس بن يعقوب،— مرة ثانية — الذي استطاع في وقت قصير أن يوفر الخبز في الأسواق. مما يجعلنا نلقي بظلال الشك في أنه ثمة مؤامرة سرية عقدت بين التجار ودواس خلاصتها: ارتفاع الأسعار— فيتحقق الكسب السريع للتجار— مع توفير المشتريات في الأسواق، مما يعزز مكانة دواس بن يعقوب عند الخليفة الظاهر.

ولكن يبدو أن هذه المؤامرة لم تستمر طويلاً، حيث ارتفعت الأسعار بدرجة لا يمكن السكوت عليها، خاصة أسعار ما يؤكّل [القمح، والدقيق، والخبز] بالإضافة لذلك فقد عم الوباء بالحيوانات والدواجن ، فارتفعت الأسعار أكثر حتى يبع رأس البقر بخمسين ديناراً. مما اضطر الظاهر إلى إصدار أوامره بعدم ذبح شيء من الأبقار السليمة، وهدد من يفعل ذلك بالعقوبة الشديدة التي قد تصل إلى حد القتل. وفي ظني أن الذي دفع الخليفة الظاهر إلى اتخاذ هذا الإجراء هو الحفاظ على الحيوانات السليمة التي تساعد في أعمال الزراعة من حرث وري.

ولم يكن هذا الإجراء من جانب الخلافة الفاطمية يعني انتهاء الجماعة، حيث زاد الأمر سوءاً ، فقد انتشر وباء الطاعون بين الناس، فمات الكثير منهم حيث "لم يخل متل أحد من المرض وأوجاع الدم والحلوق"^(٢٩) وانخفضت قيمة ما يملكه الناس من المئاع حتى طرحت الشياب والأمتعة في الأسواق، ولم تجد من يقوم بشرائها بدرهم واحد. ومن ثم انخفضت القيمة الشرائية للعملة، فكان الرجل يخرج معه الدنانير ويطلب من الخبز ما يشبعه فلا يجده، وارتفعت الأسعار أكثر، فلم يعد يعثر على دقيق أو خبز.

وإذاء هذه الأحداث، وارتفاع الأسعار، انفجرت ثورة المصريين. حيث تجمع المصريون في مسجد عمرو بن العاص، وخرجوا في مظاهرات عامة، وقوية ، ساخطة ، وساروا في شوارع الفسطاط، ثم تحركت الثورة إلى القاهرة، وكانوا يطالبون

بتخفيف هذا الضنك الاقتصادي الواقع عليهم، مطالبين بتوفر الخبز في الأسواق. وما هو جدير بالذكر: إن الشعب قد اعترض ركب الخليفة الظاهر، وكان يصيحون في وجهه "الجوع- الجوع يا أمير المؤمنين لم يصنع بما هذا أبوك ولا جدك فالله الله في أمرنا" (٣٠)، ووقف أحد المغاربة تحت القصر، وأخذ يسب الخليفة علي أقبح وجه، حتى ضربه رجال الشرطة فسقط على الأرض، وجروه برجله ووضع في السجن وضرب ثلاثين درة. ولم تنته ثورة المصريين، حتى أن أصواتهم "الجوع" الجوع كانت تشغيل الهواء لتصل إلى مسامع الظاهر في قصره.

أحسن الظاهر بخطورة الثورة ، فأمر بإحضار المحتسب دواس بن يعقوب إلى القصر وعنه ودهده، وأمره بتدارك الموقف في أسرع وقت، فنزل المحتسب إلى القاهرة وقام بإلغاء المكوس المقررة على الغلات الواردة إلى السواحل ، وأمر بتخفيض الأسعار، وشدد العقوبة على كل من خالف أوامره. وبهذه الإجراءات ظهر الدقيق والخبز في الأسواق بأسعار قليلة، وضرب المحتسب بعض بائعي الدقيق وشهرهم، ثم أمر بسجنيهم، وذلك بسبب مغالاتهم في الأسعار، وببيعهم الدقيق الفاسد. كما شدد المحتسب على مراقبة الموزعين والمكاييل في الأسواق حتى أنه وجد رجل يبيع الحلوي في سوق الفسطاط وفي ميزانه نقص، فضرب أمام الناس ثم سجن. وبهذه الإجراءات استطاع المحتسب (دواس بن يعقوب) توفير الخبز والماكولات في الأسواق. ومن ثم هدأت ثورة المصريين، وعاد المهدوء والاستقرار إلى أسواق المدينة. ويُجدر بنا أن نشير إلى أنه على الرغم من انتهاء الثورة، إلا أن الجماعات لم تنته في خلافة الظاهر، حيث شهدت البلاد خطر الجماعات في أعوام ٤١٧هـ / ١٠٢٧م، ٤٢٢هـ / ١٠٣١م ، و ٤٢٦هـ / ١٠٣٥م (٣١) ولم يقم الشعب المصري خلاها بثورات لأن الخلافة الفاطمية كانت قد استواعت الدرس جيداً فكانت سرعان ما توفر للشعب الخبز والمدقيق حتى لو اضطررت إلى استيراده من الشام.

* أثر الجماعة والثورة على الحياة في مصر:

كان للجماعة والثورة أثر كبير على كافة نواحي الحياة في مصر خلال تلك الفترة، يتضح ذلك فيما يلي:

(أ) على الخلافة:

ضعف شخصية الخليفة الظاهر الذي ترك تسيير أمور البلاد بأيدي ثلاثة من رجال دولته وهم: نجيب الدولة البرجرواني ، والشيخ العميد محسن بن سدوس ، ومعضاد الخادم. حيث زادت سلطتهم على حساب الخليفة الذي عجز عن أن يستجيب لصرخات المصريين لأنقاذهم من تحكم رجال الدولة فيهم وفي أقواهم.

(ب) على الحالة الأمنية في البلاد:

اضطربت حالة الأمن في البلاد بسبب قيام العبيد بنهب الفلال ، وإحراق البيوت، كما هاجروا مدينة تنس ، وأغاروا على قوافل الحجاج المغاربة، وهبوا سهاط عيد النحر بحضور الخليفة الظاهر، وهم يصيرون "الجوع ، الجوع نحن أحق باكل سهاط مولانا" ^(٣٢) وبعد هذا أول قرد للعبيد على سلطة الخلافة، وكما قام العبيد بهاجمة أسواق القاهرة والفسطاط. ولا يخفى علينا حالة الرعب التي عاشها الشعب من جراء هذه الأحداث.

(ج) على عدد السكان:

تأثير عدد سكان مصر بهذه الجماعات، حيث انتشرت الأمراض والأوبئة، وكثير الموت في الناس، حتى قدر من مات منهم بحوالي ١٧٠ ألف شخص ^(٣٣)، وأما الغريب، ومن لم يعرف ، ومن ألقى به في النيل، ومن لم يجد من يقربه؛ فأكثر من هذا العدد أضعاف لا تُحصي. وما هو جدير بالذكر أن الناس كانوا يموتون ولا يجدون ثمن أكفافهم، حتى أن الخليفة الظاهر كفن أمواتاً على نفقته الخاصة.

(د) علي الأسعار:

ارتفعت الأسعار ارتفاعاً ملحوظاً أثناء الثورة ، حيث بيع تليس القمح بثلاثة دنانير، والخبز رطلين ونصف بدرهم، والرمانة الواحدة بثلاثة دراهم، والبطيخة بثلاثين درهماً، وأوقية الشراب بدرهم^(٣٤). وارتفعت الأسعار، وقلت المأكولات لدرجة أن جزاراً أخرج عظمة ل الكلب فرأه رجل متuffف، فطرد الكلب، وأخذ العظم منه ، ولم يزل يحصه نياً إلى أن نال منه غرضه^(٣٥)، ثم رماه من يده وذهب. وهذا يدلنا على شدة المخاعة، وقلة المأكولات ، وغلاء الأسعار خلال تلك الفترة.

المبحث الثالث

(الثورات الطائفية)

كان المجتمع المصري في عهد الفاطميين ينكون من عدة عناصر منها: أهل السنة ، وقد تحول بعضهم إلى المذهب الشيعي. والمغاربة الذين قامت الدولة الفاطمية على أكتافهم. وأهل الذمة الذين تعموا بالحرية والمساوة. والأتراء الذين زاد عددهم منذ عهد العزيز بالله. والسودانيون الذين زاد عددهم في خلافة الحاكم بأمر الله.

ونظراً لعدد طوائف الشعب المصري، فقد وقع كثير من التناقض بين طبقاته المختلفة، وظهر ذلك واضحاً في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧هـ / ١٠٣٥-١٠٤٠م) فكثيراً ما كانت تتشبّه المنازعات، وتظهر أعمال السلب والنهب ، ويكثر القتلى بسبب المصادرات التي كانت تقع بين هذه الطوائف المختلفة ، ويتبين ذلك فيما يلي:

(أ) الأتراء

ظهر أمرهم في خلافة العزيز بالله (٣٦٦-٣٨٥هـ / ٩٧٦-٩٩٥م)، وزاد نفوذهم حتى أصبحوا أحد العناصر المأمة في الجيش الفاطمي^(٣٦)، وبدأ خطورهم في خلافة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ / ٩٩٦-١٠٢٠م)، وزاد هذا الخطأ وظهرت مساوئه في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله، فقد وقع كثير من المصادرات بين الأتراء والمغاربة. ففي عام (١٠٤١٥هـ / ١٠٢٤م) وأثناء المجاعة، وصل إلى القاهرة أحد الغلمان الأتراء مشقوق البطن على يد أحد المغاربة، فثار الأتراء للأخذ بشأره فرقعت الاشتباكات بين الطرفين واستمرت عدة أيام. وما هو جدير بالذكر إن المصريين قد اشتركوا في هذه الأحداث، فقد حاولوا فض هذه المنازعات ، ولكنهم

فشلوا في ذلك. وزاد خطير هذه الاشتباكات حتى أن الخليفة الظاهر خرج بنفسه للقضاء عليها.

ولكم تكن هذه آخر المنازعات بل بدايتها. ففي عام (٤٢٩ هـ / ١٠٢٩ م) تجددت المصادمات بين الأتراك والمغاربة بسبب مقتل أحد الغلمان الأتراك علي يد المغاربة. فثار الأتراك^(٣٧) وحملوا علي المغاربة حتى كادوا أن يقضوا عليهم، لولا وقوف المصريين للدفاع عنهم. فتحول النصر لصالح المغاربة، وقتل كثير من الأتراك، وفر الباقون خارج القاهرة. ولم تنته المصادمات بذلك بل تجمع الأتراك مرة ثانية، وحاولوا القضاء علي المغاربة، فعم السلب والنهب البلاد، وقتل كثير من الطائفين. ولم تنته هذه المصادمات إلا بخروج الخليفة الظاهر إليهم، الذي أمرهم بالانصراف، وهددهم بالوعيد، فانصرف الجميع علي مضض، والفتنة ما زالت قائمة. ثم بعث الظاهر دعاة الشيعة لعقد الصلح بين الطائفتين، ونص هذا الصلح علي؛ عدم اعتداء إحدى الطائفتين علي الأخرى، وبذلك انتهت ثورة الأتراك.

· (ب) العبيد (السودانيون):

كان العبيد أحد طوائف الجيش الفاطمي الذين استعان بهم الحاكم بأمر الله في حريق الفسطاط^(٣٨) وقد ظهر خطير هذه الطائفة في خلافة الظاهر (٤١١ - ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٢٠ م) لكتরتهم فقد بلغ عددهم مائتي ألفاً. ومن ثم فقد كثير استبدادهم، واعتدائهم علي الطوائف الأخرى، مما كان له أسوأ الأثر علي حالة مصر الداخلية خلال تلك الفترة.

بدأ شغب العبيد في عام (٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م) حيث وقعت البلاد في خطير المجاعة، فقام العبيد بنهب قافلة التجار المغاربة، وأخذوا جميع أموالهم (مائتي دينار) ولم تنج منهم القافلة إلا بارسال الخليفة الفاطمية سرية تتكون من ثلاثة فارس،

وأربعمائة رجل لإنقاذ القافلة^(٣٩)، التي وصلت إلى الجيزة، ثم أخذت طريقها إلى المغرب.

تجددت غارات العبيد على القوافل، ففي شهر شوال من نفس العام (٤٤٥هـ / ١٠٢٤م) قام العبيد بقطع الطريق على قافلة الحجاج المغاربة، وأخذوا أموالهم، وقتلوا كثيراً منهم، وعندما رأت الخلافة الفاطمية كثرة غارات العبيد على القوافل، أمرت بتشديد الحراسة عليها. وقد حدث أن أغارت العبيد على قافلة من حجاج المغاربة، وكانت تسقط في أيديهم لولا وصول سرية من الجيش الفاطمي، استطاعت صد غارة العبيد، وقتل الكثير منهم، حتى عادوا إلى حارتهم في القاهرة، وقد علا صراخهم^(٤٠) وبكاءهم على ما فقدوا من رجالهم.

لم تقتصر غارات العبيد على القوافل، بل تعدّها إلى نهب المدن. ففي عام (٤٤٥هـ / ١٠٢٤م) أمر الخليفة الظاهر العبيد بالذهب إلى مدينة تيس للدفاع عنها ضد رجال حسان بن الجراح، ولكن العبيد قاموا بنهب المدينة، وعاثوا فيها فساداً، واستولوا على أموال الرعية، وأخذوا من مال الخلافة ألفاً وخمسمائة ديناراً، وضيقوا على والي المدينة الشريف بن حزرة فهرب إلى دمياط. وعندما وصلت هذه الأنباء إلى الوزير نجيب الدولة الجرجاني غضب غضباً شديداً، وقال: "كيف يفعل هذا بخزانة السلطان؟"^(٤١) ثم بعث القائد "عنبر" في سرية تتكون من خمسين فارساً للقضاء على الثورة. وبالفعل نجح القائد "عنبر" في القضاء على ثورة العبيد، وإعادة ما أخذوه من أموال، وقبض على الجنابة، وأنزل بهم العقاب الشديد، وعاد المدروء إلى المدينة.

لم تكن مدينة تيس هي المدينة الوحيدة التي تعرضت لنهب العبيد، حيث غاروا على مدينة الأشمونين، واستولوا على كل ما وجدوا في المدينة من مساع وأموال، ويدو أن المدينة كانت غنية لدرجة أن نصيب الرجل الواحد من العبيد

وصل إلى تسعمائة رأس من البقر، وثلاثة آلاف رأس من الضأن. وقدم سكان المدينة شكواهم إلى المحتسب (دواس بن يعقوب) الذي رفعها بدوره، إلى معضاد الخادم - أحد الثلاثة الذين فرضا العزلة على الخليفة الظاهر - الذي لم يتخذ إجراءً ضد العبيد، بل شجعهم بقوله: "متقبل من عبيد مولانا" ^(٤٤) وكانت هذه الإجابة كافية لإفساد أحوال البلاد، وتشجيع العبيد على زيادة النهب والسلب، فقاموا بالإغارة على الفيوم ولم يتركوا البلدة حتى أشرفوا على الخراب.

وهكذا زاد فساد العبيد، وزادت سطوقهم، حتى تحرّوا على هيبة الخلافة الفاطمية. ففي عيد النحر، وحين مد السماط ^(٤٥) أمام الخليفة الظاهر، وبحضور كبار رجال الدولة، كبس العبيد على السماط، وهم يصيرون: "الجوع" الجوع "خن" أحق بسماط مولانا" ^(٤٦) ولم يبالوا بضرب الجنود الصقالبة لهم، وخرجوا من القصر سالمين.

ازدادت جراءة العبيد، واشتد ساعدهم، فلم يعودوا يخشون شيئاً، ولا الخليفة نفسه، ولا يبالون بشيء. لذلك قرروا نهب (القاهرة) مقر الخلافة الفاطمية، فاجتمع ألف رجل من العبيد ونزلوا إلى شوارع المدينة، للسلب والنهب، فأمر الخليفة الظاهر رجال الشرطة بتشديد الحراسة للدفاع عن القاهرة، ونادي في الرعية: "من تعرض لكم من العبيد فاقتلوه" ^(٤٧)

وكان هذا النداء بمثابة إذن صريح للمصريين للدفاع عن أنفسهم؛ وأعراضهم، وأموالهم. وخوفاً من حدوث فتنة داخلية في البلاد، خرج معضاد الخادم، ونسيم الصقلي إلى جبل المقطم - مكان تجمع العبيد - وطلبوا منهم العودة إلى حارتهم، فرفض العبيد، وقالوا: "ما نزلنا نهب، ولا نعرض لشيء إلا لما نأكله من الجوع؛ لأن الجوع قد اشتد بنا وأكلنا الكلاب" ^(٤٨)، فدفع إليهم معضاد خاتمة، ووعدهم بالفقة عليهم، فرجع العبيد إلى حارتهم.

لكن يبدو أن النفقه لم تصل إلى العيد في المعاد المحدد، فجمعوا في اليوم الثاني، ونزلوا ساحل المقس، ونهبوا مخازن الشعير والقمح، واستولوا على سائر الحبوب وأشعلوا النار في دار الكتبة، واقتحموا المنازل^(٤٧) وسرقوا الحوانين. ثم توجهوا إلى القاهرة، كان الشعب في انتظارهم، فقام الرجال بحمل السلاح، وأغلقوا السدروب، وحفروا الخنادق أمام الحارات، وكانت النساء تلقى عليهم الحجارة والطوب من أعلى المنازل، ثم حمل المصريون عليهم، فهزموهم شر هزيمة، وألقت الشرطة القبض عليهم^(٤٨)، وقتلت تسعة أفراد من مثيري الشغب والفتنة، وأعدم ستة آخرين على أبواب القاهرة.

لم ينته شغب العيد بذلك، بل تجمعوا في اليوم الثاني، ونهبوا الرعية واقتتحموا المنازل، ولم يستطع المصريون صد خطرهم، فقدمو بشكواهم إلى الخليفة مطالبين بالقصاص من العيد. فأمر الخليفة القائد "حظي الصقلي" بالتزول إلى سوق القاهرة للقضاء على ثورة العيد. ونجح "حظي" في القبض على أثني عشر رجلاً من العيد، وأمر بقتلهم، ورمي جثتهم إلى الكلاب^(٤٩). ثم استدعى رؤساء العيد إلى القصر الفاطمي، ووعدهم بالنفقه عليهم بشرط عدم اعتدائهم على المصريين. وبخلول عام (١٦٤ھ / ١٠٢٨م) كانت البلاد قد فاقت من خطر المجاعة، وتتوفر الطعام في الأسواق، وزاد الظاهر في نفقة العيد، وانتهت بذلك ثورتهم، وعاد المدوس للبلاد.

*أثر الثورة على الحياة:

كان لثورة العيد أثر كبير على السياسة الداخلية في مصر، يتضح ذلك فيما يلي:

أ. علي الولاة: قامت الخلافة الفاطمية بعزل وآلي الأشمونين، الذي لم يستطع الدفاع عن المدينة ضد غارات العيد، وعيّنت بدلاً منه "علي بن أبي

"الهار" الذي استطاع أن يعيد الهدوء والاستقرار إلى البلاد. ومن جهة أخرى فقد هرب والي تنيس "الشريف بن حمزة" إلى دمياط ، بعد فشله في القضاء على ثورة العبيد. مما اضطر الوزير المحرجرائي إلى إرسال الشرطة للقضاء على عبث العبيد بالمدينة ، وإعادة الوالي "الشريف بن حمزة".

ب. على الحالة الأمنية في البلاد: أدت ثورة العبيد إلى انتشار أعمال السلب والنهب والسرقة في الأراضي المصرية. من جهة ثانية: استغل الأعراب هذه الثورة فقاموا بالإغارة على قري مصر، وهاجم ثلاثين رجلاً من بني قرة مدينة الجيزة ونبوها، وقتلوا قاضي المدينة ، واستولوا على مائة وخمسين رأساً من الدواب والخيول. ولضعف الخلافة لم يخرج في طلب الجناء أحد " ولا جري فيه نكير من الحضرة المطهرة (الخلافة) " على حد تعبير المسبحي.

ج. (جـ) على الأسعار: تأثرت البلاد بثورة العبيد، وبما قاموا به من أعمال السلب والنهب ، فارتفعت الأسعار بشكل ملحوظ ، فبيع تليس القمح بأربعة دنانير وثلث ، والدقيق بستة دنانير، والخبز رطل وربع بدرهم ^(٥١). وبعد قليل تذرع وجود الخبز حتى بيع الرطل الواحد بدرهم، ثم قل فلم يوجد منه شيء.

د. على الحج: تعطلت قوافل الحج إلى مكة ^(٥٢) بسبب غارات العبيد المتكررة عليهم فكثيراً ما كانت تنهب هذه القوافل ، ويقتل كثير من الحجاج ، مما اضطر الخلافة الفاطمية إلى تشديد الحراسة على هذه القوافل للدفاع عنها وحمايتها من غارات العبيد المتكررة عليها.

المبحث الرابع

(الثورات الدينية)

قامت في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١ - ٤٢٧ هـ - ١٠٢٠ م) كثيراً من الثورات منها: السياسية ، والاقتصادية ، والطائفية ، والدينية. ولا نتجاوز الحقيقة إن قلنا: إنه كان للدين أثر كبير في النفوس حينئذ، حيث كانت ثور ثائرة الشعب إذا مس عقيدتهم شيء ولو بسيط. لذلك فقد قامت الثورات في الداخل (مصر) وفي الخارج - (في نطاق أراضي الخلافة الفاطمية).

(أ) ثورة أهل مكة:

كان ولا زال للحجاج مكانة عظيمة في نفوس المسلمين ، وذلك لأنها مقر الحرمين الشريفين. وقد ظهر - في العصور الوسطى - نظرية مؤداها أن الخليفة الحقيقي للمسلمين هو المدافع عن الحرمين الشريفين^(٥٣)، لذلك حرص الخلفاء العباسيون والفاطميون على بسط نفوذهم على هذه المنطقة، وتوفير الأمن والأمان اللازمين لأهلهما.

من الثورات الدينية التي هزت العالم الإسلامي، وأذلت مشاعر المسلمين جيعاً، ما وقع في عام (٤١٣ - ١٠٢٢ م)^(٥٤) في أثناء موسم الحج، وقد فرغ الناس من رمي الجمرات بمنى، قام رجل من غلاة الشيعة الباطنية، مصرى الجنسية، يوصف بأنه طويل الجسم، أحمر اللون، أشقر الشعر، غليظ. قام هذا الأحق بضرب الحجر الأسود ثلاث ضربات متواлиات بدبوبس^(٥٥) وقال: "إلى متى يعبد هذا الحجر !! ولا محمد ولا علي يقدران على منعي عما أفعله إني أريد أن أهدم البيت وأرفعه"^(٥٦) فانقلب الحجاج وتراجعوا عنه، و كان علي باب المسجد عشرة فرسان من أنصاره. وثارت حفيظة المسلمين لهذا الفعل المشين، فقام رجل من أهل اليمن فطعنه بخنجر كان معه،

فاجتمع أنصار الباطني عليه وقتلوه ، وأحرقوا جسنه بالنار. وثار أهل مكة ضد الركب المصري، وقتلوا منهم عشرين رجلا ، وجرحوا أضعاف هذا العدد، وكثُر النهب والسلب في ركب الحجاج المغاربة.

وما هو جدير بالذكر؛ إن الثورة - وأعمال السلب والنهب - قد استمرت عدة أيام ولم تنته إلا بخروج أبي الفتوح الحسن بن جعفر أمير مكة، إلى الحرم، فامر بقتل أربعة من الشيعة من أنصار هذا الزنديق ، كما أمر بعدم الاعتداء على الركب المصري، ثم خرجوا من مكة، وأخذوا طريقهم إلى مصر، وعاد بالهدوء إلى الحرمين. وبذلك انتهت ثورة أهل مكة.

(ب) علماء المالكية في مصر:

على الرغم من وصف الكثير من المؤرخين^(٥٧) الخليفة الظاهر بالغفور والسمحة وخفيفه للإجراءات الظالمة التي اتخذها أبوه (الحاكم بأمر الله) ضد أهل السنة. إلا أننا نستطيع القول: إن خلافته قد شهدت اضطهاداً لأهل السنة، خاصة علماء المالكية منهم. ففي عام (١٦٤هـ / ٢٥٠م) أمر الخليفة الظاهر بنفي فقهاء المالكية خارج مصر^(٥٨)، وشدد على نشر المذهب الشيعي في البلاد، وأمر بحفظ كتاب القاضي التعمان بن حيون "دعائم الإسلام" وكتاب الوزير يعقوب بن كلس في الفقه الشيعي "الرسالة الوزيرية"^(٥٩) وأعطي لمَن يحفظها كثيراً من المال. ونشط دعاة الشيعة لتحفيظ الناس مبادئ مذهبهم، فكانوا يعقدون المجالس، لدراسة وحفظ هذه الكتب^(٦٠). وتأثر المذهب السنّي في مصر، لذلك فقد تحرك أهل السنة، وقدموها احتجاجاً للخليفة الظاهر معتبرين عن غضبهم من هذه الإجراءات، وأمام هذا الغضب الذي كاد أن ينذر بثورة عارمة، أمر الظاهر بإعطاء الحرية الكاملة لأهل السنة في أداء شعائرهم ، وأصدر عفواً عن علماء المالكية. فقدت مصر قبلة العلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، حتى هاجر بعض علماء المالكية من بغداد - مقر الخليفة

العباسية - إلى القاهرة - مقر الخلافة الفاطمية - وكان من أشهر هؤلاء العلماء القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر (٣٦٢-٤٢٢هـ / ٩٧٢-١٠٣٠م).

(ج) ثورة الشيعة:

إن كان عصر الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧هـ / ١٠٢٠-١٠٣٥م) قد شهد اضطهاداً لأهل السنة، فإنه قد شهد كذلك اضطهاد بعض علماء الشيعة. ففي عام (٤٢٣هـ / ١٠٣١م) أمر الخليفة الظاهر - بدون سبب واضح - قتل أحد الدعاة الشيعة، وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية لم تذكر لنا معلومات وافية عنه إلا أنه يبدو أن هذا الشخص كانت له مكانة مرموقة عند الشيعة، حيث خرجت المظاهرات في شوارع العاصمة الفاطمية (القاهرة) ونظم بعض رجال الجيش مع التوار وقاموا بمحاصرة القصر الفاطمي، وتحدث بعض دعاة الشيعة بخلع الظاهر من عرش الخلافة الفاطمية^(٦١).

لولا أن الخليفة الظاهر تدارك الموقف فاعتذر إليهم ، وأتفق عشرين ألف دينار على الشيعة، وأصدر عفواً عاماً عن كل من شارك في هذه الثورة. فسكتت الرعية، وانتهت ثورتهم ، وعاد الهدوء إلى العاصمة من جديد.

(د) أهل الذمة في عصر الظاهر:

تعتبر أهل الذمة بالحرية الكاملة في خلافة الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ / ١٠٢٠-١٠٣٥م) حيث لم يلحق بهم أذى ، بل كانوا يحتفلون بأعيادهم في أصعب الظروف التي تمر بها البلاد. ومن ذلك ما حدث في عام (٤١٥هـ / ١٠٢٤م) وفي أثناء اجتاحت البلاد ، احتفل النصارى بعيد الفصح ، حيث اجتمع الناس بقنطرة المقس ، وضرروا الحياة، وظلوا طوال النهار، وجزءاً من الليل في هو، وقتلوا قبيح. فقد اختعلت الرجال بالنساء و كانوا يعاقدون الخمر، حتى حلت النساء في قفاف (٦٢) الحمالين من شدة السكر^(٦٣). كذلك احتفل النصارى بعيد الغطاس، فقاموا

يأيقاد المشاعل والشمع على شاطئ النيل، وكانت معهم الملاهي والمعازف، والخمر، وظلوا هكذا حتى الساعات الأولى من الصباح^(٦٤).

لكن لا يعني ذلك؛ إن الاحتفال بهذه الأعياد كان علي إطلاقه، فكثيراً ما كانت تتدخل الخلافة لمنع اختلاط المسلمين بالنصارى، وتأمرهم برفع المساكيز^(٦٥). كما كانت لا تسمح مطلقاً بترك حد من حدود الإسلام مع أهل الذمة، ففي عام (١٥٤١هـ / ١٠٢٤م) قبض علي رجل يقال له "أبو زكريا" كان نصراوياً فأسلم، وكتب الحديث الشريف، وقرأ القرآن الكريم، ثم ارتد إلى النصرانية. وقال: "ما عمل في سحر نبيكم"^(٦٦)، فأمر الخليفة الظاهر بضرب عنقه، ولم يعرض النصارى علي ذلك؛ لأنهم كانوا يعلمون خطأ هذا المرتد.

غير هذا الحادث الفريد، لم يشهد عصر الظاهر أي اضطهاد لأهل الذمة، مما جعل كثير من الباحثين^(٦٧) يشون عليه خيراً. ونحن نؤكد أن الخليفة الظاهر قد أعطي الحرية الدينية لأهل الذمة في مصر، وعاش الشعب المصري: أهل السنة والشيعة، وأهل الذمة. في نسيج واحد، ينعم فيه الجميع بالحرية الدينية، ويؤدي شعائره في حرية تامة.

*أثر الثورات الدينية علي الحياة في مصر:

كان للثورات الدينية أثر كبير علي الحياة خلال عصر الظاهر، يتضح ذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: تأثر الحجر الأسود بضربيات هذا الرزديق حيث سقط منه ثلاث قطع، فقام بنو شيبة^(٦٨) بجمع ما تفرق منه وعجنوه بالمسك، وحشو تلك الموضع وطلوها فاستمسك الحجر^(٦٩).

ثانياً: توقف طريق الحج المصري ، حيث تحولت قوافل الحجاج إلي طريق العراق والشام، فتأثر اقتصاد مصر بهذا التحول، مما اضطر الخليفة الظاهر إلي بذل ثورات المصريين

الأموال الباهظة، والخلع النفيسة ، وتتكلف الكثير في سبيل عودة الحجاج عبر الطريق المصري^(٧٠)

ثالثاً: خوفاً من انتشار هذا الحادث في العالم الإسلامي، فيستغله العباسيون في إلصاق همة الكفر والزندة بالفاطميين، فقد أصدر الخليفة الظاهر، كتاباً يرأ نفسه من هذا الحادث، ويلقي باللوم على هذا الخبيث الذي قام به.

وقد جاء في الكتاب: " وإننا لنبرأ إلى الله تعالى من هؤلاء الجهلة الكفراة الضلال، ونسأله أن يحسن معونتنا على إعزاز دينه وتوطيد قواعده وغ يكنيه ، والعمل بما أمرنا به جدنا المصطفى، وأبوبنا (علي) المرتضى.. وقد علمتم يا معاشر أوليائنا ودعاتنا ما حكمتنا به من قطع دابر هؤلاء الكفراة الفساق والفسقة المراق، وتغريقنا لهم في البلاد كل مفرق.. ولعمري إن هذه المصيبة في الإسلام فادحة ، ونكبة فادحة، فإن الله وإننا إليه راجعون^(٧١)" وبهذه الرسالة برأ الظاهر نفسه والشيعة مما أقموا به من الكفر والزندة.

رابعاً: تخفيف الاضطهاد الديني ضد أهل السنة خاصة علماء المالكية، ومنهم الحرية الدينية في تأدية شعائرهم، حتى غدت مصر قبلة العلماء من كل حدب وصوب. لدرجة أن بعضهم غادر بغداد مهاجراً إلى القاهرة ، لينعم فيها بالتسامح الديني.

خامساً: أظهرت ثورة الشيعة أمرین هامین أو همما: ارتفاع مكانة دعوة الشيعة في خلافة الظاهر، واستجابة الناس لهم، وتأثير العباد بهم، حتى إن الشعب والجندي همما جميعاً بخلع الخليفة الظاهر من عرش الخلافة الفاطمية. ومن جهة أخرى: أظهرت مدي ضعف وتدھور هيبة الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله. وأغلب الظن؛ إن هذه أول مرة - في تاريخ الدولة الفاطمية - يحاول الشيعة خلع خليفتهم. فمن المعروف أن

المذهب الشيعي ينص على الوراثة^(٧٢) في تولي الخلافة، ولا يجوز خلع الخليفة حتى وفاته.

هوما مش الفصل الرابع:

- ١- ابن أبيك: الدرة المضيئة، جـ ٦، ص ٢١٤، ابن تعز برد़ي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ١٨٩ .
- ٢- المقريزي: المقني الكبير، جـ ٣، ص ٥٦٣ .
- ٣- أبو حنيفة النعمان بن حيون: دعائم الإسلام، جـ ١، ص ٥٦ - ٥٧ .
- ٤- اختلف الروايات التاريخية في نسبة فيذكر ابن ظافر الأزدي في أعياد الدول المقاطعة، ص ١٣٤ ، والتريري في نهاية الأربع، جـ ٢٨ ، إنه أبو القاسم إلياس بن أحد بن المهدى. بينما يذكر ابن القلاسى: ذيل تاريخ دمشق ص ٦٩ ، وأبن حاد: أخبار ملوكبني عبيد، ص ١٠٣ ، والمقريزي: انها انتها الخلفاء جـ ٢ ، ص ١١٦ ، إنه عبد الرحيم بن إلياس بن أحد بن العزيز بالله. وقد ذكر الأخير أن عبد الرحيم قتل في تيس ولم يحضر إلى القاهرة .
- ٥- المقريزي: انها انتها الخلفاء، جـ ٢ ، ص ١٠١ .
- ٦- ابن ثوري برد़ي: النجوم الزاهرة، جـ ٤ ، ص ١٩٤ .
- ٧- التريري: نهاية الأربع، جـ ٢٨ ، ص ٢٠٣ .
- ٨- المسبحي: أخبار مصر، جـ ٤٠ ، ص ٢١٣ .
- ٩- هو: أبو منصور بن عبد الله، المقلب عضد الدولة، شرف العالى، ولد في بلاد ما وراء النهر، وسي وبيع وحمل إلى بخارى، ومنها إلى بغداد، ووصل إلى دمشق عام (٤٠٠ هـ / ١٠١٩ م) واشتراه القائد تبرير بن أوليم الدليمي، فنسب إليه، ودخل في خدمة الحاكم (٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) وصار يرتقى حتى تولى بعلبك (٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م) ثم ولى دمشق. و Herb إلى حلب، وظل ها إلى أن مات في (٤٣٣ هـ / ١٠٤٢ م). وقد اختلف المؤرخون في كتابة هذا الاسم؛ هكذا: يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٤٥ (البرسي)، وابن القلاسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٧١ - ٧٢ (التريري)، وأبن الأثير: الكامل، جـ ٨ ، ص ٦٩ .
- ١٠- ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٣ ، ص ٤٠٨ .
- ١١- المسبحي: أخبار مصر، جـ ٤٠ ، ص ١٦٨ ، المقريزي: انها انتها الخلفاء، جـ ٢ ، ص ١٥٤ .
- ١٢- كانت مدينة حلب تحت تصرف منصور بن لؤلؤ الذي اعترف بسلطان الخليفة الحاكم الفاطمى، وأقام الدعوة له في حلب (٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م)، ولكن لم يمتنع منصور لهذا المنصب طریلاً، فتخلص منه أهالى حلب بسبب ظلمه وعسفه، فقامت الحرب بينه وبين بنى كلاب، وبعد هزيمته فر إلى أنطاكية، فழى الحاكم

- إلى عزيز الملك فاتك - أمير بن حدان - برؤاية المدينة، وظل حتى ولِي الظاهر الخلافة الفاطمية، فساده عزيز الملك أن يستقل بحلب، ولكنه قتل على يد غلامه بدر - بتدبير من السيدة سُتّ الملك - الذي أُعلنَ السُّيادة الفاطمية على المدينة، وزال سلطان الحمدانيين. ثم أُعلن صالح بن مرداش سيطرته على المدينة. ابن الأثير: الكامل، جـ ٨، ص ٦٩، ابن تفري برد़ي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ١٩٥ .
- ١٣- المقريزي: اتعاظ الحنفاء، جـ ٢، ص ١٥٥ .
- ١٤- د / سرور: الشود الفاطمي في بلاد الشام، ص ٤٨ .
- ١٥- من الجدير بالذكر أن الفود الفاطمي لم يكن مستقرًا في حلب بسبب تطلع المرادسين إلى استرداد المدينة وقد تجلت مطامعهم حين قام نصر بن صالح بن مرداش بالاستيلاء على المدينة، وافتُح لقب "شبل الدولة" ، وظل نصر يحكم المدينة حتى ولِي الخليفة المستنصر بالله الفاطمي فأرسل إليه أنور شكين الدزيري، الذي نجح في قتل نصر عند بلدة حماة عام (٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م). ابن القلاوسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٧٤ .
- ١٦- هذا اللقب أطلقه الظاهر على الدزيري بعد انتصاره في الشام، ابن القلاوسي: نفس المصدر، نفس الصفحة.
- ١٧- ابن تفري برد़ي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ٢٥٣ .
- ١٨- المقريزي: اتعاظ الحنفاء، جـ ٢، ص ١٥٤ - ١٦١ .
- ١٩- المسبحي: أخبار مصر، جـ ٤٠، ص ٢٢٣ .
- ٢٠- المقريزي: اتعاظ الحنفاء، جـ ٢، ص ١٥٦ .
- ٢١- المقريزي: الخطط، جـ ١، ص ٢٩٩ .
- ٢٢- يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٧٠ - ٢٧١ ، د / سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٤٤ .
- ٢٣- المسبحي: أخبار مصر، جـ ٤٠، ص ٣٢ .
- ٢٤- المقريزي: اتعاظ الحنفاء، جـ ٢، ص ١٣٥ .
- ٢٥- المسبحي: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ٦١ .
- ٢٦- المقريزي: الخطط، جـ ٢، ص ١٦٨ .
- ٢٧- ابن أبيك: الدرة المضيئة، جـ ٦، ص ٣١٩ .
- ٢٨- ابن تفري برد़ي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ٢٦٢ .
- ٢٩- المقريزي: اتعاظ الحنفاء، جـ ٢، ص ١٦٢ .
- ٣٠- المسبحي: المصدر السابق، جـ ٤٠، ص ١٩٣ .
- ٣١- ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٢١٣ .
- ٣٢- المقريزي: الخطط، جـ ٢، ص ١٦٨ .
- ٣٣- المسبحي: المصدر السابق، جـ ٤٠، ص ١٩١ .
- ٣٤- المقريزي: اتعاظ الحنفاء، جـ ٢، ص ١٤٢ - ١٦٢ .
- ٣٥- المسبحي: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ١٩٢ .
- ٣٦- د / ماجد: نظم الفاطميين، جـ ١، ص ١٩٦ .

- ٣٧- المقريزي: الخطط، جـ ٤، ص ١٦٩.
- ٣٨- ابن الجوزي: المنظم، جـ ٧، ص ٢٩٧، ابن الأثير: الكامل، جـ ٨، ص ١٢٨.
- ٣٩- المقريزي: اتعاظ الخفاء، جـ ٢، ص ١٤٣.
- ٤٠- المسيحي: أخبار مصر، جـ ٤٠، ص ١٩٤.
- ٤١- المقريزي: الخطط، جـ ٢، ص ٢٩٣.
- ٤٢- المسيحي: المصدر السابق، جـ ٤٠، ص ٢٠٤.
- ٤٣- عن وصف هذا السماط انظر المقريزي: الخطط، جـ ٤، ص ٢٢٠ وما بعدها، وابن تفري بردي: النجوم الظاهرة، جـ ٤، ص ٩٧ وما بعدها.
- ٤٤- المسيحي: المصدر السابق، ص ٢٠٣.
- ٤٥- المقريزي: الخطط، جـ ٢، ص ١٦٨.
- ٤٦- المقريزي: اتعاظ الخفاء، جـ ٢، ص ١٦٦٩ - ١٧٠.
- ٤٧- لينبول: سيرة القاهرة، ص ١٣٦.
- ٤٨- المقريزي: الخطط، جـ ٢، ص ١٦٩.
- ٤٩- المسيحي: أخبار مصر، جـ ٤٠، ص ٢١٠.
- ٥٠- المسيحي: نفس المصدر، ص ٢٠٧.
- ٥١- المسيحي: نفس المصدر، ص ٢٠٩.
- ٥٢- ابن الأثير: الكامل، جـ ٨، ص ١٤٦، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٢، ص ٢٨٥.
- ٥٣- د/ محمد علي عتاقى: العلاقات الخارجية للقاطمين - رسالة دكتوراه - غير منشورة، ص ٧٥.
- ٥٤- يذكر المقريзи هذا الحادث في عام (٤١٨هـ / ١٠٢٧م)، اتعاظ الخفاء، جـ ٢، ص ١٣١.
- ٥٥- الدبوس: عمود على شكل هراوة مدلقة الرأس، المعجم الوجيز، ص ٢٢٠.
- ٥٦- ابن تفري بردي: النجوم الظاهرة، جـ ٤، ص ٢٥، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٢١٢.
- ٥٧- ابن القلائسي: ذيل دمشق، ص ٨٣، ابن حماد: أخبار ملوك بنى عبيد، ص ١٠٣، السيوطي: حسن الخاضرة جـ ١، ص ٥٢٢.
- ٥٨- الخطط، جـ ٢، ص ١٦٩.
- ٥٩- د/ كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية، ص ٦٤، د/ مصطفى غالب: تاريخ الدعوة = الإسماعيلية، ص ١٩٨.
- ٦٠- المقريزي: اتعاظ الخفاء، جـ ٢، ص ١٧٥.
- ٦١- المقريزي: الخطط، جـ ٢، ص ١٦٩.
- ٦٢- قفاف: جمع قفة، وهي وعاء من الخوص ونمورة . ابن منظور: لسان العرب، جـ ١، ص ٣٧٠.
- ٦٣- المسيحي: أخبار مصر، ص ٤٠.
- ٦٤- المقريزي: الخطط، جـ ٢، ص ٣٦١.

- ٦٥- ابن إبراهيم: بداع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٢١٢-٢١٣ .
- ٦٦- المقريزي: انماط الحنف، جـ ٢، ص ١٣٦ .
- ٦٧- د/ سيدة كاشف: أهل الذهمة، ص ١٥٢ ، د/ فاطمة عامر: أهل الذهمة في مصر، جـ ١، ص ١٦٩ .
- ٦٨- دحلان: خلاصة الكلام، ص ١٨ .
- ٦٩- اليافعي: مرآة الجنان، جـ ٣، ص ٢٨ .
- ٧٠- ابن كثير: البداية النهاية، جـ ١٢، ص ٢٨٥ .
- ٧١- ابن تفري بردي: التحorum الراهن، جـ ٤، ص ٢٤٩ - ٢٥١ .
- ٧٢- أبو حنيفة النعمان بن حيوان: دعائم الإسلام، جـ ١، ص ٥٦-٥٧ ، د/ ماجد: نظم الفاطميين جـ ١، ص ٥٦-٥٧ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تم النعم، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:
فهذه خاتمة حاولت أن أبلور فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

- ١- أثبت البحث أن المجتمعات الإنسانية عرفت ظاهرة المعاشرة، وإن الإسلام يدعو إلى أن من الواجب أن توجد بشكل مشروع جماعة منظمة داخل النظام السياسي تقوم بالمعاشرة والنقد وتدعى إلى الخير وتهي عن الشر، مصداقاً لقوله تعالى "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون" ^(١).
- ٢- أثبت البحث بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية- أن لفظ الثورة لفظ عربي أصيل، وقد ورد استخدامه في القرآن الكريم في أكثر من موضع بعده معاني، كما ورد في الحديث الشريف ومنه قول المصطفى - صلي الله عليه وسلم: "من أراد العلم فليثور القرآن" ^(٢).
- ٣- أبرز البحث خبث النظرة التقليدية للمستشرقين الغربيين الذين حاولوا وصف الحضارة الغربية بأنها حضارة الحرية، وتصوير الحضارة الإسلامية بأنها حضارة الاستبداد، ويرجع ذلك إلى أن معظم الدراسات الغربية تحمل الإسلام والفكر الإسلامي النصيب الأوفي من مسؤولية هذا الركود والاستبداد المنسب بمجتمعات الشرق الإسلامي، وفي الحقيقة إن هذا القول مجائب للصواب ويصطدم بالحقيقة التاريخية التي قررت بأن الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، قد عرفت المعاشرة للسلطان أو الحاكم، ومن الأدلة علي ذلك ثورات

الخوارج والشيعة المستمرة على مر التاريخ.

- ٤- أكدت الدراسة على تعدد أساليب المعارضة في الفكر الإسلامي، فهناك المعارضة الإيجابية، وهي التي تسعى لإحداث التغيير بالقوة سواء باليد أو اللسان، وهناك المعارضة السلبية: وهي التي تضرر الرفض والمعارضة ولكن دون القيام بأي سلوك إيجابي يعبر عن هذه المعارضة سواء باليد أو اللسان، وهو ما يسمى حديثاً في مصطلح السياسة "المقاومة البيضاء".
- ٥- أثبت البحث - بالأدلة التاريخية التي لا تدع مجالاً للشك - إن الإنسان المصري ثوري بطبيعة، وإنه يثور عندما يتطلب الأمر منه ذلك . وإن كل ما يقال عن خصوصه واستكانته مرفوضاً تماماً، وافتراء كاذب من وضع ودبالة الاستعمار قدرياً وحديثاً وذلك بقصد تدمير النفسية المصرية وتحطيم معنوياًهما.
- ٦- خلصت الدراسة إلى إن أهل الذمة في مصر الإسلامية لم يكونوا عنصراً مهماً من عناصر المجتمع المصري، ولا طائفة مضطهدة من جانب الولاة، بل على العكس فقد قنعوا بكامل حرفيتهم الدينية والاجتماعية، فمارسوا طقوسهم الدينية في هدوء وسلام، كما احتفلوا بأعيادهم الدينية وقاموا بما اعتادوا عليه في أثناء هذه الاحتفالات التي شاركهم فيها كثير من المسلمين، وإن معظم ثورات أهل الذمة كانت بسبب زيادة الخراج وليس بسبب الاضطهاد الديني.
- ٧- أثبت البحث أن ثورات المصريين كان لها دور في ضعف واهيار اقتصاد الدولة الإخشيدية مما جعلها فرصة للأطماع الفاطمية، التي حاولت أكثر من مرة فتح مصر، حتى نجحت في ذلك على يد القائد جوهر الصقلي (٣٥٨-٩٦٩م).

- عالج البحث بالتفصيل مراحل بناء القاهرة علي يد القائد جوهر الصقلي، وإن ثورات المصريين ضد الفاطميين كانت إحدى أسباب بناء هذه المدينة الجديدة. كما أوضح البحث إن الغرض من بناء الجامع الأزهر هو نشر المذهب الشيعي في مصر.
- أثبت البحث أن المصريين لم يستسلموا لفتح الفاطمي، وظهرت المقاومة الإخشيدية، وقام أهل تنيس بثورة ضد القائد جوهر الصقلي، الذي حضر إلى المدينة وصالح أهلها علي الطاعة، كما قام "عبد العزيز بن إبراهيم الكلابي" بالثورة في الصعيد، وكاد أن ينجح لولا وصول الإمدادات إلى القائد الفاطمي "بشاره النبي" الذي نجح في قتل الثائر وقضى على الثورة.
- خلصت الدراسة إلى أن القائد جوهر الصقلي قد نجح في أن يستغل سوء الحالة الاقتصادية التي مرت بها مصر بعد الفتح الفاطمي فأصدر عملة شيعية كتب عليها اسم الخليفة المعز الفاطمي، مما أدى إلى إشعال ثورة الصيارفة في الفسطاط، ونجح القائد جوهر في القضاء عليها.
- أظهر البحث أن الثورات التي قامت في عهد الخليفة العزيز بالله كانت داخلية- سياسية وقولية - ونجح الجيش الفاطمي في القضاء عليها.
- كشف البحث عن مراحل بناء الأسطول في مصر، منذ الفتح الإسلامي لها وحتى عصر الدولة الفاطمية. وكان لهذا الأسطول دور هام في الدفع عن سواحل مصر الشمالية، وقد ثارت ثائرة المصريين عندما قام تجار الروم بحريق هذا الأسطول وقتلوا منهم نحو مائة وستين رجلاً فضلاً عن تخريب بيوعهم.
- أثبت البحث أن الحكم الفاطمي في بلاد الشام لم يكن مستقرًا نظرًا للأخطار

التي هددت نفوذ الفاطميين فيها، وإنما كان نفوذهم فيها مرتبطة بقوتهم العسكرية فإذا ما ضعفت قواهم فيها قام الأمراء المحليون بالعمل على توطيد استقلالهم الذاتي والانفصال عن التبعية للفاطميين.

١٤ - أظهر البحث أن الفاطميين تطلعوا إلى بسط نفوذهم على بلاد الحجاز ليكسبوا خلافتهم قوة أمام العالم الإسلامي حيث إن أمير المؤمنين الحقيقي — في نظر المسلمين — هو الذي يستطيع بسط نفوذه على الحرمين الشريفين.

١٥ - أظهر البحث إن ولادة مكة والمدينة رغم أقامتهم الدعوة لبني العباس في فترات مختلفة فإنهم لم ينحازوا لهم في مناهضة الفاطميين، بل حرصوا على إظهار ولائهم للفاطميين رغم محاولات العباسين المستمرة لاستمالتهم، وتشجيعهم على الثورة.

١٦ - أثبت البحث أن انخفاض النيل لم يكن سبباً حقيقياً في معظم المجاعات التي وقعت في الدولة الفاطمية. وخاصة في عصر الظاهر - فترة البحث — وإن هناك عوامل أخرى هي التي دفعت بالبلاد إلى حافة المجاعة، وأهم هذه العوامل: الاحتكار التجاري، والإعراض عن طرح السلع الغذائية في الأسواق حتى ترتفع أسعارها، وكان لضعف شخصية الظاهر لإعزاز الله دور كبير في ذلك.

١٧ - أثبت البحث إن ثورات المصريين كان لها دور في اضطراب السياسة الخارجية للدولة الفاطمية حيث خرجت أملاكها في الشام، والجزائر، وبرقة . من حوزتها أثناء الثورة، ولكنها كانت سرعان، ما كانت تستعيد هيبتها على هذه المناطق بعد القضاء على الثورة.

- ١٨ - أكدت الدراسة أن ثورات المصريين والجماعات، كانت السبب في تحول مصر إلى التعامل النقدي على أساس معدني الذهب والفضة. إذ أدى ارتفاع الأسعار إلى انخفاض قيمة العملة الذهبية السائدة في التعامل "الدنانير" مما دفع التجار إلى اكتنازها. وكان انخفاض سعر صرف الدراهم بالنسبة للدينار تعبيراً عن اختفاء الذهب من التعامل، مما اضطر الحكم بأمر الله إلى تقرير سعر صرف الدرهم فتحولت مصر إلى قاعدة المعدن، ومعنى ذلك إن عصر الفضة بدأ في عهد الدولة الفاطمية.
- ١٩ - خلصت الدراسة إلى أن استخدام أهل الذمة في عصر الولاة كان مقصراً على القبط، بينما نجد الخلفاء الفاطميين يستخدمون اليهود أيضاً في مختلف الوظائف. ومن هؤلاء الخلفاء الحكم بأمر الله؛ الذي وصفه كثير من المؤرخين بالقسوة الشديدة إزاء أهل الذمة، فكان كثيراً من وزرائه وكتابه وعمال الخراج من الذميين.
- ٢٠ - أثبت البحث أن الحكم بأمر الله لم يدع الألوهية، حيث لم يرد عنه أنه صرخ بذلك، وأن الثورة قامت ضد الأخرم الفارسي الذي قُتل، وإن المصريين - أهل السنة والشيعة - قد قاموا بهذه الدعوة، ولم يكن لها أي أثر إلا عند بعض الأفاقين من أهل الذمة، أو بعض الجهلاء الذين ظاهروا بقبوحاً اجتناءً لمنع أو ابقاء لنقطة.

- ٢١ - أثبت البحث أن ما جاء في محاضر العباسين من طعن وتشهير قصد به - بدرجة كبيرة - شخص الحكم بأمر الله ثارت حوله بعض الشبهات، ولكن يؤخذ على العباسين الجرأة في الحكم على الفاطميين وذلك باهتمامهم، بالكفر

والزنادقة، وهي تهم تحتاج إلى أدلة قوية وصحيحة لتحكم عليهم هذا الحكم.

أظهر البحث أن الفاطميين لم يسرفو في سفك الدماء أثناء القضاء على الثورات، ولم يحدث تجاوزا إلا في عهد الحاكم بأمر الله وذلك لأسباب سياسية وأمنية بحثه رآها الحاكم وسيلة لثبت دعائم حكمه، وما عدا ذلك كان حوادث فردية لا يخلو منها أي مجتمع.

هوامش الخاتمة:

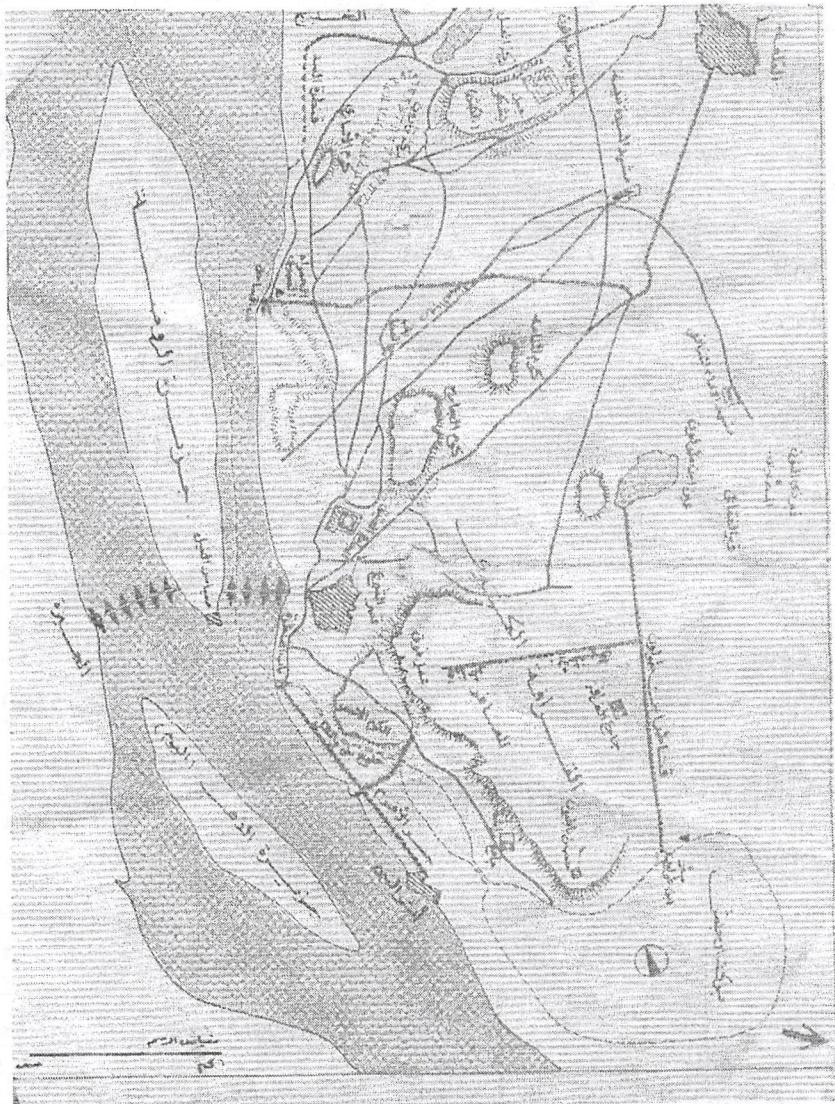
١- سورة آل عمران - آية ٤ .

٢- سبق تخربيه

الملاحق

ملحق رقم (١)

خرائط لمدينة الفسطاط سنة ٤١٥هـ



ملحق رقم (۲)

قائمة بالثورات في مصر منذ عصر الولاة وحتى نهاية عصر الظاهر الفاطمي

السنة	ولي مصر	نوع الثورة	مكان الثورة	قائد الثورة
١٠٧-٧٢٥م	الحر بن يوسف	الاقتصادية	الوجه البحري	المصريون
١٢١-٧٣٩م	حنظلة بن صفوان	الاقتصادية	الصعيد	المصريون
١٣٢-٧٥٠م	عبد الملك بن مروان بن موسى	سياسية	ستنود	أهل الذمة
١٣٢-٧٥٠م	عبد الملك بن مروان بن موسى	الاقتصادية	رشيد	مينا بن يقرة
١٥٠-٧٦٧م	يزيد بن حاتم	الاقتصادية	سخا	أهل المدينة
١٦٧-٧٨٣م	موسي بن مصعب	الاقتصادية	الحروف الشرقي	أهل الحروف
١٧٨-٧٩٤م	إسحاق بن سليمان	الاقتصادية	الحروف الشرقي	أهل الحروف
١٨٦-٨٠٢م	الليث بن الفضل	الاقتصادية	الحروف الشرقي	أهل الحروف
٢١٦-٨٣١م	عيسى بن منصور	الاقتصادية	الوجه البحري	المصريون
٢٥٥-٨٦٩م	احمد بن طرلون	سياسية	الصعيد	احمد بن طباطبا العلوي
٢٥٥-٨٦٩م	احمد بن طرلون	سياسية	الصعيد	ابن الصوف العلوي

أبو الروح سكن	الصعيد	سياسية	أحمد بن طولون	٨٧٤-٢٦٠
أهل السنة	الفسطاط	دينية	محمد بن طفح الإخشیدی	٩٣٨ - ٣٢٦
ابن السراج	الفسطاط	دينية	محمد بن طفح الإخشیدی	٩٤٢ - ٣٣٠
غلبون	الصعيد	سياسية	كافر الإخشیدی	٩٤٧ - ٣٣٥
محمد بن أهـد السلمي	الفسطاط	سياسة	كافر الإخشیدی	٩٦٣ - ٣٥٢
بني سليم	الصحراء الشرقية	سياسية	كافر الإخشیدی	٩٦٦ - ٣٥٥
تحرير بن الشوزباني	القاهرة	سياسة داخلية	المعز لـ الدين الله	٩٦٩ - ٣٥٨
تبر الإخشیدی	القاهرة	سياسة داخلية	المعز لـ الدين الله	٩٦٩ - ٣٥٨
الصيارة	الفسطاط	الاقتصادية	المعز لـ الدين الله	٩٦٩ - ٣٥٨
الصيارة	تونس	سياسة داخلية	المعز لـ الدين الله	٩٧٠ - ٣٦٠
المصريين والمغاربة	القاهرة	طائفية	المعز لـ الدين الله	٩٧١ - ٣٦١
عبد العزیز إبراهيم الکلابی	الصعيد	سياسة داخلية	المعز لـ الدين الله	٩٧١ - ٣٦١
أهل المدينة	تونس	سياسة داخلية	المعز لـ الدين الله	٩٧١ - ٣٦١
المصريون	القاهرة	قولية	المعز لـ الدين الله	٩٧١ - ٣٦١

المصريون والمغاربة	القاهرة	طائفية	العز لدين الله	٩٧٣-٣٦١
أهل السنة	القاهرة	دينية	العز لدين الله	٩٧٣-٣٦١
أهل السنة	القاهرة	دينية	العز لدين الله	٩٧٣-٣٦١
أحد المصريين لم يسم	القاهرة	قولية	العز لدين الله	٩٧٥-٣٦١
أفكين الترکي	دمشق	سياسة خارجية	العزيز بالله	٩٧٣-٣٦١
قسام الحارثي	دمشق	سياسة خارجية	العزيز بالله	٩٧٨-٣٦١
قسام الحارثي	دمشق	سياسة داخلية	العزيز بالله	٩٧٨-٣٦١
حرة بن ثلة الكتامي	أسوان	سياسة داخلية	العزيز بالله	٩٧٨-٣٦١
المصريون	القاهرة	قولية	العزيز بالله	٩٦٣-٣٧١
المصريون	القاهرة	قولية	العزيز بالله	٩٨٧-٣٧١ تقريراً
أبو حازم	مكة	سياسة خارجية	العزيز بالله	٩٨٧-٣٧١
أمير حاج العراق	مكة	سياسة خارجية	العزيز بالله	٩٩٠-٣٨١
بالقاسم بن علي الرسبي	مكة	سياسة خارجية	العزيز بالله	٩٩٤-٣٨١
محمد بن الحسن بن احمد	اسوان	سياسة داخلية	العزيز بالله	٩٩٥-٣٨١
المصريون	القطاط	طائفية	العزيز بالله	٩٩٦-٣٨١
علاقة الملاح	صور	سياسة خارجية	الحاكم بأمر الله	٩٩٨-٣٨٨
المفرج بن دغفل	الرملاة	سياسة خارجية	الحاكم بأمر الله	٩٩٨-٣٨٨

١٠٠٠ — ٣٩٠	الحاكم بأمر الله	طائفية	القاهرة	المصريون
١٠٠١ — ٣٩٢	الحاكم بأمر الله	سياسة داخلية	القاهرة	عبد الأعلى بن هاشم
١٠٠٤ — ٣٩٥	الحاكم بأمر الله	سياسة خارجية	برقة	الوليد بن هشام أبو ركوة
١٠٠٤ — ٣٩٥	الحاكم بأمر الله	الاقتصادية	القاهرة	المصريون
١٠٠٤ — ٣٩٥	الحاكم بأمر الله	دينية	القاهرة	أهل السنة
١٠٠٦ — ٣٩٧	الحاكم بأمر الله	التصادية	الفسطاط	الصيادفة
١٠٠٧ — ٣٩٨	الحاكم بأمر الله	التصادية	القاهرة	المصريون
١٠٠٩ — ٤٠٠	الحاكم بأمر الله	سياسة خارجية	مكة	الحسن بن جعفر الحسني
١٠١١ — ٤٠٢	الحاكم بأمر الله	قولية	القاهرة	المصريون
١٠١٢ — ٤٠٣	الحاكم بأمر الله	دينية	القاهرة	أهل الذمة
١٠١٨ — ٤٠٩	الحاكم بأمر الله	قولية	القاهرة	المصريون
١٠١٨ — ٤٠٩	الحاكم بأمر الله	دينية	القاهرة	أهل السنة
١٠٢٠ — ٤١١	الظاهر لإعزاز دين الله	سياسة داخلية	القاهرة	المصريون
١٠٢٠ — ٤١١	الظاهر لإعزاز دين الله	سياسة خارجية	دمشق	عبد الرحيم بن إلیاس
١٠٢٢ — ٤١٣	الظاهر لإعزاز دين الله	دينية	مكة	أهل السنة
١٠٢٣ — ٤١٤	الظاهر لإعزاز دين الله	سياسة خارجية	برقة	أهل المدينة
١٠٢٣ — ٤١٤	الظاهر لإعزاز دين الله	التصادية	القاهرة	المصريون

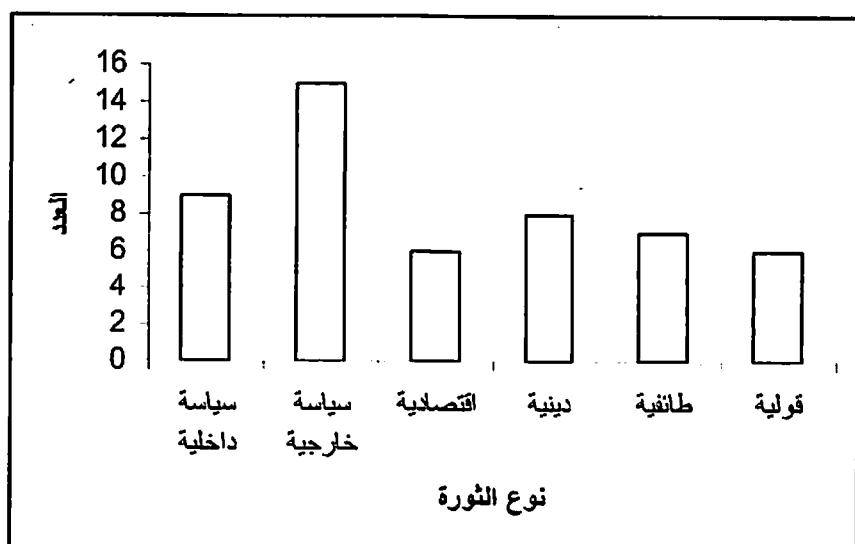
تأثير من بنى الحسين	الصعيد	سياسة خارجية	الظاهر لإعزاز دين الله	١٠٢٤ - ٤١٥
حسان بن الجراح	فلسطين	سياسة خارجية	الظاهر لإعزاز دين الله	١٠٢٤ - ٤١٥
صالح بن مرداس	حلب	سياسة خارجية	الظاهر لإعزاز دين الله	١٠٢٤ - ٤١٥
سنان بن عليان	دمشق	سياسة خارجية	الظاهر لإعزاز دين الله	١٠٢٤ - ٤١٥
المصريون	القاهرة	اقتصادية	الظاهر لإعزاز دين الله	١٠٢٤ - ٤١٥
العبيد السودانيون	تنisis والأشونين	طائفية	الظاهر لإعزاز دين الله	١٠٢٤ - ٤١٥
علماء المالكية	القاهرة	دينية	الظاهر لإعزاز دين الله	١٠٢٥ - ٤١٦
الأتراك والمغاربة	القسطاط	طائفية	الظاهر لإعزاز دين الله	١٠٢٩ - ٤٢٠
الشيعة	القاهرة	دينية	الظاهر لإعزاز دين الله	١٠٣١ - ٤٢٣

ملحق رقم (٣)

جدول ورسم بياني لعدد الثورات وأنواعها في العصر الفاطمي

نوع الثورة	العدد	نوع الثورة
سياسة داخلية	٩	١٧,٦
سياسة خارجية	١٥	٢٩,٤
اقتصادية	٦	١١,٧
دينية	٨	١٥,٦
طائفية	٧	١٣,٧
قولية	٦	١١,٧
المجموع	٥١	١٠٠% تقريباً

جدول كمي يبين عدد الثورات ونوعها في عهد الخلفاء الفاطميين



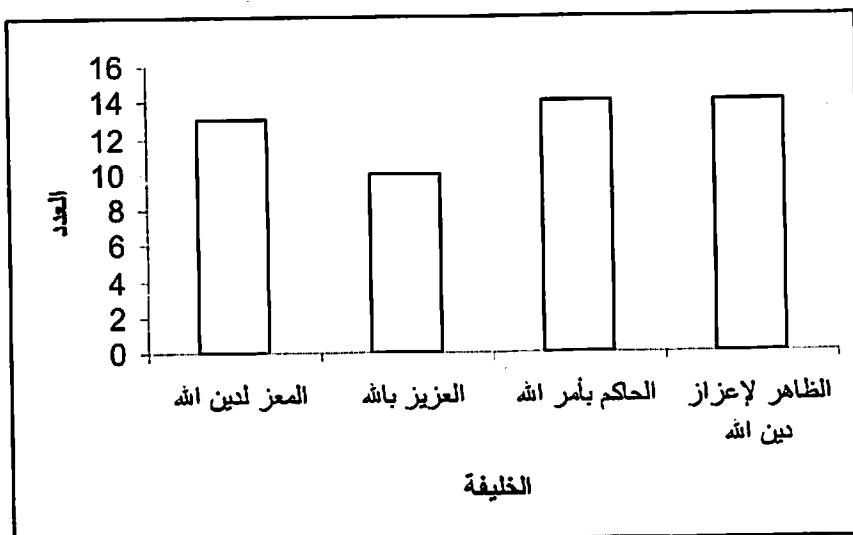
رسم بياني يوضح أنواع الثورات في عهد الخلفاء الفاطميين

ملحق رقم (٤)

جدول ورسم بياني لعدد الثورات وأنواعها في عهد الخلفاء الفاطميين

الخليفة	عدد الثورات	النسبة المئوية
المعز لدين الله	١٣	٢٥,٤
العزيز بالله	١٠	١٩,٦
الحاكم بأمر الله	١٤	٢٧,٤
الظاهر لإعزاز دين الله	١٤	٢٧,٤
المجموع	٥١	١٠٠ % تقريباً

جدول كمي يبين عدد الثورات في عهد الخلفاء الفاطميين



رسم بياني لعدد الثورات في عهد الخلفاء الفاطميين

ملحق رقم (٥)

رسالة الظاهر لإعزاز دين الله يستنكر فيها ما قام به أحد غلاة الشيعة من كسر الحجر الأسود عام ١٤٥٤هـ / ١٠٢٤ (١)

((وذمت طائفة من النصيرية^(٢) إلى الغلو في أئبنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، غلت وادعت فيه ما ادعت النصارى في المسيح . ونجمت من هؤلاء الكفرا فرقة سخيفة العقول ضالة بجهلها عن سوء المسيل. فقلوا فيما غلوا كبيراً، وقلوا في آياتنا وأجداننا منكراً من القول وزوراً، ونسبوا بغلوهم الأشنع، وجهلهم المستفطع، إلى ما لا يليق بنا ذكره، وإنما لنبراً إلى الله تعالى من هؤلاء الجهلة الكفرا الضلال. ونسأله أن يحسن معونتنا على إعزاز دينه وتوطيد قواعده وتمكينه، والعمل بما أمرنا به جدنا المصطفى، وأبوبنا علي المرتضى، وأسلافنا البررة أعلام المهدى، وقد علمت يا معاشر أوليائنا ودعاتنا ما حكمنا به من قطع دابر هؤلاء الكفرا الفساق، وال مجرمة المراق، وتفريقنا لهم في البلاد كل مفرق، فظعنوا في الآفاق هاربين، وشردوا مطرودين خائفين وكان من جملة من دعاه الخوف منهم إلى الانتراح رجل من أهل البصرة أهوج أثول^(٣) غال مضل، سار مع الحجيج إلى مكة - حرسها الله - فرقاً من وقع الحسام. وتسريا بالحج إلى بيت الله الحرام، فلما حصل في البيت المفضل المعظم والمخل المقدس المكرم. وحله لم في عقله على قصد الحجر الأسود حتى قصده وضربه بدبيوس ضربات متواتلات، أطارت منه شطايا وصلت بعد ذلك، ثم إن هذا الكافر عوجل بالقتل على أسوأ حاله وأضل أعماله، وألحق بأمثاله من الكفرا الساردين موارد ضلاله، ذلك لهم خزي في الدنيا وظم في الآخر عذاب عظيم ، ولعمري إن هذه لصبية في الإسلام قادحة ، ونكبة فادحة، فإن الله وإنما إليه راجعون، لقد ارتقى هذا الملعون مرتفقاً عظيماً ومقاماً جسيماً، اذكر به ما كان أقدم عليه غلام ثقيف المعروف بالحجاج - لعنة الله - من إحراق البيت وهدمه، وإزالة بنائه وردمه)).

١- ابن تغري بردي: التبؤم الراهن في ملوك مصر والقاهرة، جـ٤، ص ٤٩ - ٢٥٠.

٢- النصيرية: فرقة من غلاة الشيعة، يقرّون بأن ظهور الروحاني بالجسد الجنسي أمر لا ينكره عاقل، ويررون أن علي بن أبي طالب أفضل البشر بعد النبي - صلي الله عليه وسلم - الشهر ستان: المل والتحل، جـ١،

- ص ١٦٨ - ١٦٩، د. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج ٤ ، ص ٢٦٥ - ٢٦٧، السيد عبد الحسين العسكري : الطوبيون أو النصيرية ، شركة الشعاع للنشر، السالية، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٣٢.
٣- قال الرجل : حق أو بدا ليه الجفون ولم يستحكم . المعجم الوجيز، ص ٨٦.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- ١- ابن الأثير: (عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني ت ٦٣٠ هـ / ١٣٣٢ م) : **الكامل في التاريخ**، ١٢ جزء، مراجعة د/ محمد يوسف الدقاد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م).
- ٢- ابن الأخوة: (محمد بن محمد بن أحمد القرشي ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م) : **معالم القربة في أحكام الحسبة**، تحقيق د/ محمد محمد شعبان، وصديق عيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦ م.
- ٣- الأفودي (أبي الفضل كمال الدين جعفر بن ثلث الشافعي ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) : **الطالع السعيد الجامع** أسماء نجاء الصعيد، تحقيق / سعد محمد محمد حسن، مراجعة د/ طه الحاجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١ م.
- ٤- الإصطخري: (ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي ت ٣٤٥ هـ / ٦٥٢ م) : **المسالك والمالك**، تحقيق د/ محمد جابر عبد العال، مراجعة د/ محمد شفيق غربال، دار الكتب المصرية، مركز تحقيق التراث، ١٩٦٩ م.
- ٥- ابن أبي اصيبيعة: (موسى الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخنزري ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) : **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق د/ نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥ م.

- ٦- الأزدي: (جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر ت ٥٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م): أخبار الدول المقطعة، تحقيق د/ علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.
- ٧- الإنطاكي (بيبي بن سعيد ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م): تاريخ الإنطاكي، أو صلة كتاب أو تيحا، أو تاريخ الذيل المسمى التاريخ الجموع على التحقيق والتصديق، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري، مطبعة جروس برس، لبنان، ١٩٩٠ م.
- ٨- ابن إياس: (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، الجزء الأول من القسم الأول، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
- ٩- ابن أبيك الدواداري: (أبي بكر بن عبد الله ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م): كثر الدرر وجامع الغرر، ج ٦، المسمى (الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية)، تحقيق د/ صلاح الدين المنجد، يصدرها قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة، مطبعة جنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م.
- ١٠- ابن أبيك الصفدي: (صلاح الدين خليل ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م): السوافي بالوافيات، ٢٤ جزء، تحقيق شكري فيصل وآخرون، دار النشر فرانز شتاينز، القاهرة، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
- ١١- ابن بسام: (محمد بن أحمد التيسبي ت ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م): أنيس الجليس في أخبار تيس، تحقيق د/ جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.

- ١٢ - ابن تغري بردي: (جال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الأجزاء ١-٤، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣ م.
- ١٣ - مورد اللطافة في من ولـيـ السـلـطـنةـ وـالـخـلـافـةـ، جـزـءـانـ، تـحـقـيقـ دـ/ـ نـبـيلـ مـعـبدـ العـزـيزـ، دـارـ الـكـتبـ الـمـصـرـيـةـ، الـقـاهـرـةـ، ١٩٩٧ـ مـ.
- ١٤ - ابن الجوزي: (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م): المنظم في تاريخ الأمم والملوک، ج ٧، ٨، ج ٧، ٨، دارة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٥٨ هـ.
- ١٥ - ابن حماد: (أبي عبد الله محمد بن علي ت ٥٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م): أخبار ملوكبني عبيد وسيرهم، تحقيق د/ عبد الخليل عويس، ود/ التهامي نقرة، دار الصحوة، القاهرة، (بدون تاريخ).
- ١٦ - ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت ٨٠٨ هـ / ١٤٥ م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، (بدون تاريخ).
- ١٧ - ابن خلگان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الرمان، ٨ أجزاء، تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
- ١٨ - دحلان: (السيد أحمد بن زيني دحلان ت ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م): خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلى وقتنا هذا بال تمام، المطبعة الخيرية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٠٥ هـ.

- ١٩- ابن أبي دينار: (أبي عبد الله بن أبي القاسم القررواني ت ١١١٠ هـ / ١٦٩٨ م): المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، دار المسيرة، بيروت، ١٩٩٣ م.
- ٢٠- الذهبي: (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق د/ عبد السلام تدمري، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.
- ٢١- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وأكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- ٢٢- ابن زولاق: (الحسن بن زولاق ت ٥٣٨٧ هـ / ١٩٩٧ م): فضائل مصر وأخبارها وخصوصها، تحقيق د/ علي محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩ م.
- ٢٣- ساويros: (ساويرس بن المفع الم توفى في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / أو اخر العاشر الميلادي): تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير الآباء البطاركة، أربع مجلدات، قام علي نشره الأساتذة عيسى عبد المسيح، عزيز سوريان عطية، وأرسول دير مستر، مطبوعات جمعية الآثار القبطية، القاهرة، ١٩٤٨ م.
- ٢٤- السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م): تاريخ الخلفاء، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م).
- ٢٥- حسن المعاشرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.

- ٢٦- الشهري: (أبي الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ / ١٥٣ م): الملل والنحل، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
- ٢٧- أبو صالح الأرماني: (أبو المكارم جرجس مسعود ت ٦٠٥ هـ / ١٢٠٩ م): تاريخ كنائس وأديرة مصر، أكسفورد، ١٨٩٥ م.
- ٢٨- الطبرى: (أبو جعفر بن محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ / ٦٢٢ م): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣ م.
- ٢٩- ابن ظهير: (أبو السعادات جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين ت ٨٦١ هـ / ٤٥٧ م): الفضائل الباهرة في محسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا، وكمال المهندي، دار الكتب المصرية، مركز تحقيق التراث، ١٩٦٩ م.
- ٣٠- ابن العبرى: (غريغوريوس أبو الفرج هارون الملطي ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م): تاريخ منتصر الدول، تحقيق الأب أنطون صالحاني العيسوى، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢ م.
- ٣١- عريب بن سعيد القرطبي ت ٣٦٦ هـ / ٩٧٧ م): صلة تاريخ الطبرى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧ م.
- ٣٢- العماد الحنبلي: (شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد ت ١٦٧٨ هـ / ١٠٨٩): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الجزء الثالث، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦ م.
- ٣٣- أبو القدا: (عماد الدين إسماعيل ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م): المختصر في أخبار الشر، دار المعرفة، بيروت، (بدون تاريخ).

- ٣٤- ابن القلansi: (جزء بن أسد بن علي بن محمد التميمي ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م): ذيل تاريخ دمشق، وبه نخب من تواریخ ابن الفارقی، وسبط ابن الجوزی، والذہبی، تحقيق آمدو ز، مکتبة المتنی بالقاهرة، (بدون تاریخ).
- ٣٥- ابن کثیر: (عماد الدين أبو الفداء إسماعیل بن عمر ت ٥٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م): البداية والنهاية، ج ١١، ج ١٢، تحقيق محمد عبد العزیز الجار، دار الغد العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م.
- ٣٦- المسبحی: (الأمير المختار عز الملك أبو عبدالله محمد بن عیید الله ت ٤٢٠ هـ / ٩٥٧ م): (٣٦) أخبار مصر في ستین ٤١٤ هـ، تحقيق ولیم ج ملیورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠ م.
- ٣٧- المقریزی: (تقی الدین أبو العباس أحمد بن علی ت ٨٤٥ هـ / ١١٤١ م): اتعاظ الخنقا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ٣ أجزاء، الجزء الأول تحقيق د/ جمال الدين الشیال، الجزء الثاني و الثالث تحقيق د/ محمد حلمی محمد أھمد، المجلس الأعلى للشیون الإسلامية، جنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م).
- ٣٨- إغاثة الأئمة بكشف الغمة أو تاريخ الجماعات في مصر، تحقيق د/ جمال الدين الشیال، د/ محمد مصطفی زیاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٩٩ م، وتحقيق جدید للدکتور / سعید عبد الفتاح عاشور، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٠ م.
- ٣٩- رسائل المقریزی، تحقيق أھمد مصطفی قاسم، و رمضان البدری، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٧ م.

- ٤٠ - المففي الكبير، ٧ أجزاء، تحقيق محمد العلاوي، دار الغرب الإسلامي،
بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
- ٤١ - الموعظ والاعتبار بذكر الخطوط والآثار، ٤ أجزاء، مكتبة الآداب ،
القاهرة ١٩٩٦ م.
- ٤٢ - ابن منجوب الصيرفي: (أمين الدين أبو القاسم علي بن منجوب بن سليمان
الكاتب ت ١٤٤٢ هـ / ١١٤٧ م): إشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق
عبد الله مخلص، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
- ٤٣ - ابن ميسر: (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب ت
١٢٧٨ هـ / ٩٧٣ م): المستقى من أخبار مصر، تحقيق د/ أيمن فؤاد
سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، (بدون تاريخ).
- ٤٤ - النعمان المغربي (أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد التميمي ت
١٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م): دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا
والأحكام من أهل بيته، تحقيق آصف بن علي آصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة،
جزءان، تحقيق آصف بن علي آصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة،
الطبعة الثالثة، ١٩٨٥ م.
- ٤٥ - النزيري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م): نهاية
الأرب في فنون الأدب، الأجزاء ٢٢ - ٢٨، تحقيق د/ محمد محمد
أمين، ود/ محمد حلمي محمد أحمد، وآخرون، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ .
- ٤٦ - ابن هاني الأندلسي: (محمد بن هاني بن محمد ت ٩٣٦ هـ / ١٣٧٢ م): ديوان
ابن هاني، تحقيق زاهد علي، بيروت، ١٣٢٦ هـ.

٤٧ - ابن الوردي: (زين الدين عمر بن مظفر ت ٦٤٩ هـ / ١٣٤٨ م): *تاريخ ابن الوردي، تنمية المختصر في أخبار البشر*، جزءان، المطبعة الحيدرية، النجف، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.

٤٨ - اليافعي: (أبو محمد عبد الله بن أبى علی بن سليمان اليماني ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م): *مرآة الجنان وعبرة اليقظان* في معرفة ما يعتبر من حروادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

ثانياً: المراجع العربية الحديثة:

٤٩ - إبراهيم شعوط (دكتور): *أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الإسلامي*، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

٥٠ - أحد السيد الصاوي (دكتور): *مجاعات مصر الفاطمية، أسباب — ونتائج*، دار التضامن، بيروت، لبنان، ١٩٨٨ م.

٥١ - أحد سيد محمد (دكتور): *الشخصية المصرية في الأدبين الفاطمي والأيوبي*، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢ م.

٥٢ - أحد مختار العبادي (دكتور): *في التاريخ العباسي والفاطمي*، دار النهضة العربية، بيروت، (بدون تاريخ).

٥٣ - أمينة أحد إمام الشورجي (دكتورة): *رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي*، الهيئة العامة للكتاب، تاريخ المصريين العدد (٧٢)، القاهرة، ١٩٩٤ م.

٥٤ - جمال حдан (دكتور): *شخصية مصر — دراسة في عصرية المكان*— ٣ أجزاء، دار الهلال، القاهرة، (بدون تاريخ).

- ٥٥- حسن إبراهيم حسن (دكتور): الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، القاهرة، ١٩٣٢ م.
- ٥٦-: تاريخ الإسلام السياسي والمدني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
- ٥٧-: المعز الدين الله الفاطمي مؤسس الدولة الفاطمية في مصر، بالاشتراك مع الدكتور طه شرف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣ م.
- ٥٨- حسين نصار (دكتور): الثورات الشعبية في مصر الإسلامية، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٩ م.
- ٥٩- سعاد ماهر (دكتورة): البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧ م.
- ٦٠- سيدة إسماعيل كاشف (دكتورة): مصر الإسلامية وأهل الذمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تاريخ المصريين العدد (٥٧)، القاهرة، ١٩٩٣ م.
- ٦١- مصر في عصر الإخشيديين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تاريخ المصريين، العدد (٢٩)، القاهرة، ١٩٨٩ م.
- ٦٢- صابر محمد دياب (دكتور): سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٣ م.
- ٦٣- عبد الحليم عويس (دكتور): قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخي، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٨٥ م.
- ٦٤- عبد المنعم ماجد (دكتور): الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٩ م.

- ٦٥.....: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، *التاريخ السياسي*، مكتبة الحرية الحديثة، الإسكندرية، ١٩٨٥ م.
- ٦٦.....: *نظم الفاطميين ورسومهم في مصر*، جزءان، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥ م.
- ٦٧.....: فاطمة مصطفى عامر (دكتورة): *تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، *تارikh المصريين* العدد (١٧٢) و (١٧٣)، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
- ٦٨.....: قاسم عبده قاسم (دكتور): *أهل الذمة في مصر العصور الوسطى* - دراسة وثائقية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٧ م.
- ٦٩.....: كمال الدين سامح (دكتور): *العمارة الإسلامية في مصر*، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧ م.
- ٧٠.....: محمد جمال الدين سرور (دكتور): *مصر في عصر الدولة الفاطمية، النهضة المصرية*، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- ٧١.....: *دولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة*، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٩ م.
- ٧٢.....: *سياسة الفاطميين الخارجية*، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤ م.
- ٧٣.....: *النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب*، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٠ م.
- ٧٤.....: *النفوذ الفاطمي في بلاد الشام وال العراق*، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٧ م.

- ٧٥ - محمد جدي المناوي (دكتور): **الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي**، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، م ١٩٧٠.
- ٧٦ - محمد ضياء الدين الرئيس (دكتور): **الخارج والنظم المالية للدولة الإسلامية**، دار الأنصار، القاهرة، م ١٩٩٧.
- ٧٧ -: **النظريات السياسية الإسلامية**، دار التراث، القاهرة، الطبعة السابعة، م ١٩٧٩.
- ٧٨ -: محمد عبد الفتاح أبو الفضل: **تأملات في ثورات مصر، علي ضوء قراءات تاريخية**، ٣ أجزاء، الهيئة المصرية للغات، دار الكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، م ١٩٩٤.
- ٧٩ - محمد عمارة (دكتور): **الإسلام والثورة**، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، م ١٩٨٨ / هـ ١٤٠٨.
- ٨٠ -: عندما أصبحت مصر عربية إسلامية، دار الشروق، القاهرة، م ١٩٩٧ هـ / ١٤١٧.
- ٨١ - محمد كامل حسين (دكتور): **في أدب مصر الفاطمي**، دار الفكر العربي، القاهرة، م ١٩٦٣.
- ٨٢ - مصطفى غالب (دكتور): **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثالثة، م ١٩٧٩.
- ٨٣ - نيفين عبد الخالق مصطفى (دكتورة): **المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي**، مكتبة الملك فيصل الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، م ١٤٠٥ / هـ ١٩٨٥.

ثالثاً: المراجع الأجنبية المترجمة:

- ٨٤- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧ م.
- ٨٥- أ.س. ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ترجمة وتعليق د/ حسن جبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تاريخ المصريين العدد (٧٠)، الطبعة الثانية، ١٩٩٤ م.
- ٨٦- ستانلي لينبول: سيرة القاهرة، ترجمة د/ حسن إبراهيم حسن، ود/ علي إبراهيم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧ م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

- 87- Lane-poole (Stanley): History of Egypt in the middle ages, 4 th Ed, Landan. 1925.
- 88-Monn: The Jews in Egypt and polestine under. The Fatimid caliph, volume I, Oxford, 1920.
- 89-O' Leary (Delacy): Ashort history of the Fatimid Kha'lifate, London, 1923.
- 90-Oxfordinter Mediate: Oxford university press 1981, first published, fiftheenth impression.
- 91- P.J.vatiklotis: Revolution in the middle East and other case studies, London, Georogo Allen, unwin, 1972.

خامساً: الرسائل العلمية:

- ٩٢ - أحمد السيد شحاته سرحان: الحوف الشرقي (إقليم الشرقي) من الفتح العربي حتى نهاية الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه بآداب الزقازيق رقم (٣٢٦٤) تاريخ ١٩٩٥ م.
- ٩٣ - أمينة أحمد الشوربجي: مظاهر الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الفاطمي الأول (٥٣٥٨ـ٤٦٥م)، رسالة ماجستير، بآداب الزقازيق رقم (١٩٥٧) تاريخ ١٩٨٧ م.
- ٩٤ - حسين دويدار: الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الفاطمي، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، رقم (١٧٧٢) تاريخ ١٤٠٢ـ١٩٨٢ م.
- ٩٥ - سمير رزق: مصر في عهد العزيز بالله الفاطمي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، رقم (١١٩٣) تاريخ ١٤٠٥ـ١٩٨٥ م.
- ٩٦ - سمير عبد الله حنفي: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨ـ٥٦٧)، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، رقم (٢٤٥٨) تاريخ ١٩٩٧ م.
- ٩٧ - محمد عبد العليم العدوبي: الأزهر في العصر الفاطمي ومكانته العلمية، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، رقم (١١٧١) تاريخ ١٩٧٥ م.
- ٩٨ - محمد علي عتaci: الحياة العلمية بمصر في عهد العبيدين (الفاطميين) الأول (٣٥٨ـ٤٨٧)، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، رقم (١٠٧٣) تاريخ ١٩٨٣ م.

- ٩٩- محمد علي عتّافي: العلاقات الخارجية للفاطميين في مصر (٣٥٨) -
 رساله دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، رقم(٤٨٧) تاریخ، ١٩٨٦.
- ١٠٠- محمود عبد الفتاح شرف: مصر في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي (سياسي)،
 رساله دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، رقم(١٧٩) تاریخ، ١٩٨٢ م.

صدر من هذه السلسلة

- ١- د. عبد العظيم رمضان: مصطفى كامل في محكمة التاريخ، ط١، ١٩٨٧، ط٢، ١٩٩٤.
- ٢- رشوان محمود جاب الله: علي ماهر، ١٩٨٧.
- ٣- د. عبد السلام عبد الخليم عامر: ثورة يوليو والطبقة العاملة، ١٩٨٧.
- ٤- د. محمد نعман جلال: التياتروات الفكرية في مصر المعاصرة، ١٩٨٧.
- ٥- د. علية عبد السميع الجزاوري: غارات أوروبا على الشواطئ المصرية في العصور الوسطى، ١٩٨٧.
- ٦- نعي المطيعي: هؤلاء الرجال من مصر، ج١، ١٩٨٧.
- ٧- د. عبد المنعم ماجد: هؤلاء الرجال من مصر، ١٩٨٧.
- ٨- د. علي برگات: رؤية الجبرين لأزمة الحياة الفكرية، ١٩٨٧.
- ٩- د. محمد أنيس: صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل، ١٩٨٧.
- ١٠- محمود فوزي: توفيق دباب ملحمة الصحافة الجزيرية، ١٩٨٧.
- ١١- شكري القاضي: مائة شخصية مصرية وشخصية، ١٩٨٧.
- ١٢- د. نبيل راغب: هدى شعراوي وعصر أكتوبر، ١٩٨٨.
- ١٣- د. عبدالعظيم رمضان: أكذوبة الاستثمار المصري للسودان: رؤية تاريخية، ط١، ١٩٨٨، ط٢، ١٩٩٤.
- ١٤- د. سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الولادة من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، ١٩٨٨.
- ١٥- د. علي حسن الخربوطي: المستشرقون والتاريخ الإسلامي، ١٩٨٨.
- ١٦- د. حلمي أحمد شلبي: فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعي في مصر: دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ - ١٩٥٢)، ١٩٨٨.
- ١٧- د. محمد نور فرجات: القضاء الشرعي في مصر في العصر العثماني، ١٩٨٨.
- ١٨- د. علي السيد محمود: الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية، ١٩٨٨.
- ١٩- د. أحمد محمود صابر: مصر القديمة وقصة توحيد القطرين، ١٩٨٨.
- ٢٠- د. محمد أنيس: دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩: المراسلات السورية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي، ١٩٨٨.
- ٢١- د. توفيق الطويل: التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ج١، ١٩٨٨.
- ٢٢- جمال بدوي: نظرات في تاريخ مصر، ١٩٨٨.
- ٢٣- د. توفيق الطويل: التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ج٢، ١٩٨٨.
- ٢٤- د. نجوى كامل: الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية ١٩١٩ - ١٩٣٦، ١٩٨٩.

- ٢٥ هاملتون جب، هارولد بوبن: الجمجم الإسلامي والغرب، ج ١، ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٨٩.
- ٢٦ د. سعيد إسماعيل علي: تاريخ الفكر التربوي في مصر الحديثة، ١٩٨٩.
- ٢٧ الفريد ج. بتلر: فتح العرب لمصر، ج ١، ترجمة محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.
- ٢٨ الفريد ج. بتلر: فتح العرب لمصر، ج ٢، ترجمة محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.
- ٢٩ د. سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيدين، ١٩٨٩.
- ٣٠ د. حلبي أند شلي: الموظفون في مصر في عهد محمد علي، ١٩٨٩.
- ٣١ شكري القاضي: حسون شخصية مصرية وشخصية، ١٩٨٩.
- ٣٢ لمي المطيعي: هؤلاء الرجال من مصر، ج ٢، ١٩٨٧.
- ٣٣ د. خالد محمود الكومي: مصر وقضايا الجنوب الأفريقي: نظرية على الأوضاع الراهنة ورؤيتها المستقبلية، ١٩٨٩.
- ٣٤ د. يوانان ليب رزق، محمد مزین: تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢، ١٩٩٠.
- ٣٥ عبد الحميد توفيق زكي: أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة، ١٩٩٠.
- ٣٦ هاملتون جب، هارولد بوبن: الجمجم الإسلامي والغرب، ج ٢، ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٩٠.
- ٣٧ د. سليمان صالح: الشيخ علي، يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن، ١٩٩٠.
- ٣٨ د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، ١٩٩٠.
- ٣٩ د. جعيل عبيد: قصة احتلال محمد علي لليونان ١٨٢٤ - ١٨٢٧، ١٩٩٠.
- ٤٠ د. عبد المنعم الجميمي: الأسلحة الفاسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨، ١٩٩٠.
- ٤١ د. رفعت السعيد: محمد فريد الموقف والمسألة، رؤية عصرية، ١٩٩١.
- ٤٢ محمد شفيق غربال: تكوين مصر عبر المصور، ١٩٩٠.
- ٤٣ إبراهيم عبد العزيز: رحلة في عقول مصرية، ١٩٩٠.
- ٤٤ د. محمد عفيفي: الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني، ١٩٩١.
- ٤٥ وليم الصوري: الغروب الصليبي، ج ١، ترجمة وتعليق د. حسن جبشي، ١٩٩١.
- ٤٦ د. عبد الرءوف أحد عمرو: تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٩ - ١٩٥٩، ١٩٩١.
- ٤٧ د. لطيفة محمد سالم: تاريخ القضاء المصري الحديث، ١٩٩١.

- ٤٨ د. زبيدة عطا: الفلاح المصري بين العصر القبطي والعصر الإسلامي، ١٩٩١.
- ٤٩ د. عبد العظيم رمضان: العلاقات المصرية الإسرائلية ١٩٤٨ - ١٩٧٩، ١٩٩٢، ١٩٧٩.
- ٥٠ د. سهير إسكندر: الصالحة المصرية والقضايا والوطنية ١٩٤٦ - ١٩٥٤، ١٩٩٣.
- ٥١ تحرير: عبد العظيم رمضان: تاريخ المدارس في مصر الإسلامية (أبحاث الندوة التي أقامتها جنة التاريخ والآثار بالجامعة الأعلى للثقافة في أبريل ١٩٩١)، ١٩٩٢.
- ٥٢ د. إبراهام ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، ١٩٩٢.
- ٥٣ د. محمد كمال الدين عز الدين: أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراسة، ١٩٩٢.
- ٥٤ د. محمد عفيفي: الأقباط في مصر في العصر العثماني، ١٩٩٢.
- ٥٥ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج ٢، ترجمة وتعليق د. حسن جبشي، ١٩٩٢.
- ٥٦ د. حلمي أحد شلبي: المجتمع الريفي في عصر محمد علي: دراسة عن إقليم المنوفية، ١٩٩٢.
- ٥٧ د. سيدة إسماعيل كاشف: مصر الإسلامية وأهل الذمة، ١٩٩٢.
- ٥٨ د. إبراهيم عبد الله المسلمي: أحد حلمي سجين الحرية والصحافة، ١٩٩٣.
- ٥٩ د. عبد السلام عبد الخاليم عامر: الرأسمالية الصناعية في مصر من التنصير إلى التأميم ١٩٥٧ - ١٩٦١، ١٩٩٣.
- ٦٠ عبد الحميد توفيق زكي: المعاصرون من رواد الموسيقى العربية، ١٩٩٣.
- ٦١ د. عبد العظيم رمضان: تاريخ الإسكندرية في العصر الحديث، ١٩٩٣.
- ٦٢ لمي المطيري: هؤلاء الرجال من مصر، ج ٣، ١٩٩٣.
- ٦٣ د. سيدة إسماعيل كاشف، د. جمال الدين سرور، د. سعيد عبد الفتاح عاشور: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية، أعدتها للنشر د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٤ د. محمد نعمنان جلال: مصر وحقوق الإنسان بين الحقيقة والافتاء، دراسة وثائقية، ١٩٩٣.
- ٦٥ د. سهام نصار: موقف الصحافة المصرية من الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩١٧، ١٩٩٣.
- ٦٦ د. نزيان عبد الكريم أحد: المرأة في مصر في العصر الفاطمي، ١٩٩٣.
- ٦٧ تحرير: عبد العظيم رمضان: مساعي السلام العربية الإسرائلية، الأصول التاريخية (أبحاث الندوة التي أقامتها جنة التاريخ والآثار بالجامعة الأعلى للثقافة بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس في أبريل ١٩٩٣)، ١٩٩٣.
- ٦٨ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج ٣، ترجمة وتعليق د. حسن جبشي، ١٩٩٣.
- ٦٩ د. محمد أبو الإسعاد: نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية ١٨٨٦ - ١٩٥١، ١٩٩٣.
- ٧٠ أ. س. تررتون: أهل الذمة في الإسلام، ترجمة وتعليق د. حسن جبشي، ١٩٩٤.

- ٧١ تريفور إيفانز: مذكريات اللورد كيلر ١٩٣٤ - ١٩٤٦، ج ١، ترجمة د. عبد الرءوف أحمد عمرو، ١٩٩٤.
- ٧٢ د. أمينة أحمد إمام: رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية في العصر الفاطمي (٣٥٨ - ٥٥٦٧)، ١٩٩٤.
- ٧٣ د. رءوف عباس حامد: تاريخ جامعة القاهرة، ١٩٩٤.
- ٧٤ د. سمير يحيى الجمال: تاريخ الطب والصيدلة المصرية، ج ١: في مصر الفرعوني، ١٩٩٤.
- ٧٥ د. سلام شافعى محمود: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، ١٩٩٥.
- ٧٦ د. سعيد إسماعيل على: دور التعليم المصري في النضال الوطني زمن الاحتلال البريطاني، ١٩٩٥.
- ٧٧ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج ٤، ترجمة وتعليق د. حسن جبشي، ١٩٩٤.
- ٧٨ نعمات أحد عثمان: تاريخ الصحافة المكندية ١٨٧٣ - ١٨٩٩، ١٨٩٥.
- ٧٩ فريد دي يونج: تاريخ الطرق الصوفية في مصر في القرن التاسع عشر، ترجمة عبد الحميد فهمي الجمال، ١٩٩٥.
- ٨٠ د. السيد حسين جلال: قناة السويس والثنايس الاستعماري الأوربي ١٨٨٢ - ١٩٠٤، ١٩٩٥.
- ٨١ د. رمزي ميخائيل: تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر، ١٩٩٥.
- ٨٢ د. سيدة إسماعيل كاشف: مصر في فجر الإسلام من الفتاح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، ١٩٩٤.
- ٨٣ أحد شفيق باشا: مذكرياتي في نصف قرن، ج ١، ١٩٩٤.
- ٨٤ أحد شفيق باشا: مذكرياتي في نصف قرن، ج ٢، القسم الأول، ١٩٩٤.
- ٨٥ د. حلمي أحد شلي: تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢)، ١٩٩٥.
- ٨٦ د. أحد الشربيني: تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ - ١٩١٤)، ١٩٩٥.
- ٨٧ تريفور إيفانز: مذكريات اللورد كيلر ١٩٣٤ - ١٩٤٦، ج ٢، ترجمة د. عبد الرءوف أحمد عمرو، ١٩٩٤.
- ٨٨ عبد الحميد توفيق زكي: التذوق الموسيقي وتاريخ الموسيقى المصرية، ١٩٩٠.
- ٨٩ د. عبد الحميد حامد سليمان: تاريخ الموابي المصرية في العصر العثماني، ١٩٩٥.
- ٩٠ د. نرمان عبد الكريم: معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، ١٩٩٦.
- ٩١ بيكر ماسفيلد: تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط، ترجمة عبد الحميد فهمي الجمال، ١٩٩٦.
- ٩٢ د. نجوى كامل: الصحافة الوقافية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦)، ١٩٩٦.
- ٩٣ د. نبيه برمي عبد الله: قضايا عربية في البرلمان المصري (١٩٢٤ - ١٩٥٨)، ١٩٩٦.
- ٩٤ د. سهير إسكندر: الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤)، ١٩٩٦.

- ٩٥- تحرير: د. عبد العظيم رمضان: مصر وأفريقيا، الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بال مجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة).
- ٩٦- مالكوم كير: عبد الناصر وال الحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠)، ترجمة د. عبد الرءوف أحمد عمرو.
- ٩٧- د. إيهان عامر: العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن العاشر.
- ٩٨- د. محمد سيد محمد: هيكل والسياسة الأسبوعية.
- ٩٩- د. سمير يحيى الجمال: تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليوناني - الروماني)، ج. ٢.
- ١٠٠- د. عبد العزيز صالح، د. جمال عختار، د. محمد إبراهيم بكر، د. إبراهيم نصحي، د. فاروق القاضي: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور (تاريخ مصر القديمة)، أعدتها للنشر د. عبد العظيم رمضان.
- ١٠١- اللواء مصطفى عبد الجيد نصیر، اللواء عبد الجيد كفافی، اللواء سعد عبد الحفيظ، السفير جمال منصور: ثورة يوليو والحقيقة الغالية.
- ١٠٢- د. تيسير أبو عرفة: القطم جريدة الاحتلال البريطاني في مصر (١٨٨٩ - ١٩٥٢).
- ١٠٣- د. علي برkat: رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره.
- ١٠٤- د. فاطمة علم الدين عبد الواحد: تاريخ العمال الزراعيين في مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢).
- ١٠٥- د. أحمد فارس عبد النعم: السلطة السياسية في مصر وقضية الديقراطية (١٨٠٥ - ١٩٨٧).
- ١٠٦- د. سليمان صالح: الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن).
- ١٠٧- دليب هيلو: الأصولية الإسلامية، ترجمة عبد الحميد فهمي الجمال.
- ١٠٨- سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج. ٤.
- ١٠٩- سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج. ٥.
- ١١٠- البيومي إسماعيل الشربيني: مصادرة الأموال في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك)، ج. ١.
- ١١١- البيومي إسماعيل الشربيني: مصادرة الأموال في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك)، ج. ٢.
- ١١٢- د. محمد الجبودي: إسماعيل باشا صدقى.
- ١١٣- د. عز الدين إسماعيل: الزبير باشا ودوره في السودان في عصر الحكم المصري.
- ١١٤- أحمد رشدي صالح: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي.
- ١١٥- أحمد شفيق باشا: مذكراتي في نصف قرن، ج. ٢.
- ١١٦- علاء الدين وحيد: أديب إحساق عاشق الحرية.
- ١١٧- عبد الرازق إبراهيم عيسى: تاريخ القضاء في مصر العثمانية ١٥١٧ - ١٧٩٨.
- ١١٨- د. البيومي إسماعيل الشربيني: النظم المالية في مصر والشام زمان سلاطين المماليك.

- ١١٩ - حسين محمد أحد يوسف: النقابات في مصر الرومانية.
- ١٢٠ - لويس جرجس: يوميات من التاريخ المصري الحديث.
- ١٢١ - د. محمد عبد الحميد الحناوي: الجلاء ووحدة وادي النيل (١٩٤٥ - ١٩٥٤).
- ١٢٢ - سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج. ٦.
- ١٢٣ - د. سعيد عبد الفتاح عاشور: السيد أحمد البدوي.
- ١٢٤ - د. محمد نعeman جلال: العلاقات المصرية الباكستانية في نصف قرن.
- ١٢٥ - سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج. ٧.
- ١٢٦ - سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج. ٨.
- ١٢٧ - إبراهيم محمد إبراهيم: مقدمات الوحدة المصرية السورية ١٩٤٣ - ١٩٥٨.
- ١٢٨ - جمال بدوي: معارك صحافية.
- ١٢٩ - د. يحيى محمد محمود: الدين العام وأثره في تطور الدين المصري (١٨٧٦ - ١٩٤٣).
- ١٣٠ - سمير فريد: تاريخ نقابات الفنانين في مصر (١٩٨٧ - ١٩٩٧).
- ١٣١ - ترجمة: د. عبد الرءوف أحد عمرو: الولايات المتحدة وثورة برلين ١٩٥٢.
- ١٣٢ - د. ماجدة محمد محمود: دار المتدرب السامي في مصر، ج. ١.
- ١٣٣ - د. ماجدة محمد محمود: دار المتدرب السامي في مصر، ج. ٢.
- ١٣٤ - ترجمة: جمال سعيد عبد الغني: الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني للدارندي.
- ١٣٥ - د. محسن محمد الرقاد: اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة ٦٤٨ - ٩٣٢ / ١٤٥٠ - ١٥١٧ م.
- ١٣٦ - تقدم : عبد العظيم رمضان: أوراق يوسف صديق.
- ١٣٧ - د. محمد عبد الغني الأشقر: تجارة التوابل في مصر في العصر المملوكي.
- ١٣٨ - السيد يوسف: الأخوان المسلمين وجذور التطرف الديني والإرهاب في مصر.
- ١٣٩ - محمد قايل: موسوعة الفناء المصري في القرن العشرين.
- ١٤٠ - طارق عبد العاطي غنيم: سياسة مصر في البحر الأآخر في النصف الأول من القرن التاسع عشر (١٢٢٦ - ١٢٦٥ / ١٨١١ - ١٨٤٨).
- ١٤١ - لطفي أحد نصار: وسائل الترفية في عصر سلاطين المماليك.
- ١٤٢ - أحد شقيق ياشا: مذكراتي في نصف قرن، ج. ٢، ط٢، ١٩٩٩.
- ١٤٣ - د. متيرة محمد الهمشري: دبلوماسية البطالة في القرنين الثاني والأول ق.م.
- ١٤٤ - د. عبد العليم خلاف: كشرف مصر الأفريقية في عهد الخديو إسماعيل.

- ١٤٥ - د. منيرة محمد الحشري: النظام الإداري والاقتصادي في مصر في عهد دقلديانوس (٢٨٤٥-٣٠٥م).
- ١٤٦ - د. أحمد عبد الرازق: المرأة في مصر المملوكية.
- ١٤٧ - د. رفعت السعيد: حسن البناء: متى.. كيف.. لماذا؟
- ١٤٨ - د. سمير فوزي: القديس مرقص وتأسيس كنيسة الإسكندرية، ترجمة نسيم مجلبي.
- ١٤٩ - حسام محمد عبد المعطي: العلاقات المصرية الحاجزية في القرن الثامن عشر.
- ١٥٠ - د. سمير يحيى الجمال: تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها).
- ١٥١ - السيد يوسف: جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة.
- ١٥٢ - د. مخاون محمد الرقاد: الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية (٦٤٨-٦٩٣٢هـ / ١٢٥٠-١٢٥٧م).
- ١٥٣ - د. علية عبد السميع الجزاوري: الحرثوب الصليبية: الخدمات السياسية.
- ١٥٤ - د. علية عبد السميع الجزاوري: هجمات الروم البحري على شواطئ مصر الإسلامية في المصور الوسطى.
- ١٥٥ - د. عبد الحميد البطريرق: عصر محمد علي وفضبة مصر في القرن التاسع عشر (١٨٨٣-١٨٠٥هـ).
- ١٥٦ - د. سمير يحيى الجمال: تاريخ الطب والصيدلة في العصر الإسلامي، ج. ٣.
- ١٥٧ - د. سمير يحيى الجمال: تاريخ الطب والصيدلة في العصر الإسلامي، ج. ٤.
- ١٥٨ - د. محمد عبد الفتاح الأشقر: نائب السلطنة المملوكية في مصر (٦٤٨-٦٩٣٢هـ / ١٢٥٠-١٢٥٧م).
- ١٥٩ - د. محمد فريد حشيش: حزب الوفد (١٩٣٦-١٩٥٢) ج. ١.
- ١٦٠ - د. محمد فريد حشيش: حزب الوفد (١٩٣٦-١٩٥٢) ج. ٢.
- ١٦١ - سلطان باشا: السيف والثار في السودان.
- ١٦٢ - د. تمام تمام: السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦-١٩٥٣).
- ١٦٣ - محمد سيد العشماوي: مصر والحملة الفرنسية.
- ١٦٤ - تحرير: د. عبد العظيم رمضان: الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ (أعمال ندوة جنة التاريخ والأثار بال مجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة في الفترة: ٢٠ - ٢١ ديسمبر ١٩٩٧.
- ١٦٥ - سامي سليمان محمد السهم: التعليم والتغير الاجتماعي في مصر في القرن التاسع عشر.
- ١٦٦ - السيد يوسف: مذكرات معتقل سياسي (صفحة من تاريخ مصر).
- ١٦٧ - د. صفي علي محمد عبد الله: الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الإخشيدية.
- ١٦٨ - يسري عبد الفتاح: مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات.
- ١٦٩ - د. صفي علي محمد عبد الله: مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى نهاية الفاطميين (٢١٥٦٧-٦٤٢م).

- ١٧٠ - مجدي عبد الرشيد بحر: القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٣٢هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م).
- ١٧١ - محمد رفعت الإمام: تاريخ الحالى الأرمية في مصر في القرن التاسع عشر.
- ١٧٢ - فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة في مصر من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، ج ١.
- ١٧٣ - فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة في مصر من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، ج ٢.
- ١٧٤ - د. أحمد عبد الخيلم دراز: مصر ولها فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م.
- ١٧٥ - عادل إبراهيم الطويل: محمد توفيق نسيم باشا ودوره في الحياة السياسية.
- ١٧٦ - د. عبد الحميد حامد سليمان: الملاحة الدولية في مصر العثمانية (١٥١٧-١٧٩٨).
- ١٧٧ - لواء د. صلاح سالم: سياسة مصر العسكرية إزاء حروب الشرق الأوسط.
- ١٧٨ - د. سحر علي حنفي: العلاقات التجارية بين مصر وبلاط الشام الكبير في القرن الثامن عشر.
- ١٧٩ - د. عفاف مسعد السيد العبد: دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر (١٥٦٤-١٦٠٩م).
- ١٨٠ - د. عبد العظيم رمضان: الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس.
- ١٨١ - ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي: الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريشارد، ج ١).
- ١٨٢ - ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي: الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريشارد، ج ٢).
- ١٨٣ - شاهد على العصر: مذكرات محمد لطفي جمعة.
- ١٨٤ - ياسر عبد المنعم محارق: المتوقفة في القرن الثامن عشر.
- ١٨٥ - د. أحمد سيد أحمد: تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري.
- ١٨٦ - د. أحمد صبحي منصور: القائد الدينية في مصر الإسلامية (بين الإسلام والتصوف).
- ١٨٧ - د. عادل عبد الحافظ حزرة: نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠-١٥١٧)، ج ١.
- ١٨٨ - د. عادل عبد الحافظ حزرة: نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠-١٥١٧)، ج ٢.
- ١٨٩ - عرفه عبده علي: يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠م.
- ١٩٠ - د. عبد الحميد عبد الجليل أحمد شلبي: العلاقات السياسية بين مصر والعراق (١٩٥١-١٩٦٣م).
- ١٩١ - د. محسن علي شومان: اليهود في مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر، ج ١.
- ١٩٢ - د. محسن علي شومان: اليهود في مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر، ج ٢.
- ١٩٣ - د. عبد الله شحاته: الإمام محمد عبده بين المنهج الديني والمنهج الاجتماعي.
- ١٩٤ - د. فتحي الصنفاوي: تاريخ الآلات الموسيقية الشعبية.
- ١٩٥ - د. نزيان عبد الكريم أحد: مجتمع أفريقيا في عصر الولادة.
- ١٩٦ - د. عبد العظيم محمد سعودي: تاريخ تطور الري في مصر (١٨٨٢-١٩١٤).

- ١٩٧ - د. عبد الحميد زايد: القدس الخالدة.
- ١٩٨ - د. عادل عبد الحافظ حزرة: العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبيية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية.
- ١٩٩ - د. جاء الدين إبراهيم: المعبد في الدولة الخديوية في مصر الفرعونية.
- ٢٠٠ - تحرير د. عبد العظيم رمضان: تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور (أعمال السدورة التي أقامتها جنة التاريخ والآثار بالجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب جامعة الإسكندرية من ٢٢-٢٣ أبريل ١٩٩٨).
- ٢٠١ - سيرة فهمي على عمر: إمارة الحج في مصر العثمانية ١٥١٧-١٧٩٨.
- ٢٠٢ - د. ماجدة محمد محمود: التدوين الساميون في مصر.
- ٢٠٣ - فتحي أبو طالب: الصراع الدولي على عدن والدور المصري.
- ٢٠٤ - د. مرفت صبحي غالى: العلاقات الاقتصادية بين مصر وبريطانيا (١٩٣٥-١٩٤٥).
- ٢٠٥ - السيد محمد أحمد عطا: تاريخ الغربية وأعمالها في العصر الإسلامي (٢١-٥٥٦٧-٦٤٢) (١١٧١م).
- ٢٠٦ - سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج. ٩.
- ٢٠٧ - د. سعيد عبد الفتاح عاشور: الظاهر بيبرس.
- ٢٠٨ - لواء د. كمال أحمد عامر: الدور المصري والعربي في حرب تحرير الكويت، ج. ١.
- ٢٠٩ - لواء د. كمال أحمد عامر: الدور المصري والعربي في حرب تحرير الكويت، ج. ٢.
- ٢١٠ - د. سعيد عبد الفتاح عاشور: قبرن والحروب الصليبية.
- ٢١١ - د. علية عبد السميم الجزاوري: إمارة الرها الصليبية.
- ٢١٢ - شلبي إبراهيم الجعدي: العامة في مصر في العصر الأيوبي (٥٦٧-٥٦٤٨-١١٧١/١٢٥٠م).
- ٢١٣ - عثمان علي محمد عطا: الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي (٦٤٨-٥٩٣٢-١٢٥٠/١٥١٧م).
- ٢١٤ - د. علية عبد السميم الجزاوري: التطور البري الإسلامي على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى.
- ٢١٥ - د. إصلاح عبد الحميد ريحان: الفتح الإسلامي لمدينة كابول (٣١-٦٥١م/٢٠٠).
- ٢١٦ - د. فرغلي تمن هريدي: الرأسمالية الأجنبية في مصر (١٩٣٧-١٩٥٧)، ج. ١.
- ٢١٧ - د. سيد عشماوي: العيب في الذات الملكية (١٨٨٢-١٨٥٢).
- ٢١٨ - د. السيد محمد أحمد عطا: إقليم الغربية في عصر الأيوبيين والمالك (٥٦٧-٥٩٣٢/١١٧١-١٥١٧م).
- ٢١٩ - د. عبد العظيم رمضان: ثورة ١٩١٩ في ضوء مذكرات سعد زغلول.

- ٢٢٠ د. حادة حسني أحمد محمد: *التنظيمات السياسية لثورة يوليو*.
- ٢٢١ ونسنون تشرشل: *حرب الهر*, ترجمة عن الدين محمود.
- ٢٢٢ د. عبد الحميد زايد: *مصر الخالدة* (مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية منذ أقدم العصور حتى عام ٢٣٢ق.م), ج ١.
- ٢٢٣ د. عبد الحميد زايد: *مصر الخالدة* (مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية منذ أقدم العصور حتى عام ٢٣٢ق.م), ج ٢.
- ٢٢٤ إعداد وتقديم: د. عبد العظيم رمضان: *الدور الوطني للكنيسة المصرية عبر العصور* (أعمال ندوة التاريخ والآثار بال مجلس الأعلى للثقافة).
- ٢٢٥ د. سيد محمد موسى حمد: *مصر ودول حوض النيل*.
- ٢٢٦ د. عبد العزيز محمد الشناوي: *السخرة في حفر قناة السويس*.
- ٢٢٧ أمل محمود فهمي: *العلاقات المصرية العثمانية على عهد الاحتلال البريطاني (١٨٨٢-١٩١٤)*
- ٢٢٨ د. حسن جبشي: *تاريخ العالم الإسلامي*, ج ١.
- ٢٢٩ ترجمة: د. حسن جبشي: *ذيل وليم الصوري*.
- ٢٣٠ د. عز الدين إسماعيل أحد: *تاريخ الجيش المصري في عصور ما قبل التاريخ*.
- ٢٣١ د. سمير عبد المقصود السيد: *الشواطئ في مصر منذ الفتح العثماني حتى أوائل القرن التاسع عشر*.
- ٢٣٢ د. فرغلي تمن هريدي: *الرأسمالية الأجنبية في مصر (١٩٣٧-١٩٥٧)*, ج ٢.
- ٢٣٣ محمود قاسم: *الفيلم التاريخي في مصر*.
- ٢٣٤ د. أنطونيو سوريا عبد السيد: *العلاقات المصرية الأثيوبية*, ج ١.
- ٢٣٥ د. أنطونيو سوريا عبد السيد: *العلاقات المصرية الأثيوبية*, ج ٢.
- ٢٣٦ د. أحد محمد عبد الحليم دراز: *مصر وفلسطين فيما بين القرنين الحادي عشر والثامن ق.م.*
- ٢٣٧ تحرير: د. عبد العظيم رمضان: *حكومة مصر عبر العصور* (أعمال جنة التاريخ والآثار بال مجلس الأعلى للثقافة من ٢٢-٢٣ أبريل).
- ٢٣٨ د. سيدة إسماعيل كاشف: *الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧١٥-٧٠٥م)*.
- ٢٣٩ د. سيدة إسماعيل كاشف: *عبد العزيز بن مروان*.
- ٢٤٠ د. حسين كفافي: *هنري كوربيل الأسطورة والوجه الآخر*.
- ٢٤١ د. سليمان محمد حسين: *تجار القاهرة في القرنين السادس عشر والسابع عشر*.
- ٢٤٢ د. عبد المنعم إبراهيم الجميسي: *عصر محمد علي: دراسة وثائقية*.
- ٢٤٣ مصطفى الغريب حمد: *محمد حسين هيكل ودوره في السياسة المصرية (١٨٨٨-١٩٥٦)*.

- ٢٤٤ - د. أحمد عبد اللطيف حنفي محمد: المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي، ج ١، الدراسات السياسية.
- ٢٤٥ - د. أحمد عبد اللطيف حنفي محمد: المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي، ج ٢، الدراسات الحضارية.
- ٢٤٦ - عبده مباشر: ، إسلام توفيق: حرب الاستراف، ج ١.
- ٢٤٧ - عبده مباشر: ، إسلام توفيق: حرب الاستراف، ج ٢.
- ٢٤٨ - السيد يوسف: عبد الرحمن الكواكبي رائد القومية العربية وشهيد الحرية.
- ٢٤٩ - د. محمد فريد حشيش: معايدة ١٩٣٦، ج ١، العلاقات المصرية البريطانية.
- ٢٥٠ - د. محمد فريد حشيش: معايدة ١٩٣٦، ج ٢، نصوص مخاضر المفاوضات.
- ٢٥١ - د. عزت قريني: تاريخ الفكر السياسي والاجتماعي في مصر الحديثة (١٨٣٤ - ١٩١٤).
- ٢٥٢ - أحمد محمود جمعة: إنشاء جامعة الدول العربية، ج ١.
- ٢٥٣ - أحمد محمود جمعة: إنشاء جامعة الدول العربية، ج ٢.
- ٢٥٤ - أحمد محمود جمعة: إنشاء جامعة الدول العربية، ج ٣.
- ٢٥٥ - د. مرفت أسعد عطا الله: العلاقات بين مصر ولبنان في عهد محمد علي.
- ٢٥٦ - د. السيد حسين جلال: قناعة السويس والأطماع الاستعمارية الدولية.
- ٢٥٧ - سير عبد الله سليمان: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨ - ٩٦٩ / ١١٧١ - ٥٦٧).
- ٢٥٨ - د. محمد صبحي عبد الحكيم: مدينة الإسكندرية.
- ٢٥٩ - د. حسن حشيشي: تاريخ العالم الإسلامي، ج ٢.
- ٢٦٠ - د. محمد مؤنس عوض: رواد تاريخ العصور الوسطى.
- ٢٦١ - د. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ج ١.
- ٢٦٢ - د. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ج ٢.
- ٢٦٣ - أحمد حسين: مذكرات أحمد حسين.
- ٢٦٤ - جان إيف إميرور: الإسكندرية مملكة المضاربات، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، مراجعة د. محمود ماهر طه.
- ٢٦٥ - د. إصلاح عبد الحميد ريحان: هرات من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثاني المجري.
- ٢٦٦ - د. نزيمان عبد الكريم أهـد: دراسات في تاريخ مصر الإسلامية.
- ٢٦٧ - طارق الكومي: أمراء أسرة محمد علي ودورهم في المجتمع.
- ٢٦٨ - المشكلاة الفلسطينية وموقف مصر حكومة وشعباً منها (١٩١٧ - ١٩٣٩).
- ٢٦٩ - د. أحمد دراج: المالك والفرنجية في القرن النابع المجري الخامس عشر الميلادي، ٢٠٠٧.
- ٢٧٠ - محمد قايل: فرمان اللجن الجميل: الموجي - بلينج - الطويل، ٢٠٠٩.

- ٢٧١ - مجدي رشاد عبد الغني: العلاقات المصرية الليبية (١٩٤٥-١٩٦٩)، ٢٠٠٧.
- ٢٧٢ - محمد بن صفار: حركة محمد عبد وعبد الحميد بن باديس الإصلاحية وأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ج ١، ٢٠٠٨.
- ٢٧٣ - محمد بن صفار: حركة محمد عبد وعبد الحميد بن باديس الإصلاحية وأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ج ٢، ٢٠٠٨.
- ٢٧٤ - د. عبد الواحد النبو: المعارض في البرلمان المصري (١٩٢٤-١٩٣٦)، ٢٠٠٨.
- ٢٧٥ - د. حسام محمد عبد المعطي: العائلة والثروة، البيوت التجارية المغربية في مصر العثمانية، ٢٠٠٨.
- ٢٧٦ - جرجس حنين: الأطيان والضرائب في القطر المصري، ٢٠٠٨.
- ٢٧٧ - د. عبد الحميد ناصف: دير سانت كاترين في العصر العثماني، ٢٠٠٨.
- ٢٧٨ - د. إيمان المهدى: الخبز في مصر القديمة، ٢٠٠٨.
- ٢٧٩ - د. باستت فتحى: تعددية التعليم الابتدائي في مصر ١٩٢٣-١٩٩٣، ٢٠٠٨.
- ٢٨٠ - محمد مirook : الإدارة المالية في عصر محمد علي ، ٢٠٠٩.
- ٢٨١ - إبراهيم ماضى: زي أمراء المالكى في مصر والشام ، ٢٠٠٩.
- ٢٨٢ - د. صفاء حافظ: الموارى والتغور المصرية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمى، ٢٠٠٩.
- ٢٨٣ - د. رضا أسعد: أعيان الريف المصري في العصر العثماني، ٢٠٠٩.
- ٢٨٤ - د. جمال كمال محمود: الأرض والفلاح في صعيد مصر في العصر العثماني، ٢٠١٠.
- ٢٨٥ - د. بشارة إبراهيم مرسي إبراهيم: تطور الديانة المصرية القديمة .٢٠١٠
- ٢٨٦ - زوات عرفان: العلاقات المصرية اليمنية، النصف الأول من القرن التاسع عشر، ٢٠١٠.
- ٢٨٧ - د. علي شلبي: مصر الفتاة ودورها في السياسة المصرية ١٩٣٣-١٩٤١، ٢٠١٠.
- ٢٨٨ - د. عمرو عبد الغزير متير: العمارة المصري بين الرحلة والأسطورة، ٢٠١١.
- ٢٨٩ - د. محمد عبد الغنى الأشقر: الوزارة والوزراء في مصر عصر سلاطين المالكى، ٢٠١١.
- ٢٩٠ - زينب عيسى عبد الرحمن: العلاقات المصرية الصينية ١٩٥٦-١٩٧٠، ٢٠١٠.
- ٢٩١ - د. أحمد أحد الحنة: تاريخ الزراعة المصرية في عهد محمد علي الكبير ، ٢٠١٢.
- ٢٩٢ - د. زوات عرفان المغربي: هيئة كبار العلماء (١٩١١-١٩٦١م)، ٢٠١٢.
- وبين يديك العدد الأخير:
- ٢٩٣ - د. محمود محمد خلف: ثورات المصريين في العصر الفاطمي (٩٦٩-١٠٣٥)، ٢٠١٢.